العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعُمان

من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر الهجري / 8 - 17 م

فرحات بن علي الجعبيري

1326

cérès EDITIONS

العــلاقة بين إباضيــّة المغرب وإباضيّة البصرة وعُمان من القرن الأوّل الهجريّ إلى القــرن الحــادي عشــر الهجــري، 8- 17م

العلاقـــة بين إباضيـــّة المغـــرب وإباضيّة البصرة وعُمان من القرن الأوّل الهجريّ إلى القرن الحادي عشر الهجري، 8 - 17 م

تأليف: فرحات بن علي الجعبيري

ISBN 9973-19-657-0
© 2005، سراس للنّشر
6، نهج آلان سافاري - 1002 تونس
ص.ب 56 البلفيدير - تونس
www.ceres-editions.com

كـــلـــمة شـــكـــر

بعد حمد الله و الثّناء عليه و الصّلاة و السّلام على رسول الله نرى لزاما علينا ـ إيمانا منّا بمدنيّة الانسان و حاجته لأخيه الإنسان ـ أن نتقدّم بالشّكر لكلّ من ساهم ، ليرى هذا العمل المتواضع النّور على الوجه الّذي هو عليه، و لو بإشارة أو همسة بله بقيّة المشاركات النّبيلة الّتي يستحيل إحصاؤها ، فبارك الله للجميع حسن سعيهم .

فرحات

الإهـــــــداء

إلى روح الدّاعية سلمة بن سعد وإلى أرواح جميع الدّعاة إلى إعلاء كلمة الله في كلّ زمان ومكان

أهدي هذا العمل المتواضع الذّي يبيّن ما للرّابطة القويّة بين أطراف العالم الإسلامي من تأثير في محافظة هذا العالم على كيانه وقدرته على صدّ كلّ هجوم.

فرحات

تقديم جمعيّة الأخوّة التّونسيّة العمانيّة

تمثّل دراسة الصّلات الثّقافيّة بين الشّعوب عبر التّاريخ مشغلا مهمّا في الأبحاث الإنسانيّة المعاصرة . و قد عكف الأستاذ فرحات الجّعبيري ، في هذا الكتاب على دراسة وجه هامّ من أوجه هذه الصّلات، و هو المشغل الدّيني، فتعمّق في تحليل أسس التّواصل الفكريّ بين عمان و بلاد المغرب في أهمّ فترات التّاريخ الإسلاميّ .

و الكتاب في خمسة فصول مترابطة متكاملة يحكمها التّسلسل الزّمني، و تتكامل في المشغل و المنهج ، و تتنوّع النّتائج انطلاقا من تنوّع الفترات التّاريخيّة .

درس الأستاذ فرحات الجّعبيري في الفصل الأوّل المرحلة التّأسيسيّة الممتدّة إلى أواسط القرن الثّاني الهجري ، و تتّبع تتبّعا دقيقا التّطوّرات و المنعرجات الّتي حدثت في هذه العلاقة إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري/ السّابع عشر الميلادي، مبيّنا في كلّ مرحلة أهمّ المكتشفات الفكريّة، سواء كانت مخطوطة،

أو مطبوعة، و حلّل مكوّناتها، و درس أثرها فيما تلاها من المراحل الفكريّة .

و يمثّل الكتاب مادّة ثريّة بالإحالات و الإشارات الّتي تيسّر السّبيل أمام الباحثين لولوج هذا المشغل، و التّعمّق في تبيان جانب زاخر من حضارتنا العربيّة الإسلاميّة، و قد ساهمت فيه عمان كما ساهمت فيه إفريقيّة (تونس الحاليّة) بقسط وافر . ذلك أنّ الكتاب ركّز تركيزا كليّا على المنتجات المغربيّة الموجّهة إلى بلاد المشرق، دون أن يهمل الثّروة الفكريّة الوافدة على هذه المنطقة .

و الكتاب في هيكله العامّ مشروع بحث طويل المدى، يمتدّ إلى دراسة **العلاقات المتميّزة في الفترة المعاصرة بين سلطنة عمان و الجمهوريّة التّونسيّة** سيفردها الباحث بأبحاث مستقلّة .

إنّ دراية الرّوابط الفكريّة بين الشّعوب مفتاح لإدراك الرّوابط الاجتماعيّة و الاقتصاديّة، و الكتاب مغن عن التّعليق عليه نظرا إلى طرافة الموضوع، و دقّة المنهج، و عمق النّتائج.

عن أعضاء الجمعيّة
الصّادق بن جمعة

بسم الله الرّحمان الرّحيم
والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين

مقدّمة

إن كنت أنسى فإنّني لا يمكن أن أنسى تلكم الحلقة التّي كان يعقدها الشّيخ عمر بن مرزوق رحمة الله عليه (1381/ 1961)[1] بجامع قريتنا[2] حيث كنّا نقرأ له كتاب جوهر النّظام[3] للشّيخ نور

---

[1] **عمر بن مرزوق** (1381/ 1961): من مشائخ جزيرة جربة كان يلقي دروسا يوميّة في مساجد الجزيرة وهو مرجع الفتوى في زمانه.

[2] هي قرية والغ بجزيرة جربة تقع جنوب حومة السّوق و تبعد عنها 6 كلم.

[3] جوهر النّظام في علمي الأديان و الأحكام : أرجوزة تعليميّة في 643 صفحة . طبعت عدّة طبعات و قد اعتنى بتحقيقها الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ط عمان 1405/ 1984.

الدّين السّالمي رحمه الله (1332/ 1941)[4] فينبري ليشرح أهمّ معاني هذه المنظومة التّعليميّة.

من هنالك بدأت بوادر صلتنا بعمان، ثمّ يسّر الله تعالى الاشتغال بإعداد بعض الدّراسات الجامعيّة و الخاصّة ، فتبيّن لنا أنّ المخطوطات العمانيّة تتعانق جنبا إلى جنب مع المخطوطات المغربيّة في جميع المكتبات الإباضيّة التّي يسّر الله أن نطلّع عليها في جزيرة جربة، و في وادي ميزاب، و في جبل نفوسة[5].

ثمّ يتحوّل الحلم إلى حقيقة عندما تيسّرت الرّحلة إلى عمان حيث تبيّنا ألاّ فرق مثلا بين محتويات المكتبة البارونيّة بجربة و مكتبة السّالمي في بديّة[6] بعمان، إذ لا قيمة لعائق البعد إذا التحمت القلوب ، و كذا كانت أحوال المسلمين عندما تعانقت قلوبهم في مرحلة ازدهار الحضارة الإسلاميّة.

---

[4] عبد الله بن حميد السّالمي (1332/ 1941) : الضّرير الذّي جمع بين جهاد السّيف و القلم . للتّعرف على ترجمة حياته راجع مقدّمات التّحقيق لكلّ ما نشر من مؤلّفاته مثل كتاب جوهر النّظام المذكور أعلاه. انظر ص 209 .

[5] **Schacht J.** Bibliothèques et manuscrits abadites, dans Revue Africaine, Alger, 100, (1956) 375-398.

[6] بديّة: مدينة تقع شرقي عمان في المنطقة الشّرقية.

و في هذه الأثناء كانت تقع بين أيدينا بعض الوثائق، قدرا أو كسبا ، تبيّن متانة العلاقة بين طرفين من أطراف العالم الإسلامي . و ما كان في نيّتنا أن نعتني بهذا الموضوع في هذه الآونة بالذّات لولا أن رأينا لزاما علينا أن نلبّي رغبة إخوة لنا في وزارة الإعلام بسلطنة عمان انتخبونا لندلي بدلونا بين الدلاء مع ثلّة من المؤرّخين في ندوتهم التّاريخيّة التّي عزموا على عقدها في الخامس و العشرين من شهر أوت سنة 1990.

و بذلك كانت النّواة الأولى لهذا الكتاب، و شاء القدر أن تتأخّر النّدوة إلى ديسمبر 1994 فشاركنا فيها بعرض ملخّص لبحثنا الذّي نشر مختصرا بعد ذلك في كتاب بعنوان "عمان في التّاريخ"[7] ضمن الحديث عن الإباضيّة في بلاد المغرب وعلاقتهم بعمان.

---

[7] ندوة عمان في التّاريخ : عمان في التّاريخ . نشر وزارة الإعلام بسلطنة عمان و دار اميل للنّشر المحدودة. لندن. 1999. 560 صفحة.

لقد شكّلت الوزارة لجنة صياغة فربطت بين جميع البحوث المقدّمة للنّدوة ربطا علميّا دون أن تنسب البحوث إلى أصحابها و إنّما اكتفت بذكر أسماء جميع المشاركين في داخل الغلاف.

و أقامت الكتاب على خمسة أبواب خصّص **الأوّل** لجغرافيّة عمان و**الثّاني** للعصور القديمة و**الثّالث** لظهور الإسلام إلى الدولة العبّاسيّة وما بعدها.

و بقيت هذه النّواة على حالها، إلى أن طلب منّا أعضاء جمعيّة الأخوة التونسيّة العمانيّة[8] أن نعرّف بالعلاقة بين إباضيّة المغرب و إباضيّة عمان عبر العصور فرجعنا إلى هذه النّواة الأولى، مع ما تجمّع لدينا من وثائق أخرى تتّصل بالموضوع ، و عملنا على تحويلها من مجرّد بحث مختصر ضمن كتاب عام في تاريخ عمان إلى كتاب مستقلّ قائم بذاته.

و قد تمّ لنا ذلك بإضافة ما حصلنا عليه من وثائق ، و بالتّوسع فيما عرض من معلومات، و بالتّعريف بما يجب التّعريف به من الأعلام والكتب والأماكن وما إلى ذلك، مع تحليل القضايا والمواقف المطروحة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة المشرق.

و لا يفوتنا أن نذكر هنا أنّ عدم التّوازن بين الوثائق التّي بين أيدينا ، بين ما قبل القرن الحادي عشر الهجري ، السّابع عشر الميلادي وما بعده فرض علينا أن نشتغل بهذه العلاقة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان من النّشأة إلى القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي وهي موضوع كتابنا هذا.

المرحلة الثّانية: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان من القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي إلى قيام دولة السّلطان قابوس 1970.

المرحلة الثّالثة: العلاقة المعاصرة بين الجمهوريّة التّونسيّة وسلطنة عمان.

عسى أن نشتغل بالمرحلتين الثّانية والثّالثة في عملين لاحقين إن شاء الله.

وقد اعترضتنا صعوبات جمّة في تحويل العمل من نواته الأولى إلى ما هو عليه الآن أبرزها صعوبة ملء عديد من الفراغات بالنّسبة إلى بعض المراحل الزّمنيّة خاصّة بعد القرن الرّابع الهجري، العاشر الميلادي، وصعوبة التّعرّف على عدد من الّذين كان لهم دور فعّال في بعض الأحداث رغم أنّهم كانوا من المغمورين ولم يرد ذكرهم إلاّ في النّصوص التّي نقلوها

والرّابع للحديث عن الإباضيّة والحركة الثقافيّة والعلميّة والخامس لدولة اليعاربة والبوسعيد وإشعاعهما.

وقد اختصر بحثنا ضمن الفصل الأوّل من الباب الرّابع بعنوان: العلاقة بين عمان وإباضيّة شمال إفريقيا ص 215- 231 + التّعاليق من ص 355 إلى ص 356.

[8] جمعيّة تونسيّة أسّست سنة 2001 وأنا من أعضائها.

أو حرّروها، فلا عجب أن تجد مثل قولنا " لم نتمكّن من التّعريف به " رغم وفرة المصادر التّي بين أيدينا.

وقبل أن نعرض خطّة هذا العمل نرى من المفيد أن نثبت **شرعيّة البحث** وذلك بتأمّلات في المصادر والمراجع.

ما عسى أن تكون العلاقة بين هذين الطّرفين من أطراف العالم الإسلامي من الخليج إلى المحيط ؟

إنّهما لا شكّ يشتركان في انتمائهما إلى الإسلام وهذه لعمري أمتن علاقة، ولكن في دائرتها يمكن أن تتعدّد أنواع العلاقات، فهل هي سياسيّة أم اقتصاديّة أم ثقافيّة أم إداريّة أو ما إلى ذلك من أنواع العلاقات بين البلدان ومن فيها من الشّعوب ؟

ففي الحقيقة لا يمكن أن ندّعي أنّنا سنلّم بكلّ أنواع هذه العلاقات بين عمان وبلاد المغرب، وإنّما ينبغي أن نختار أمتن أنواع العلاقات حسب ما تسعفنا به المصادر والمراجع، والرّاجح أنّها تتمثّل في العلاقة العقديّة المذهبيّة بين عمان من جهة، وبعض مواطن بلاد المغرب من جهة أخرى.

إنّ ما يشدّ الباحث عندما يتتبّع كتب الجغرافيّين والمؤرّخين العرب أنّها تتّفق على أنّ أهل عمان وأهل بعض مواطن بلاد

المغرب كجبل نفوسة[9] وجزيرة جربة[10] وقسطيليّة[11] وتاهرت[12] ووارجلان[13] ووادي ميزاب[14] خوارج[15] إباضيّة[16] شراة[17]

---

[9] **جبل نفوسة:** منطقة جبليّة تقع غربي القطر اللّيبي ونسبة إلى القبيلة التّي عمرتها وهي نفوسة. ياقوت معجم البلدان 5/ 296.

[10] جربة: جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقيّة قرب قابس. ياقوت: معجم البلدان 2/ 18.

[11] **قسطيليّة:** قال ابن حوقل: " في بلاد الجريد من أرض الزّاب الكبيرة قسطيليّة، " ياقوت: معجم البلدان: 4/ 348.

[12] **تاهرت:** في الإقليم الرّابع وعرضها 38° وهي مدينة جليلة. تقع شمال غربي المغرب الأدنى. ياقوت: معجم البلدان: 2/ 7.

[13] **وارجلان:** كورة بين إفريقيّة وبلاد الجريد ضاربة في البرّ. ياقوت: معجم البلدان: 5/ 371 وتقع حاليا جنوب شرقي الجزائر.

[14] **وادي ميزاب أو جبال بني مصعب:** مجموعة قرى تقع شمال مدينة وارجلان بالجنوب الجزائري: غارداية، مليكة، يسجن، بنورة، العطف، القرارة، برّيان.

[15] **الخوارج:** الجعبيري: البعد الحضاري: 31- 90: تحليل للنشأة والتّسميات.

[16] **الإباضيّة:** ن. م.

[17] **الشّراة:** من الشّراء من شروطه أن يجتمع أربعون من المخلصين فما أكثر فيبيعون أنفسهم في سبيل الله، وهدفهم معسكر السّلطان ولا يقاتلون إلاّ من قاتلهم. الجعبيري: البعد الحضاري: 875.

فالشّريف الإدريسي (560/ 1165): يقول " و الغالب على أهل بلاد عمان الشّراة... "[18].

كما يقول عن أهل جزيرة جربة: " وهذه الجزيرة عامرة بأهلها وهم قوم نكّار[19] خوارج في الإسلام مذهبهم الوهبيّة[20] "[21]. كما يقول نفس الكلام عن أهل وارجلان: " وهي (وارقلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجّار أغنياء... وهم وهبيّة نكّار خوارج في دين الإسلام "[22].

كما يقول عن أهل جبل نفوسة: " وأهل جبل نفوسة كلّهم إسلام لكنّهم خوارج نكّار ، و قد ذكرنا هذا المذهب في ذكرنا أهل جزيرة جربة "[23].

---

[18] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تحقيق مجموعة من المستشرقين بمعهد الاستشراق بنابولي د ت ص 158.

[19] **النكّار**: هم الجماعة الذّين انشقّوا عن الإمام عبد الوهّاب واعتبرتهم كتب الفرق فرقة من فرق الإباضيّة. انظر: الجعبيري: البعد الحضاري 213 تعليق 4.

[20] **الوهبيّة**: فرقة من فرق الإباضيّة وهم الجماعة الذّين آزروا الإمام عبد الوهّاب ولذلك ينسبون إليه: الجعبيري: البعد الحضاري: 56.

[21] الإدريسي: ن. م: 306.

[22] ن. م: 296.

[23] ن. م: 299.

وكذلك ينحو ياقوت الحموي (626/ 1228) نفس المنحى إذ يقول عند تعريف عمان: " وأكثر أهلها في أيّامنا خوارج إباضيّة ليس بها من غير هذا المذهب إلاّ طارئ غريب وهم لا يخفون ذلك "[24].

كما يقول عند حديثه عن جزيرة جربة: " وهم (أهل جربة) خوارج "[25].

ويقول عند تعريف مدينة تاهرت: " هرب عبد الرّحمان (ابن رستم) بأهله وما خفّ من ماله وترك القيروان، فاجتمعت إليه الإباضيّة واتّفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم"[26].

وكذا يقول عند تعريف مدينة شروس: "مدينة جليلة في جبل نفوسة... وأهلها إباضيّة خوارج... "[27].

وكذلك يقول ابن خلدون (808/ 1406) مثل ذلك: " لمّا فشا دين الخارجيّة في المغرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلجموهم، نزعوا إلى القاصية، وصاروا يبثّون بها دينهم في البربر ، فتلقّنه

---

[24] ياقوت الحموي: معجم البلدان دار صادر بيروت: 1397/ 1977، 4/ 217.

[25] ن. م: 2/ 118.

[26] ن. م: 2/ 9.

[27] ن. م: 3/ 217.

رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه ففشا في البربر، وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم، وانتحلوه وقاتلوا عليه "[28].

هذا ما تتّفق عليه المصادر غير الإباضيّة على اختلاف أنواعها، فمن باب أولى أن يكون ذلك أوضح في المصادر الإباضيّة ، و هذا ما سنورده مفصّلا في مضمون البحث ، و إنّما نكتفي بذكر ما جاء في كتاب لوّاب بن سلاّم[29]: " بدء الإسلام و شرائع الدّين من قوله : " ومن تسمية فقهائنا و أئمّتنا الذّين نروي عنهم ديننا بعد عهد النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم والصّحابة والتّابعين بإحسان من فقهاء أهل المدينة ،

---

[28] ابن خلدون: كتاب العبر بيروت 1956: 6/ 197.

[29] **لوّاب بن سلاّم** (بعد 273/ 887) مؤرّخ إباضي، من جبل نفوسة سليل أسرة عايش أفرادها أبرز أحداث الإباضيّة من أواسط ق 2/ 8. أغلب مستقرّه بجندوبة وهي أرض تقع على حدود غريان الجنوبية رحل إلى الحجّ حيث التقى بحجّاج عمان وعلمائهم. اعتنى اعتناء كبيرا بسير الإباضيّة ويعتبر كتابه بدء الإسلام وشرائع الدّين عمدة لمن جاء بعده من أصحاب السّير. انظر مقدّمة المحقّقين للكتاب المذكور ص 36- 41. انظر ما يلي ص 110 تعليق 1 .

وفقهاء مكّة ، و أهل البصرة ، وأهل الكوفة، وأهل اليمن، وعمان، وحضرموت، وخراسان "[30].

ومن خلال أسماء العلماء الذّين يذكر ابن سلاّم بعض أخبارهم ندرك متانة العلاقة المذهبيّة بين بعض مواطن بلاد المغرب وعمان، وكذلك بقيّة مراكز الإباضيّة وأهمّها مدينة البصرة[31].

و تجدر الملاحظة هنا أنّه رغم متانة هذه العلاقة بين الطّرفين لم تقع بين أيدينا دراسة تأليفيّة شاملة تتعلّق بالموضوع سوى ما جاء من بعض الصّفحات في الدّراسات التّالية:

---

[30] لوّاب بن سلاّم: بدء الإسلام وشرائع الدّين تحقيق الشّيخ سالم بن يعقوب وقيرز شقارتس. نشر جمعيّة المستشرقين الألمان. دار صادر. بيروت، 1406/ 1986: 108.

[31] **Pellat ch.** Le milieu basrien et la formation de Gahiz, Paris Maisonneuve, 1953. Ch. le milieu politico-religieux 4. Le Harigisme à Basra, 206 – 216.

ـ **عمرو خليفة النّامي**[32]: دراسات إباضيّة، أطروحة دكتوراه دولة نوقشت بكمبردج سنة 1971 ، و قد خصّص للموضوع اثنتي عشرة صفحة من 117 إلى 129 ألحّ فيها خاصّة على فضل مدينة البصرة في انتشار الإباضيّة ببلاد المغرب عن طريق ما عرف بحملة العلم، كما أشار إلى دور علماء المغرب (جبل نفوسة ، جربة ، وادي ميزاب) الفعّال في التّأليف والاتّصال بعمان.[33].

ـ **فرحات الجعبيري**: نظام العزّابة عند الإباضيّة في جربة وقد تعرّضنا فيه إلى علاقة عزّابة جربة ببقيّة المواطن الإباضيّة ومن بينها عمان إذ بيّننا قيمة بعض المراسلات والرّحلات

[32] **عمرو خليفة النّامي**: ولد بنالوت بالبلاد اللّيبيّة بجبل نفوسة 1942. وبها تعلّم. درس بمصر حيث تحصّل على الماجستير في الأدب. ناقش أطروحة دكتوراه الدولة بكمبردج 1971، فرحات الجعبيري: البعد الحضاري: 87 تعليق 151.

[33] عمرو خليفة النّامي: دراسات إباضيّة مرقونة بمكتبتي: 117- 129. باللّغة الإنجليزيّة وقد ترجمت إلى العربيّة. ط دار الغرب الإسلامي. 2000. ترجمة ميخائيل خوري.

Ennami A. K. Studies in Ibadism. A thesis submitted to the University of Cambridge for the degree of Doctor of Philosophy. Fitx William College Cambridge May 1971 430 p.

واللّقاءات في عمان ، و خاصّة في الحرمين الشّريفين ، أو في بلاد المغرب من خلال المصادر الّتي توفّرت بين أيدينا آنذاك[34].

ـ **سيّدة إسماعيل كاشف**: إباضيّة عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب، وهو بحث تقدّمت به إلى ندوة الدّراسات العمانيّة 1400/ 1980، يضمّ 80 صفحة فصّلت فيه الحديث عن الإمامات الإباضيّة الأولى الّتي قامت في بلاد المغرب في القرنين الثّاني والثّالث للهجرة وما وجدت من مدد من إباضيّة المشرق[35].

ـ **بحاز إبراهيم بكير**: الدّولة الرّستميّة 160 ـ 296 / 777ـ 909 دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة، وقد خصّص في هذا البحث تسع صفحات للحديث عن العلاقات

[34] فرحات الجعبيري: نظام العزّابة عند الإباضيّة في جربة نشر المعهد القومي للآثار والفنون المطبعة العصريّة بتونس 1975 والبحث قدم لنيل شهادة الكفاءة في البحث العلمي بكليّة الآداب بتونس 1971 انظر الصّلة بين جربة وعمان 295- 296 والصّفحات الّتي ذكرت فيها عمان. 18- 95- 239- 253- 288.

[35] د سيّدة إسماعيل كاشف: إباضيّة عمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب، حصاد ندوة الدّراسات العمانيّة. البحوث والدّراسات الّتي قدّمت في النّدوة، ذو الحجّة 1400 / نوفمبر 1980 . نشر وزارة التّراث القومي والثّقافة سلطنة عمان. مطابع العرب 1981: م 3/ 237. والكاتبة باحثة مصريّة اعتنت بتحقيق عديد من النّصوص الإباضيّة.

الثّقافيّة بين الدّولة الرّستميّة والمشرق العربي وقد ألحّ على عمان وأهل عمان بصفة خاصّة[36].

واضح إذن من خلال هذه الدّراسات أنّه لم يقع الاشتغال إلاّ بمرحلة النّشأة أمّا متابعة العلاقة بين عمان وبلاد المغرب عبر الزّمان فما تزال قضيّة بكرا تستوجب الاهتمام. وكما أسلفنا من قبل فإنّنا لا ندّعي أنّنا سنستوفي جميع جوانبها في هذا البحث المتواضع، وإنّما سنحاول أن نثبت امتداد هذه العلاقة إلى القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي من خلال ما توفّر بين أيدينا من النّصوص التّي تبرهن على ذلك.

ولقد أقمنا البحث على **أربعة فصول متفرّعة إلى مباحث**، وكانت هذه الفصول والمباحث متفاوتة الطّول بسبب وفرة المادّة المعتمدة أو قلّتها.

فإن قام كلّ فصل من **الفصول الثّلاثة الأولى** على مبحثين فقط فقد اشتمل **الفصل الرّابع** على أربعة بينما ضمّ **الفصل الخامس** والأخير ثلاثة مباحث.

---

[36] بحاز إبراهيم بكير: الدّولة الرّستميّة، دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة، مطبعة لافوميك. الجزائر 1985: 390- 399 والباحث إباضي جزائري، وبحثه ماجستير في التّاريخ نوقش ببغداد 1983.

وقد اتّبعنا في كلّ هذا الخطّ الزّمني من أواخر القرن الأوّل الهجري ، الثّامن الميلادي إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، السّابع عشر الميلادي و ذلك عندما ثبتت استحالة هيكلة البحث على مسلك آخر مثل خطّة العلاقات السّياسيّة والاقتصاديّة وما إلى ذلك.

لهذا استأثر **الفصل الأوّل** بالعلاقة من نهاية القرن الأوّل إلى منتصف القرن الثّاني بينما خصّص **الثّاني** للقرن الثّاني وكذلك **الفصل الثّالث** للقرن الثّالث. أمّا **الفصل الرّابع** فقد جمع القرون من الرّابع إلى السّابع. واعتنى **الفصل الأخير** بالفترة الممتدّة بين القرنين الثّامن والحادي عشر.

وركّزت مباحث الفصول الثّلاثة الأولى على أبرز أئمّة الإباضيّة في البصرة والمغرب مثل الإمام جابر بن زيد والإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعبد الرّحمان وعبد الوهّاب وأفلح من أئمّة الدّولة الرّستميّة.

بينما اضطررنا إلى إقامة مباحث **الفصلين الأخيرين** على توالي القرون لاضطراب الأوضاع بالمشرق والمغرب وتقلّص عدد الإباضيّة هنا وهناك بالنّسبة إلى هذه المرحلة من مراحل البحث.

وقد قدّمنا لهذه الفصول وما يتفرّع عنها من مباحث **بمقدّمة** ألححنا فيها على قصّة تأليف هذا البحث، ومدى شرعيّته **ووطّأنا** لها بتحديد الإطار الجغرافي للبحث بالنّسبة إلى عمان وبلاد المغرب ثمّ **ختمناها** بعرض لأهمّ الاستنتاجات.

وسيقوم منهجنا في هذا العمل على تحليل النّصوص والوثائق والتّأليف بينها واستنطاق الغامض منها ليخدم الغرض المطلوب والمتمثّل في معرفة حقيقة العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان.

هذا، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، فما كان من سداد في هذا البحث فمن الله وما كان من خطإ فمنّي، والحمد لله الذّي رفع عن النّاس الخطأ والنّسيان وما استكرهوا عليه كما ثبت في الحديث.

تونس في 11 صفر 1426/ 21 مارس 2005

فرحات

توطـــــئـــة

في التّعريف ببلاد المغرب وعمان وحدّهما:

1- بـــــلاد المـــــــغـــــرب:

يقول ابن عذاري نهاية ق 7/ 13: " قال أبو مروان في كتاب المقباس وابن حماد في كتاب القبس وغيرهما من المؤرّخين لأخباره (المغرب) المعتنين بآثاره: إنّ حدّ بلاد المغرب هو من ضفّة النيل بالإسكندريّة التّي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحدّه مدينة سلا" [37].

وقد قسّم الجغرافيّون القدامى هذه المنطقة إلى أقاليم هي: ليبيا وإفريقيا ونوميديا وموريتانيا الشّرقيّة وموريتانيا الغربيّة وجيتوليا وهي الصّحراء... "[38].

---

[37] ابن عذاري: البيان المغرب. 1/ 5

[38] محمّد علي دبّوز (1981/1402): تاريخ المغرب الكبير 1/5- 6.

ثمّ قسّمها العرب تقسيما مماثلا لهذا يقول ابن عذاري:

" و ينقسم (المغرب) أقساما: فقسم من الإسكندريّة إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلّها عمارة، وقسم من طرابلس إلى بلاد الجريد. ويقال أيضا: بلاد الزّاب الأعلى ويلي بلاد الزّاب الأسفل وحدّها في مدينة تاهرت. ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدّها مدينة سلا وهي آخر المغرب "[39].

والملاحظ أنّ البحث وقف خاصّة عند حدود الدّولة الرّستميّة التّي تمتدّ من أطراف المغرب الأوسط غربا إلى حيّز طرابلس وجبل نفوسة شرقا وإلى حدود الدّولة الأغلبيّة بإفريقيّة شمالا...

والملاحظ أنّ مصر وإن كانت جغرافيّا تابعة لبلاد المغرب فإنّ التّراث الإباضي يعتبر فقهاءها في القرن الثّاني مرجعا للفتوى على مستوى مركز الدّعوة بالبصرة، مع العلم أنّ الوجود

---

[39] ابن عذاري : البيان المغرب . 1 / 5 أخذت هذه التّعريفات من : د: المبروك المنصوري: أطروحة دكتوراه . الإسلام في بلاد المغرب من الفتح إلى موفّى القرن 6/ 12... نوقشت بكلية الآداب بمنّوبة جامعة منوبة 2004. مرقونة بمكتبتي. ص 85- 86.

الإباضي استمرّ بالفسطاط والإسكندرية إلى يومنا متمثّلا في بعض الأسر الإباضيّة وفي بعض الفقهاء وفي بعض التّجار[40].

ومهما يكن من أمر تبقى بلاد المغرب جزءا هامّا من حيث موقعها في العالم القديم والحديث على السّواء وهذا ما جعلها محطّ رهانات كبرى على مرّ التّاريخ، وقد راهن الإباضيّة على الانفراد بها فتكمّنوا من امتلاك قسم منها ردحا من الزّمن ثمّ تقلّص عددهم فيها في جبل نفوسة وزوارة بليبيا، وفي جزيرة جربة بالبلاد التّونسيّة[41]، وفي وادي ميزاب ووارجلان ببلاد الجزائر إلى يومنا هذا.

2- بـــلاد عمـــان:

تقع عمان في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربيّة، وحدودها الجغرافيّة تاريخيّا واضحة من الوجهة الطّبيعيّة، فأطرافها الشّماليّة تمتدّ إلى مسندم على ساحل مضيق هرمز، وتتداخل أراضيها مع رمال الرّبع الخالي من الغرب والجنوب

---

[40] الشّيخ سالم بن يعقوب: الإباضيّة في مصر. خ بمكتبته بغيزن. جربة.

[41] **Stablot :** Les Djerbiens ; Une Communauté arabo-berbère dans une île de l'Afrique française S. D. 164 p.

الغربي، ويفصلها عن البحرين وقطر رمال بينونة، وعن حضرموت رمال الأحقاف المتّصلة بالرّبع الخالي [42]وقد جعل هذا الموقع المتفرّد عمان تتميّز "بشخصيّة جغرافيّة" خاصّة، وأصبح اتّصالها بالبحر من سماتها الواضحة، وتميّز ساحلها الذّي يطلّ على هذا البحر بكثرة الخلجان الطّويلة العميقة ذات الجوانب الصخريّة العالية شديدة الانحدار، أمّا داخل عمان فمعظمه هضبة مرتفعة، متوسّط ارتفاعها نحو1500 متر ولها سلسلة فقريّة هي الجبل الأخضر الواقع إلى الجنوب الغربي من مسقط، والذّي ترتفع قممه إلى نحو ثلاثة آلاف متر. وتكثر في الهضبة الأودية السّحيقة ذات الجوانب شديدة الانحدار ، و يتّجه بعض الأودية إلى خليج عمان و بحر العرب ، و أهمّها وادي سمائل الذّي يصبّ قرب مدينة مسقط ، وهو من أعظم الأودية خصبا ، و ينتهي بعضها الآخر إلى صحراء الرّبع الخالي . و يوجد بها سهل ساحلي يشرف على خليج عمان يسمّى سهل الباطنة، تنساب إليه المياه من الهضبة، وتزرع به أنواع من الحبوب والفواكه بالإضافة إلى أشجار النّخيل، كما يوجد بها

[42] عبد الله يوسف غنيم، أقاليم الجزيرة العربيّة بين الكتابات العربيّة القديمة والدّراسات المعاصرة الكويت 1981 م، ص 42.

سهل ساحلي يطلّ على البحر العربي يسمّى جربيب تغذّيه مياه الآبار والأفلاج وتزرع فيه بعض أشجار النّارجيل والموز والعديد من الفواكه والخضروات، وفي غربي هذه الهضبة توجد واحات عديدة، من أشهرها واحة البريمي.

وإذا كان لموقع عمان كلّ هذه الأهميّة، فإنّ ذلك لا بدّ أن ينعكس على سير الأحداث التّاريخيّة، ولا بدّ أن يؤثّر في تحديد موقعها السّياسي، وبما يتّصل بها جغرافيّا من البلدان، بكونها تمثّل جزءا من بلاد العرب لوقوعها في الزّاوية الجنوبيّة الشّرقية من جزيرة العرب [43].

وبما أنّ موقع عمان كان أداة ربط وتفاعل بدولة الإسلام فإنّه من الطّبيعيّ أن تتأثّر بما يحدث في مركز الدّولة العربيّة الإسلاميّة فينعكس عليها وعلى بقيّة الأقاليم الإسلاميّة الأخرى وإن اختلفت الدّرجة. فكان أمن عمان واستقرارها وازدهارها متّصلا جميعه بمركز الدّولة العربيّة الإسلاميّة. ولهذا الارتباط الوثيق ركّز عليها كثير من الجغرافيّين والرّحالة في مختلف العصور الإسلاميّة.

[43] الإدريسي: جزيرة العرب، من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بغداد سنة 1971، ص 43.

ويدقّق الاصطخري في وصفها قائلا: عمان مستقلّة بأهلها كثيرة النّخيل والفواكه كالموز والرّمان والنّبق وغيره أمّا قصبة بلاد عمان فهي صُحار وتقع على البحر وبها متاجر البحر وتقصدها المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على ساحل البحر بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار[44]... بالإضافة إلى أنّ بلاد عمان تحتوي على مدن كثيرة، أمّا مساحتها فتبلغ 300 فرسخ[45]،

[44] الاصطخري (4/ 10): المسالك والممالك. تحقيق محمّد جابر عبد العال. ط 1961، ص 25

[45] الاصطخري، م. س. ص 25. وهكذا ذكر الاصطخري أنّ مساحة بلاد عمان تبلغ 300 فرسخ وذكر المقدسي في كتابه أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم. ص 93 أنّ مساحة كورة عمان 80 فرسخا مربّعا. والحقيقة أنّه ليس هناك تناقض بين الرّوايتين على اعتبار أنّ الاصطخري ذكر مساحة بلاد عمان كلّها. بينما ذكر المقدسي مساحة إحدى كورها. وهي كورة عمان. وأن تسمّى ولاية باسم الدّولة نفسها أمر وارد في التّاريخ القديم والحديث والكورة أو الولاية أو المحافظة أقلّ في المساحة بطبيعة الحال من مساحة عموم البلاد، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإنّ الاصطخري وغيره من الجغرافيّين العرب لم يقصدوا بالأرقام التّي دوّنوها في كتبهم ذكر المساحة الدّقيقة أو المساحة الكليّة للبلاد التّي زاروها أو كتبوا عنها، إنّما كانوا يقصدون في الواقع مساحة الجزء المعمور الذّي شاهدوه ومشوا فيه، أمّا بقيّة البلاد أو الأجزاء الدّاخليّة

والمسافة بين عمان والبحرين مسيرة شهر واحد، ومنها إلى أرض مهرة نحو شهر كذلك[46].

ويذكر ابن حوقل أنّ عمان ناحية ذات أقاليم مستقلّة بأهلها فسيحة كثيرة النّخيل والفواكه من الموز والرّمان ونحو ذلك، وإنّها بلاد حارّة ومع ذلك فيسقط على رؤوس بعض جبالها ثلج خفيف... أمّا قصبتها فمدينة صحار الواقعة على البحر، وبصحار من التّجار والتّجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا يكاد يعرض على شط بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار، ولعمان مدن كثيرة[47].

والصحراويّة والرّملية التّي لم يروها، فقد كانت لا تدخل ضمن تقديراتهم في الغالب. وعلى ذلك فإنّ الثلاثمائة فرسخ أو الثّمانين فرسخا لم تكن في الواقع إلاّ مساحة الجزء المعمور من عمان أو طول الجزء التّي سار فيه من نقل عنه كلّ من الاصطخري والمقدسي في بلاد عمان التّي يزيد طولها وبالتّالي مساحتها عن ذلك بكثير. وخاصّة في العصور الإسلاميّة حيث كانت تمتدّ حدودها في تلك العصور من البحرين إلى حضرموت.

[46] الاصطخري، المصدر السّابق، ص 27.

[47] ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (ب. ت) ص 27 – 30.

و يقسّم المقدسي (بعد 390 / 999) في كتابه :" أحسن التّقاسيم" الجزيرة العربيّة إلى أربع كور جليلة واسعة ، و أربع نواح نفيسة فهي الحجاز و اليمن و **عمان** و هجر ... و يقول بأنّ كورة عمان كورة جليلة مساحتها 80 فرسخا مربّعا [الرّقم الصّحيح ثمانون ألف فرسخ] ، كلّها بساتين ، و يستقي أهلها من آبار قريبة ... أمّا قصبة عمان فهي مدينة صحار ، و من مدنها نزوى ، ضنك ، حفيت ، دبا ، سلوت ، جلفار ، سمد ، بسيا ، منح ... "

و صحار دهليز الصّين ، و خزانة الشّرق و العراق ، و مغوثة اليمن ، و يستقي أهلها من آبار عذبة و قناة حلوة . و بها مسجد جميل يقع على البحر في آخر السّوق . له منارة حسنة طويلة ، و محراب بلولب يدور فتراه مرّة أصفر و مرّة أخضر و حينا أحمر ... "[48]

وهكذا تعدّدت الكتابات التّي وردت عن عمان عند الجغرافيّين العرب بدءا من القرن الثّالث وحتّى القرن التّاسع للهجرة، وجادت بمعلومات وفيرة عن موقع عمان وأهميّته،

[48] المقدسي : أحسن التّقاسيم ط 2 . ليدن . بريل، 1967 ص 68. 70. 93.

وثرواتها الاقتصاديّة، ومحاصيلها الزّراعيّة، ومدنها الهامّة، وعلاقاتها التّجاريّة بمختلف دول العالم المعروف وقتذاك[49].

ويهمّنا كما سنرى في البحث أنّ لبلاد عمان فضلا كبيرا في بعث المركز الأمّ للدّعوة الإباضيّة بمدينة البصرة بفضل من استقرّ فيها من الأزديّين أهل الإمام جابر بن زيد وأتباعه ومن انضمّ إليهم من التّميميّين بفضل الإمام عبد الله بن إباض التّميمي ومن انضمّ إليهم من القبائل التّي آزرت أهل الدّعوة في دعوتهم التّي راهنوا على تبليغها إلى أهل المغرب، فتحقّق لهم ذلك واستقامت العلاقة بين عمان وبلاد المغرب عبر الزّمان بفضل الرّابطة المذهبيّة وهذا ما أكسب موضوعنا شرعيّته كما بيّنا في المقدّمة.

فكيف نشأت العلاقة بين إباضيّة البصرة وإباضيّة عمان وبلاد المغرب ؟

[49] أخذت هذه المعلومات من كتاب عمان في التّاريخ من ص 15 إلى 29. فقرات متفرّقة.

الفصـــل الأوّل

نشأة العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمـــان

تـــمـــهـــيـــد[1]

انطلق نور الهداية من مدينة رسول الله : وما هي إلاّ سنوات قلائل حتّى برق هذا النّور في أطراف العالم آنذاك من الخليج وما بعد الخليج إلى المحيط وما فوق المحيط، إنّها معجزة رسالة الإسلام.

وما هي إلاّ عقود ثلاثة حتّى بدت بوادر الافتراق في صفوف الأمّة الواحدة وفي هذا الخضمّ المتلاطم انبثقت جماعة تعرّف نفسها **بجماعة المسلمين** أو **أهل الاستقامة** أو **أهل الدّعوة** وما فتئ معاصروها حتّى نسبوها إلى أحد أئمّتها المدافعين عنها وهو عبد الله بن إباض المتوفّى قبل (705/86)[2] وقالوا إنّها الفرقة الإباضيّة.

---

[1] لا نريد أن نطيل الكلام عن الأحوال السّياسية إلاّ بقدر ما تفرضه ضرورة ترابط المعاني لأنّها عولجت تفصيلا في جلّ المراجع الّتي نحيل عليها.

[2] **عبد الله بن إباض التّميمي المرّي** (ت قبل 86/ 705): " إمام أهل التّحقيق والعمدة عند شغب أولي التّفريق" (الشّماخي: السّير 77). سكتت المصادر عن نشأته الأولى إلاّ أنّها تشير إلى أنّه كان يعمل برأي الإمام جابر

وبما أنّ الإشكاليّة المطروحة في بحثنا هذا هي السّعي إلى التّعرف على علاقة إباضيّة المغرب بإباضيّة المشرق فبماذا تسعفنا النّصوص عن نشأة هذه العلاقة- إن وجدت- زمن الإمام عبد الله بن إباض وصنوه الإمام جابر بن زيد (93/ 711) وذلك هو محور المبحث الأوّل.

ابن زيد ونسب المذهب إليه لبروزه على الواجهة السّياسيّة خاصّة في اجتماع المحكّمة بالبصرة سنة (64/ 683) وبقائه على مسلك المحكّمة الأول على أساس عدم جواز تشريك من يقام الأذان في مساجدهم. وكذلك في مراسلاته لعبد الملك بن مروان (65- 86/ 685- 705). وقد وضّح آراء الإباضيّة من الأحداث السّياسيّة بجرأة رغم ما فيها من إساءة للأمويّين والرّاجح أنّه توفّي قبل 86/ 705. ر: البرّدي: الجواهر 165- 167. ر: الدّرجيني: الطّبقات 2/ 214، ر: الشّماخي: السّير: 77. ر: عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة 75- 85، ر. عمّار الطّالبي: أراء الخوارج الكلاميّة 1/ 193.

وهذا ما جاء في كتب السّير في شأن اجتماع عبد الله بن إباض ونافع ابن الأزرق في صومعة الجامع بالبصرة: " وذلك أنّ المسلمين بعد قتل أبي بلال اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج، وفيهم عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق ووجوه المسلمين، فلمّا جنّ اللّيل سمع عبد الله دويّ القرّاء وترنين المؤذّنين وحنين المسبّحين فقال لأصحابه: " أعن هؤلاء أخرج معهم، فرجع وكتم أمره " (البغطوري: سير مشائخ نفوسة ص 3 خ بمكتبة سالم ابن يعقوب غيزن جربة. ر: البرادي: الجواهر ص 155.

المبحث الأوّل

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان زمن الإمام جابر بن زيد 93/ 711

تتّفق المصادر الإباضيّة على أنّ الإمام عبد الله بن إباض إنّما كان يصدر رأيه عن أسّ الجماعة ودعامتها وهو الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني (93/ 711 م)[3] .

---

[3] **جابر بن زيد** (93/ 711): هو أبو الشّعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري العماني، والجوفي نسبة إلى ناحية بعمان. وأصله من فَرق وهي بلدة من أعمال نزوى بالقرب منها، وكان من اليحمد من ولد عمرو بن اليحمد. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطّاب أي سنة (21/ 642). رحل في طلب العلم وصاحب عبد الله بن عبّاس وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه، كما أخذ عن جمع غفير من الصّحابة إذ يقول: " أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلاّ البحر " يعني ابن عبّاس لغزارة علمه. لقد استقرّ في البصرة ونسب إليها وهو أصل المذهب الإباضي، وهو أوّل من جمع الحديث في ديوان (مفقود) تروي المصادر أنّه وقر بعير.

ومع أنّ الإمام جابر بن زيد عماني المنشإ إلاّ أنّ المصادر تذكر أنّه اختار البصرة مستقرّا، وبها أرسى أسس دعوته، لذلك تكاد توازي البصرة في هذه المرحلة المبكّرة بما فيها من أحياء الأزديّين والتّميميّين عُمان، لأنّ كلّ علماء عُمان إنّما كانوا بين عمان والبصرة والحرمين... وكذا أهل المغرب، وإنّما كانت صلتهم بالحرمين الشّريفين وبالبصرة، إلى أن يأفل نجم البصرة لتقوم مقامها عُمان وغيرها من مراكز الإباضيّة كحضرموت وخراسان في المشرق.

والقضيّة الّتي نثيرها في هذا الصّدد، تتمثّل في التّساؤل عن إمكانيّة اتّصال بعض أهل المغرب بالإمام جابر بن زيد، هذا الدّاعية الذي لم يسعفنا الزّمن بنسخة من مراسلاته مع دعاته إلاّ

وقد أخذ عنه العلم ناس كثير من بينهم الإمام الثّاني للإباضيّة وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التّميمي، وعنه روى الرّبيع بن حبيب كتاب الجامع الصّحيح وهو عمدة الإباضيّة في الحديث ط بالقاهرة بالمطبعة السّلفيّة 1349. ر. الدّرجيني: الطّبقات 2/ 205- 212، والشّمّاخي: السّير: 70 ر: النّامي: الأطروحة ص 54- 93 وقد أحال على كلّ المصادر الإباضيّة وغير الإباضيّة ر: عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة ص 86- 102.

في إحدى خزائن مكتبات بلاد المغرب ألا وهي المكتبة البارونيّة بجزيرة جربة[4].

ولسوء الحظّ لا يسعف تحليل هذه الرّسائل القليلة الباقية من رسائل هذا الإمام[5] بأدنى إشارة من هذا القبيل، وكذا ما بين أيدينا من بقيّة المصادر الإباضيّة وغير الإباضيّة الّتي ترجمت للإمام جابر بن زيد.

وهذا يرجع بدون شكّ إلى المرحلة السّريّة الدّقيقة الّتي كانت تجتازها نشأة الحركة الإباضيّة الّتي كانت محاصرة محاصرة شديدة من الدّولة الأمويّة وعمّالها، كزياد ابن أبيه (53/ 673) وابنه (67/ 686) والحجاج (95/ 673).

ولا نستبعد أن تكون هناك اتّصالات بين الإمام جابر وأهل المغرب عسى أن يجود الزّمن ببعض ممّا تلاشى من النّصوص ممّا قد يزيد توضيح ما اكتنف هذه المرحلة من سريّة وكتمان.

---

[4] تقع المكتبة البارونيّة بحومة الحشّان بجزيرة جربة، تضمّ أحسن رصيد من التّراث الإباضي.

[5] عثر الأستاذ عمرو النّامي على هذه الرّسائل في المكتبة البارونيّة وخرّجها من النّسخة المخطوطة، نحن الآن بصدد تحقيقها إن شاء الله تعالى.

إن بقي الأمر في شأن العلاقة بين بلاد المغرب وإباضيّة بلاد المشرق في مستوى الافتراض في هذه المرحلة الدّقيقة من حياة أهل الاستقامة (الإباضيّة) فماذا عن هذه العلاقة زمن أبي عبيدة ؟

المبحث الثّاني

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان زمن الإمام أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة (145/ 762)

سنحاول في هذا المبحث أن نثبت أنّ ما شهدته العلاقة من قفزة قويّة في المرحلة الأولى من تولّي الإمام الثّاني أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[6] مسؤوليّة الدّعوة بالبصرة، إثر خروجه من

---

[6] **أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة** (نحو145/ 762). تميميّ بالولاء. أخذ العلم عن جابر بن زيد وجعفر السّماك وصحار العبدي، وإليه انتهت رئاسة الإباضيّة بعد موت جابر، وبإشارته أسّس الإباضيّة في كلّ من المغرب وحضرموت دولا مستقلّة، وتخرّج على يديه رجال من مختلف البلاد الإسلاميّة آنذاك عرفوا بـــ " حملة العلم " وعن طريقهم انتشر المذهب الإباضيّ وفقهه في مختلف البلاد الإسلاميّة، توفّي أبو عبيدة نحو سنة 145/ 762. و لأبي عبيدة يرجع الفضل في إرساء قواعد الإباضيّة و هو المنظّر الفعلي لمسالك الدّين من ظهور و شراء و دفاع و كتمان بفضل ما كان يديره من مجالس في مدينة

سجن الحجّاج بعد موت الحجّاج يصعب أن تكون بدون تمهيد سابق.

وتتمثّل هذه القفزة في رحلة ابن مغطير النّفوسيّ إلى البصرة ثمّ في رحلة سلمة بن سعد من البصرة إلى القيروان وفيما كان من مراسلات بين إباضيّة المغرب ومركز الدّعوة بالبصرة والتّخطيط لإقامة إمامة ظهور راسخة القدم بالمغرب.

1- رحلة محمّد بن مغطير النّفوسي من جبل نفوسة إلى البصرة.

معلوم أنّ كلّ الفرق الإسلاميّة تنفّست نسيم الحريّة زمن خلافة "خامس الخلفاء الرّاشدين" عمر بن عبد العزيز (99- 101/ 719- 720) وسارع الإباضية بإرسال وفدهم إليه وكان هذا الوفد يتكوّن من الرّعيل الأوّل الّذي عاصر الإمام جابر بن زيد، وهم جعفر بن السمّاك وأبو الحرّ علي بن الحصين العنبري، والحتّات

البصرة . ر. الدّرجيني : الطّبقات 2 / 238 ، الشّمّاخي : السّير 83، الزّركلي: الأعلام 8 / 120 ابن خلفون : أجوبة ابن خلفون ، تعليق النّامي . 120.

ابن كاتب، والحباب بن كليب، وأبو سفيان قنبر البصري، وسالم بن ذكوان[7]، وقد فاوضوه على إصلاح الأوضاع وإماتة البدع ومن بينها بدعة لعن الإمام عليّ على منابر خطب الجمعة.

---

[7] أبو العبّاس أحمد الشمّاخي (928/ 1522) كتاب سير المشايخ ط حجريّة القاهرة 1301: 98 و123.

جعفر بن السّماك العبدي (حيّ بن 99- 101/ 717- 719) تابعيّ عالم، وشيخ نبيه. أخذ العلم عن جابر بن زيد بالبصرة، وغير بعيد أن يكون أخذ عن مجموعة من الصّحابة خاصّة أنس بن مالك رضي الله عنه .

قال الدّرجيني: "هو شيخ أبي عبيدة، وكان ما حفظ عنه أبو عبيدة أكثر ممّا حفظه عن جابر". مجموعة من المؤلّفين: معجم أعلام الإباضيّة من القرن 1 إلى 15 هـ. قسم المغرب 4 أجزاء نشر جمعيّة التّراث. القرارة الجزائر المطبعة العربيّة. غرداية الجزائر. 1420/ 1999. عدد 263. نشير إليه فيما يلي من إحالاتنا بـ أعلام.

عليّ بن الحصين العنبري (أبو الحرّ) (ت 130/ 747) عاش في أوائل القرن الثّاني الهجري في مكّة، وصنّفه الدّرجيني ضمن الطّبقة الثّالثة (100- 150) فهو من تابعي التّابعين، ومن أئمّة الإباضيّة الأوائل.

تتلمذ على إمام أهل الدّعوة أبي الشّعثاء جابر بن زيد، وعاصر الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

لأبي الحرّ مجلس علم بمكّة، يجتمع إليه علماء أهل الحقّ والاستقامة، وممّن كان يحضره أبو سفيان محبوب بن الرّحيل.

وهو الّذي ترأّس الوفد. أسره جند مروان بن محمّد وقيّدوه في الحديد فقتل في مكّة تحت راية أبي حمزة المختار بن عوف حوالي 130 أعلام عدد 632.

الحتّات بن كاتب (أبو عبد الله) (حيّ بين: 99- 101/717- 719 عراقي من بني توام، واسمها اليوم البريمي (واحة بدولة الإمارات، تابعة لسلطنة عمان)، وقيل إنّه كان ينزل بنزوى من عمان.

اشتهر بالفقه والعلم، وهو من الأوائل الّذين سعوا لنشر مبادئ حركة أهل الدّعوة والاستقامة.أعلام عدد 255.

الحباب بن كليب: لا نعرف عنه سوى أنّه كان ضمن الوفد المذكور.

قنبر المصري (أبو سفيان) (حيّ بين 99- 101/ 717- 719) أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد. كان شيخا تقيّا زاهدا.

سجنه الحجّاج وجلده ليدلّ على إخوانه، وكان معه جابر بن زيد فلم يدلّ عليه. أعلام عدد 755.

سالم بن ذكوان الهلالي (حيّ بين 99- 101/ 717- 719) من مواليد " توام " بعمان، أحد التّابعين، ومن أركان الحركة الإباضيّة في عهد نشأتها، فقد كاتف الإمام جابر بن زيد وخليفته أبا عبيدة مسلم.

له سيرة تعرف بـــ " **سيرة سالم بن ذكوان** " يعرض فيها المبادئ الأساسيّة الّتي يقوم عليها مذهب أهل الدّعوة والاستقامة، (مط).

وهو أحد القرّاء المشهود لهم بالعلم، وقد روى عن عبد الله بن عامر الشّامي. أعلام عدد 366.

وفي هذا الظّرف تنوّه المصادر الإباضيّة برحلة أوّل مغربي إلى مركز الدّعوة بالبصرة، وأنّى له أن يعرف أخبار الدّعوة لولا وصول أخبارها إليه من قبل، خاصّة، وأنّ مصر هي الأخرى نالت نصيبها من نشر الدّعوة الإباضيّة، وأوّل من يذكره الشمّاخي من مشايخ مصر ابن اليسع من أهل مصر وأبو إسحاق إبراهيم المصري وعيسى بن علقمة المصري[8].

وهذا المنوّه برحلته هو ابن مغطير الجنّاوني النّفوسي يقول صاحب السّير في شأنه: " إنّه كان شيخا فاضلا فقيها مفتيا، كان ممّن أخذ عن أبي عبيدة مسلم، ثمّ قدم بعده الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا[9] ".

[8] الشّماخي: سير.: 122.

لا نعرف عن **ابن اليسع وأبي إسحاق** سوى ما ذكره الشّماخي. أمّا **عيسى بن علقمة المصري** (100- 150/ 718- 767) فهو من مشائخ المغرب، من أهل مصر، وداعية من دعاة الإباضيّة، وهو من متكلّميها وحذّاق علمائها.

من مؤلّفاته: " **كتاب التّوحيد الكبير** " الذّي عارض فيه من قال بأنّ أسماء الله مخلوقة، وصفاته محدثة. ويعتبر أقدم تأليف في العقيدة يؤلّفه عالم من بلاد المغرب. ولا يزال هذا المؤلّف في عداد المفقودات. أعلام عدد 710.

[9] ن. م: 143.

واضح أنّ رحلة ابن مغطير كانت سابقة لرحلة سلمة بن سعد[10] الّذي تعتبره المصادر الإباضيّة أوّل من جاء يدعو إلى

محمّد بن عبد الحميد بن مغطير الجنّاوني النّفوسي (حي بعد 160/ 776) شيخ فاضل، وعالم فقيه من قرية إيجنّاون بجبل نفوسة.

يعدّ من أوائل إباضيّة المغرب، بل هو أوّل من رحل إلى المشرق للتّعلّم، فدرس على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، قبل سلمة بن سعد، وقبل حملة العلم الخمسة إلى المغرب، وذلك على رأس القرن الأوّل للهجرة.

ثمّ عاد إلى موطنه جبل نفوسة، وصار عالما ومرجعا للفتوى، إلى أن عاد حملة العلم من مدرسة أبي عبيدة، فكفّ عن الإفتاء، لوجود من يقوم بالمهمّة، ويكفيه تبعاتها.

وقد عدّه صاحب الإباضيّة في موكب التّاريخ من تابعيّ التّابعين، إذ ليس بينه وبين الصّحابة إلاّ رجلان: أبو عبيدة وجابر بن زيد.

عمّر ابن مغطير طويلا، فأدرك نشأة دولة أبي الخطّاب عبد الأعلى ابن السّمح المعافري سنة 140/ 757، ودولة أبي حاتم الملزوزي سنة 154/ 770 والدّولة الرّستميّة سنة 160/ 777، وعايش أحداث هذه الدّولة، فاتّخذه الإمام عبد الرّحمان بن رستم مرجعا للفتوى في جبل نفوسة، وكان يحضر مجالس علمه. أعلام عدد 835 وعن الخمسة المذكورين. ر.ص47-53.

[10] **سلمة بن سعد بن عليّ بن أسد الحضرمي اليمني** (حيّ في: 135/ 752) عالم عامل وداعية، صنّفه الدّرجيني في طبقة تابعيّ التّابعين، أخذ

الإباضية بالمغرب، والرّاجح أنّ هذه الرّحلة كانت على رأس القرن الأوّل لهجرة الرّسول صلى الله عليه وسلم.

و يصعب أن نحدّد تاريخا مضبوطا لهذه الرّحلة ، و هي لا شكّ كانت بعد سنة 95 / 714 و هي سنة خروج الإمام

العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعن ضمام بن السّائب... وغيرهم

هو أوّل من جاء من البصرة بمذهب الإباضيّة، ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي.

قيل إنّه جاء في بداية القرن الثّاني الهجري/ الثّامن الميلادي، أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فجاء هو وعكرمة مولى ابن عبّاس، يتعاقبان جملا واحدا. كان سلمة يدعو لمذهب الإباضيّة، وعكرمة يدعو لمذهب الصّفريّة.

ولعلّ توجّه محمّد بن عبد الحميد بن مغطير النّفوسيّ إلى البصرة من آثار دعوته، ثمّ تلاه فوج آخر بعد عودة ابن مغطير يتكوّن من أربعة مغاربة، وهم: إسماعيل بن درار الغدامسي من ليبيا، وأبو داود القبلي النّفزاوي، وعبد الرّحمان بن رستم من القيروان، وعاصم السّدراتي.

وقد نجحت جهود سلمة بن سعد في الدّعوة الإباضيّة، وكان يقول في نفسه قبل ذلك: " وددت أن لو ظهر هذا الأمر من أوّل النّهار إلى آخره فلا أبالي إن متّ بعد ذلك " وكلّ ذلك حرصا في الدّعوة، وإيمانا بالمذهب وصواب نهجه، فانتشرت الإباضيّة في بلاد المغرب الإسلامي منذ ذلك اليوم. أعلام عدد 418.

أبي عبيدة من السّجن لأنّ المصادر لا تذكر أنّه أدرك الإمام جابر بن زيد.

وواضح من خلال ما يرويه الشمّاخي عن تورّع ابن مغطير عن الفتوى بعد وصول طلبة العلم، على أساس أنّه أخذ عن أبي عبيدة قبل أن يحرّر المسائل بينما أخذوا عنه بعد أن استقرّت عديد من اجتهاداته[11]، أنّ الرّحلة كانت في وقت مبكّر، أي حال تولّى الإمام أبي عبيدة مسؤوليّة الدّعوة.

2- رحلة سلمة بن سعد إلى القيروان وإرسال حملة العلم إلى البصرة

ومن سراديب **البصرة وبتأييد من الأزديّين العمانيّين**، يستقرّ الأمر مع أبي عبيدة على السّعي إلى تركيز الدّعاة في أطراف دولة الخلافة الأمويّة[12]، كبلاد اليمن وعُمان وبلاد المغرب، خاصّة وأنّ دولة بني أميّة بدأت تسير في طريق الانهيار.

---

[11] الشّماخي: سير: 143- 144.

[12] **Lewiski T.** Les Ibadites dans l'Arabie du Sud au Moyen Age. F. O. Krakow, 1959. Fascicule I : 1-17.

وفعلا ينطلق سلمة بن سعد بحماس الدّاعية المؤمن بقضيّته ونشر لواء العدالة حيثما مرّ، ولا شكّ أنّه تعاون مع ابن مغطير لنشر أسس الدّعوة في جبل نفوسة، وواصل مسيره ليحطّ الرّحال بمدينة القيروان قصبة إفريقيّة، وهنالك يعمل على تكوين بعثة علميّة منظّمة تنهل العلم من منابعه ويلبّي الدّعوة أربعة: **عبد الرّحمان بن رستم** "[13] فارسي الأصل" ساقته الأقدار إلى

---

[13] **عبد الرّحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى** (حكم: 160- 171/ 777- 788) ولد بالعراق في العقد الأوّل من القرن الثّاني الهجريّ على أكبر تقدير. ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس، فهم أجداده، إلاّ أنّ بعض المؤرّخين يعيدون نسبه إلى اللذارقة، ملوك الأندلس قبل الإسلام، والمهمّ أنّه في كلتا الحالتين سليل بيت الملوك قبل الإسلام.

من العراق سافر به أبوه وأمّه إلى الحجاز، لأداء فريضة الحجّ، إلاّ أنّ الأب وافاه أجله، وترك يتيما وأرملة، ثمّ تزوّجت الأرملة برجل مغربيّ أخذها وابنها اليتيم إلى القيروان.

وفي مدينة القيروان- أوّل مدينة إسلاميّة عربيّة بالمغرب- نشأ عبد الرّحمان، وتعلّم مبادئ العلوم، ثمّ صادف نشر الدّعوة الإباضيّة في تلك الرّبوع، فتعلّق بها، ونصحه سلمة بن سعد بالسّفر إلى المشرق إن أراد الاستزادة من تعاليم المذهب الإباضيّ.

فانتقل عبد الرّحمان- رفقة حملة العلم- إلى البصرة سنة 135/ 752، وقضوا سنين في مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثمّ عادوا إلى المغرب

لمواصلة جهود الدّعاة وإقامة إمامة الظّهور، متى سمحت لهم الفرص واستأنسوا من أنفسهم القوّة.

عيّن واليا وقاضيا على القيروان في دولة أبي الخطّاب عبد الأعلى المعافري (140 - 144/ 757 - 761)، بعد أن افتكّها هذا الإمام من يد ورفجومة الصّفريّة الّتي عاثت فيها فسادا، وولايته على القيروان هي من أولى مسؤوليّاته السّياسيّة.

وقاد ابن رستم جيشا يتكوّن من إباضيّة القيروان وقابس وضواحيها لمساندة الإمام أبي الخطّاب في معركة تاورغا 144/ 761، إلاّ أنّه فوجئ بخبر انهزام الإمام قبل أن يصل إليه، فولّى راجعا إلى قابس والقيروان الّتي دخلها خائفا يترقّب، وقد تغيّرت عليه. وهناك قرّر الفرار بنفسه نحو المغرب الأوسط بعيدا عن نفوذ العبّاسيّين المباشر، وفي خطواته نحو المغرب الأوسط خطوات لإقامة الدّولة الرّستميّة، الّتي سوف ترفع مقامه إلى مقيمي الدّول ومنشئي الحضارات.

وفي منطقة تيهرت- بالغرب الجزائريّ حاليّا- اعتصم عبد الرّحمان بجبل يعرف بجبل سُوفَجّج، هو وجماعته الّذين اتّبعوه فرارا من محمّد بن الأشعث الخزاعي قائد جيوش العبّاسيّين الموجّهة إلى المغرب.

ولمّا وجدت هذه الفئة المكان الحصين قرّرت بناء مدينة تأويهم، وتأوي مذهبهم وطموحاتهم، فأسّسوا مدينة " تيهرت "- " تاهرت "، " تيّارت "-، فاختير عبد الرّحمان بن رستم إماما لأوّل دولة إسلاميّة مستقلّة بالمغرب الأوسط، عرفت في التّاريخ باسم " الدّولة الرّستميّة " نسبة إلى والد عبد الرّحمان، كما جرت العادة في تسمية الدّول الإسلاميّة في العصور الوسطى بأسماء آباء المؤسّسين.

وهكذا حقّق عبد الرّحمان للإباضيّة عام 160/ 777 ما كان يطمح إليه أئمّة المذهب، منذ عبد الله بن وهب الرّاسبي، وما كان يطمح إليه هو منذ صغره، بعد أن تحمّل مختلف المتاعب. فتسارع الإباضيّة نحوه مساندين للدّولة النّاشئة، مباركين للإمام والإمامة. وصفه ابن الصّغير- مؤرّخ الدّولة الرّستميّة- قائلا: " فسار بهم سيرة حميدة، أوّلهم وآخرهم، ولم ينقموا عليه في أحكامه حكما، ولا في سيره سيرة، وسارت بذلك الرّكبان على كلّ البلدان... وقوي الضّعيف، وانتعش الفقير، حسنت أحوالهم وخافهم جميع من اتّصل به خبرهم، وأمنوا ممّن كان يغزوهم من عدو، ورأوا أنّهم قادرون على غيرهم، ومن كانوا يخافون أن يغزوهم... "

ولم يكتف عبد الرّحمان بتأسيس الدّولة ونشر المذهب، بل اشتغل بالتّأليف، فترك كتابين: أحدهما في **تفسير كتاب الله العزيز**، ولكنّه لم يصلنا، والثّاني: يذكره أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، اطّلع عليه جمعت فيه **خطبه**.

وبما أنّ عبد الرّحمان أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب، فهو من العلماء الّذين جازت عليهم سلسلة نسب الدّين، إذ أخذ علمه عن أبي عبيدة، وعنه أخذ خلق كثير، منهم: ابنه عبد الوهّاب، وبعض أعضاء مجلس السّبعة الّذين رشّحهم للإمامة من بعده، وجعل الأمر شورى بينهم اقتداء بفعل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . كان عهد عبد الرّحمان عهد استقرار وبناء، نظّم فيه إدارة الدّولة، وبسط العدل، ووزّع الأموال، فذهب محمود السّيرة مشكور الإمامة، من الأقدمين والمحدَثين.

وتوفّي رحمه الله سنة 171/ 787. أعلام عدد 544.

القيروان مع زوج أمّه، و**عاصم السّدراتي**[14] من سدراته غربي أوراس، و**أبو داوود القبلّي النّفزاوي**[15] من نفزاوة جنوب إفريقيّة.

---

[14] **عاصم السّدراتي** (ت 141/ 758) من أئمّة المغرب ومشاهير علمائه، قيل إنّ أصله من قبيلة سدراته في جبال الأوراس بشمال الجزائر، وقيل بل من قرب وارجلان جنوب الجزائر، وهو أحد حملة العلم الخمسة الّذين سافروا من المغرب للتّعلّم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، ومكثوا عنده خمس سنين من 135 إلى 140.

بعد العودة حمل عاصم لواء الدّعوة والتّعليم، وجعل يبصّر النّاس بأمور دينهم، ويحلّ مشاكلهم، وظلّ يتنقّل بين القرى والبوادي من جبل نفوسة إلى غدامس وجبال الأوراس، واتّخذ في طريقه عدّة مصلّيات، كانت معقد حلقات علمه، وتتلمذ على يديه علماء أجلاّء منهم الطّبقة الّتي تلت طبقة حملة العلم: كعبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم، وأيّوب بن العبّاس، وأبي مرداس، وأبي الحسن الأبدلاني، ومحمّد بن يانس وغيرهم. أعلام عدد 528.

[15] **أبو داود القبلّي النّفزاوي** (حيّ في 140/ 757) أحد الأعلام الكبار، أصله من نفزاوة بإفريقيّة، أخذ علومه الأولى عن سلمة بن سعد، ثمّ انطلق مع عبد الرّحمان بن رستم من المغرب إلى العراق، ليتلقّى مختلف العلوم عند أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ما بين سنتي 135- 140/ 752- 757، فكان أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب.

وعند رجوعه إلى بلدته، اعتزل السّياسة، واهتمّ بالتّدريس وتكوين الأجيال، وتعليمهم أمور دينهم. أعلام عدد 303.

و**أبو درار إسماعيل بن درّار الغدامسي**[16] من غدامس جنوب طرابلس، وانضمّ إلى هؤلاء في البصرة **أبو الخطّاب عبد الأعلى المعافري**[17] وهو عربي من اليمن وهؤلاء هم **حملة العلم** إلى المغرب كما تجمع على ذلك المصادر الإباضيّة.

---

[16] **إسماعيل بن درّار الغدامسي** (أبو المنيب) (حيّ في 211/ 826) من طرابلس الغرب، سافر إلى البصرة في البعثة الّتي أرسلها سلمة بن سعد، والتحق بحلقة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الّتي كانت مستخفية في سرداب، فقضى معه خمسة أعوام في طلب العلم الشّرعي، وخاصّة فقه المعاملات والأحكام.

فلمّا قضى إسماعيل الأجل، همّ بوداع شيخه أبي عبيدة، والعودة إلى المغرب مع رفاقه، فسأل أستاذه عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام، حتّى قال له شيخه: " أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درّار ؟ " فقال: " أرأيت إن ابتليت بذلك يا شيخ ! ".

وبرجوع هذه الكوكبة المباركة الّتي سمّيت بـــ " حملة العلم إلى المغرب " قامت إمامة الظّهور في طرابلس الغرب تحت قيادة أبي الخطّاب عبد الأعلى ابن السّمح المعافري، بين 140 و145، فعيّن إسماعيل قاضيا للإمامة، وصدقت فيه فراسة شيخه، واشتهر بالعدل والحكمة. أعلام عدد 107.

[17] **عبد الأعلى بن السّمح بن عبيد المعافري الحميري اليمني** (أبو الخطّاب) (ت 144/ 761) من علماء اليمن في القرن الثّاني الهجري، أخذ علمه عن أستاذ المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة،

وهناك التقى بالطّلبة المغاربة الّذين وفدوا إلى أبي عبيدة لطلب العلم سنة 135/ 752.

وبعد خمسة أعوام من التّلقي انضمّ أبو الخطّاب عبد الأعلى إلى حملة العلم المغاربة، فانتقل معهم إلى المغرب لمواصلة الدّعوة في تلك الرّبوع، وكان ذلك سنة 140/ 757 .

ولمّا همّ الطّلبة بمغادرة شيخهم ومدرستهم قال لأبي الخطّاب: " أفت بما سمعت منّي "، وقال لجميعهم: إذا أنستم من أنفسكم قوّة أعلنوا الإمامة، وأشار عليهم بعقدها لأبي الخطّاب، فإن أبى قتل.

ولمّا وصل حملة العلم إلى المغرب استقرّوا بطرابلس- وكانت آنئذ في اضطراب كبير بسبب ثورة الخوارج الصّفريّة- وعقدوا إمامة الظّهور لأبي الخطّاب سنة 140/ 757، وكان راغبا عنها، ففرضوها عليه، وقبلها على أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله، وعليهم بالطّاعة وترك الاختلاف، ونبذ الشّقاق.

وسار في المغرب بسيرة الخلفاء الرّاشدين، وسلك بالأمّة مسلك المسلمين، وأحيى ما أميت من أمر الدّين.

واستمرّت هذه الانتصارات، وهذا الحكم العادل أربع سنوات، وخشي الخليفة العبّاسيّ أبو جعفر المنصور عواقبها في زعزعة ملكه، فبعث إليه جيشا ضخما بقيادة محمّد بن الأشعث الخزاعي، الّذي قضى على أبي الخطّاب وإمامته، في معركة تاورغا سنة 144/ 761.

وقتل أبو الخطّاب في هذه المعركة، وترك الإباضيّة يلاحقها ابن الأشعث في كلّ واد وجبل... ممّا جعل عبد الرّحمان بن رستم- والي أبي الخطّاب على

وفعلا لقد كان لأمنية سلمة بن سعد: " بأن تظهر الدّعوة الإباضيّة بالمغرب ولو يوما واحدا من غدوّه إلى الزّوال وإنّه لا يبالي إن ضربت عنقه بعد ذلك "[18]، أثرها الفعّال في أوساط الأمازيغ، ووجدت آذانا صاغية في أطراف متباعدة، يدلّ على ذلك تركيبة جماعة حملة العلم، إذ ضمّت طالبا من المغرب الأوسط، وثانيا من المغرب الأدنى، وثالثا من طرابلس، مع ابن رستم وهو فارسيّ الأصل قيروانيّ المنشإ.

القيروان- ينجو بنفسه إلى منطقة تيهرت، ليؤسّس فيها- بعد ذلك- الدّولة الرّستميّة. أعلام عدد 534.

[18] الشمّاخي: سير: 98.

حملة العلم: لمّا ازدهرت الحركة العلميّة في البصرة مع أبي عبيدة مسلم (145/ 763) شعر أهل الدّعوة بضرورة بثّ هذا الفكر في أطراف البلاد بعيدا عن مركز الدّولة الأمويّة فأرسلوا دعاة إلى عدّة مواطن، من بينهم الدّاعية سلمة بن سعد (ق 2/ 8) إلى بلاد المغرب. وقد استطاع بعد عناء أن ينتخب أربعة من طلاّب العلم وأن يرسلهم إلى البصرة. (ذكرت أسماؤهم في المتن).

هؤلاء هم الّذين عرفوا بحملة العلم إلى المغرب، وهم الّذين أقاموا أوّل إمامة لأهل الاستقامة في طرابلس سنة (140- 144 إلى 757- 761) حيث بايعوا أبا الخطّاب إماما لهم. وبعد أن هزمت هذه الإمامة أقام عبد الرّحمان بن رستم الإمامة الرّستميّة الّتي عمّرت قرنا وثلث قرن من (160- 296/ 777- 909). ولذلك رأينا من المفيد أن نترجم لهم.

2- 1- إمامة عبد اللّه بن مسعود التّجيبي

وقبل أن يصل حملة العلم هؤلاء إلى تنفيذ خطّة إمامهم بدت بوادر تأثير مدرسة أبي عبيدة في قيام عبد الله بن مسعود التّجيبي[19] زعيم الإباضيّة ورئيسهم في طرابلس بالثّورة على إلياس بن حبيب والي طرابلس من قبل أخيه عبد الرّحمان بن حبيب (137 / 755) والي القيروان ، و تمكّن إلياس من قتل التّجيبي سنة (127/ 745).

---

[19] **عبد الله بن مسعود التّجيبي** (ت 126/ 743) أحد المشائخ الأوائل بالمغرب الإسلامي، ذكر أنّه أخذ العلم عن الإمام جابر بن زيد الأزدي، وقيل بل عن تلميذه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي، وأخذه عن سلمة ابن سعد في أوائل القرن الثّاني الهجري ببلاد المغرب.

ركّز دعوته على قبيلة هوّارة الإمازيغيّة، فاستجابت له، وحاول أن يؤسّس أوّل دولة إباضيّة بالمغرب عام (122/ 739)، تمتدّ من سرت شرقا إلى قابس غربا، وقد فشلت محاولته المبكّرة هذه إذ أجهض إلياس بن حبيب والي طرابلس مبادرته هذه وقتله سنة 126/ 743، وغضب الإباضيّة من مقتل زعيمهم التّجيبي، ولكنّهم لم يستطيعوا فعل شيء إلاّ الكتمان والتّوجه إلى البصرة، للاستزادة من العلم، ثمّ التّخطيط والتّصميم الدّقيقين لإعلان إمامة الظّهور بعد ذلك. أعلام عدد 600.

2- 2- إمامة الحارث وعبد الجبّار وقتلهما

ولم يخمد هؤلاء الإباضيّة فما لبثوا أن قدّموا عليهم الحارث ابن تليد الحضرمي 131/ 749[20]، مع قاضيه عبد الجبّار بن قيس

---

[20] **الحارث بن تليد الحضرمي** (ت بين: 131- 140/ 748- 757) أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة.

وكان الحارث وعبد الجبّار بن قيس المرادي، من الإباضيّة الّذين اشتركوا في ثورة أبي حمزة الشّاري، الّذي أرسله الإمام طالب الحقّ عبد الله ابن يحيى الكندي لافتكاك مكّة والمدينة من يد الأمويّين وجورهم، وبعد ذلك اتّجه الحارث رفقة عبد الجبّار إلى المغرب الأدنى، ولعلّ ذلك كان بإشارة من الإمام أبي عبيدة مسلم. وبايعته قبائل: هوّارة، ونفوسة، وزناتة، ولماية- بعد مقتل عبد الله بن مسعود التّجيبي- فنظّم شؤونها وساسها بالعدل والدّين، فعمّ الخير والصّلاح.

واختلفت المصادر هل كان الحارث إمام أحكام، وعبد الجبّار قاضيه ؟ أم أنّهما اشتركا في الحكم ؟ أم أنّ الحارث هو القاضي والإمامة كانت لعبد الجبّار، واتّفقت على أنّ الإمامة كانت بينهما على حيّز طرابلس الغرب.

وأيّا كان الأمر، فإنّ إمامة الظّهور كانت قائمة، والبديهي أنّها أقلقت الأمويّين، فسار إليهما جيشهم بأمر من عبد الرّحمان بن حبيب الفهري، وبقيادة محمّد بن مفروق، وبمشاركة يزيد بن صفوان فتمّ لقاء الجيشين بأرض هوّارة، فانهزم الأمويّون، وتشتّت قوّاتهم.

المرادي[21] وكانا قد وفدا إلى بلاد المغرب من اليمن بعد أن قضي على ثورة طالب الحقّ سنة 130/747[22]، ولكن سرعا

وأعاد عبد الرّحمان الفهري الكرّة تلو الكرّة، ولكنّه لم يفلح في القضاء عليهما.

وأخيرا استعمل الحيلة، وقتل الحارث وعبد الجبّار خدعة، وأغمد سيف كلّ منهما في جسد الآخر، وأعقب ذلك فتنة بين أتباعهما ظلّت زمنا طويلا فضعفت شوكتهم، وذهبت ريحهم.

ثمّ بايع الإباضيّة بعدهما إسماعيل بن زياد النّفوسي (ت 140/ 757) إماما، قبل إمامة أبي الخطّاب عبد الأعلى المعافري.

وكان الحارث وعبد الجبّار عادلين، وقد اهتمّا بإلقاء دروس العلم بالمسجد، فجمعا بذلك إلى إمامة الأحكام إمامة العلم والدّين. أعلام عدد 253.

[21] **عبد الجبّار بن قيس المرادي** (ت بين 131- 140/ 748- 757) من قادة الإباضيّة الأوائل ببلاد المغرب، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، وشارك مع الحارث بن تليد الحضرمي في ثورة أبي حمزة الشّاري، الّذي أرسله الإمام طالب الحقّ عبد الله بن يحيى الكندي، لافتكاك مكّة والمدينة من جور الأمويّين.

واتّجه عبد الجبّار مع الحارث إلى المغرب الأدنى، حيث ترأّس ثورة ضدّ جيش إلياس بن حبيب الفهري، الّذي قتل زعيم الإباضيّة عبد الله بن مسعود التّجيبي (ت 126/ 743)، وانتصر عليه بفضل مبايعة قبائل: هوارة، وزناتة، ونفوسة، ولماية. أعلام عدد 536.

[22] **عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي**، (أبو يحيى) الشّهير بـ" طالب الحقّ " (ت، 130/ 747) إمام الشّراة، وأحد أقطاب المذهب الإباضي في عهود تأسيسه، لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته و لا إلى ظروف نشأته الأولى، بينما اهتمّت بمناقبه وأعماله، والرّاجح أنّه ولد في حضرموت، وبها تلقّى علومه الأولى.

انتقل مع أبي الخطّاب عبد الأعلى المعافري إلى البصرة، ليأخذ ممّن عاصرهم من التّابعين، وعلى رأسهم أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، وضمام بن السّائب، وكثير من معاصريهما.

ولمّا ملأ وطابه علما عاد إلى بلده اليمن، فتولّى منصب القضاء لإبراهيم ابن جبلة، عامل القويسم على حضرموت، وهو عامل مروان بن محمّد الأموي على اليمن، إلاّ أنّه لم يهدأ له بال، لما رآه من الجور الظّاهر، والعسف الشّديد، فقال لأصحابه: " ما يحلّ لنا المقام على ما نرى، ولا يسعنا الصّبر عليه "، فكتب إلى شيخه أبي عبيدة مسلم، وغيره من علماء الإباضيّة بالبصرة يستفتيهم ويشاورهم في الأمر فكتبوا إليه: " إن استطعت أن لا تقيم يوما واحدا فافعل. "

فشمّر طالب الحقّ على ساعد الجدّ والجهاد ليقيم أوّل إمامة ظهور إباضيّة باليمن سنة 129/ 746، وبايعه أصحابه على ذلك، فاتّجه إلى دار الإمامة بحضرموت، فعامل واليها أحسن معاملة، ثمّ استولى على صنعاء، حيث خطب في النّاس خطبة أبان فيها دعوته ومنهجه في الدّعوة إلى دين الله الحقّ وإلى نبذ الحكم الجائر.

أطنبت المصادر في ذكر صفاته الخلقيّة، فهو شيخ الزّهد والورع، عادل في سيرته، متورّع عن أموال المسلمين في خزائن بني أميّة، إذ سارع إلى توزيعها على أصحابها من الفقراء والمساكين.

ما أحسّ عبد الرّحمان بن حبيب بما تمثّله هذه الإمامة من خطر على ملكه، فلجأ إلى الحيلة عندما لم يفلح في استعمال القوة، وتمثّلت هذه الحيلة في دسّ من يقتل الرّجلين على أن يضع سيف هذا في جثّة الآخر وذلك سنة 132/ 750، وفعلا قد أثارت هذه الحيلة فتنة في صفوف الشّراة بين من يرى التبرّؤ من الرّجلين، ومن يرى التوقّف فيهما، ومن يرى تولّيهما.

*** رسالة الإمام أبي عبيدة إلى أهل المغرب في قضيّة الولاية والبراءة والوقوف من القتيلين**

ولمّا اشتدّ الخلاف بين أهل طرابلس، رأوا أن يستشيروا إمام دعوتهم بالمشرق، وإن لم نعثر على نصّ الرّسالة المرسلة

كادت ثورته أن تقوض دولة الأمويّين لولا تدارك مروان بن محمّد الأمر بجيش جرّار بقيادة عبد الملك بن عطيّة استطاع أن يقضي على هذه الثّورة سنة 130/ 747. ولعلّ هذه الثّورة من أهمّ العوامل الّتي ساعدت على تقويض دولة الأمويّين على يد العبّاسيّين. أعلام عدد 605.

في هذا الشّأن ولا على اسم من حمل القضيّة إلى الإمام أبي عبيدة، إلاّ أنّ القدر أسعفنا برسالة الردّ الواردة من البصرة[23].

ونورد تحليلا لأبرز محاور هذه الرّسالة:

1- الوصيّة بالتّقوى والإجماع على الطّاعة: ولقد كان ذلك منطلق الرّسالة وخاتمتها، إذ يعلم الجميع أنّ أكرم خلق الله عند الله أتقاهم، ولن يتمّ صلاح إلاّ إذا كان المؤمنون يرجون ثواب الله و يخشون عقابه . يقول الإمام أبو عبيدة في مطلع الرّسالة : " إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين[24] سلام عليكم فإنّا نحمد إليكم الله الذّي لا إله إلاّ هو وإنّا نوصيكم بتقوى الله والاجتماع على طاعته."[25].

---

[23] نسخ الشّيخ سالم بن يعقوب (1408/ 1988) هذه الرّسالة أثناء إقامته في البلاد المصريّة في دفتر رقم 2 دون أن يحيل على مصدره، وقد خرّج الأستاذ مبارك الرّاشدي (عماني معاصر) هذه الرّسالة في الملحق الأوّل من أطروحته ص 579- 584.

[24] تعني هذه الكلمة الإباضيّة في النّصوص الإباضيّة المتقدّمة لأنّ هذه التّسمية لم يتبناها " جماعة المسلمين " إلاّ في مرحلة متأخرّة. الجعبيري: البعد الحضاري 56.

[25] مبارك الرّاشدي: ن. م: 579

وكذا في آخر الرّسالة: " عصمنا الله وإيّاكم بالتّقوى[26].

2- تذكير بنعمة الأخوّة في الإسلام مع تبيين مزاياها على الجماعة: جاء في نصّ الرّسالة: " واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء متباغضين فمنّ الله عليكم بالإسلام... فأصبحتم بنعمته إخوانا... وكنتم بين ظهراني قوم هم أفصح منكم ألسنة، وأشدّ منكم وأسرع فطنة، وأدرس لكتاب الله، فهداكم الله... وأصلح ذات بينكم، وجمع شملكم وأعزّ نصركم بعد الذلّة والقلّة"[27].

3- إثبات أنّ التّنازع والاختلاف من أعظم المعاصي وأشدّها ضررا على الجماعة: جاء في الرّسالة: " واعلموا أنّ الفشل والتّنازع في الأمر بعد الكلمة الجامعة واليد الواحدة أعظم المعصية، وأعجلها نقمة، وأشدّها عقوبة " [28]

كما جاء فيها: " والتّنازع في ما بينكم والاختلاف والتّشاجر في ما مرّ قد كفيتم مؤنته، و عرفتم قلّة منفعته و سوء عاقبته ،

---

[26] ن. م: 583

[27] ن. م: 579- 580

[28] ن. م: 580

وقد أراكم الله في ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر، وآية لمن تفكّر، وموعظة لمن تذكّر، وإنّما يتذكّر أولو الألباب"[29].

ثمّ أضاف قائلا: " واعلموا أنّ كلّ من رأيناه يدعو إلى الفرقة والاختلاف ويعنّت المسلمين فهو عندنا صغير المنزلة مقيت الجانب " [30].

4- قضيّة الحارث وعبد الجبّار وما يتعلّق بها من الولاية والبراءة والوقوف (وهذا هو المحور الرّئيس للرّسالة).

ويقوم هذا المحور على العناصر التّالية:

أ- اختلاف لم يعرف له مثيل من قبل لأنّه لا يتعلّق لا بحلال ولا بحرام.

ب- اختلافهم جاء في أمر يسلم النّاس بردّه ويسعهم جهله والصّمت عليه.

ج- إلحاح على أنّ الحارث وعبد الجبّار لم يتركا حراما متعلّقا بأحد.

---

[29] ن. م: 580. لعلّه يشير إلى نتائج الفتنة الكبرى ونتائج الاختلاف بين المحكّمة.

[30] ن. م: 583.

د- ضرب أمثلة توضّح وجوه القضيّة لتمييز الصّواب من الخطإ من مختلف المواقف.

ه- لا تعجيل بالبراءة قبل التّحري وإقامة البيّنة.

و- الدّعوة إلى الصّمت في قضيّة عبد الجبّار والحارث إ لم تثبت بالبيّنة: " ودعوا ذكرهما فإنّ في سترتكم لما في أنفسكم بلاغا ومتاعا لكم "[31].

واضح أنّ هذه الرّسالة جاءت طافحة بعبارات المودّة والإخاء بين الطّرفين، ذلك أنّ أهل المغرب عندما احتاروا في أمرهم لم يتردّدوا في إرسال وفد من قبلهم إلى إمامهم، لأنّه قطب الرّحى والمرجع الّذي لا يرفض الجميع له قولا[32]، كما أنّ الإمام أبا عبيدة لم يتخلّف عن توجيه النّصيحة وتحليل القضيّة من جميع وجوهها، بما يقرّه المذهب من وجوه الولاية والبراءة والوقوف[33]، مع التّعبير الصّادق عن تألّم جماعة المشرق لآلام أهل المغرب، وفرحهم لفرحهم ونجاحهم[34].

---

[31] ن. م: 583.

[32] مبارك الرّاشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي وفقهه. 45 ــ145. مطابع الوفاء. المنصورة. 1412/ 1992. ص 579.

[33] حلّل الأمام أبو عبيدة القضيّة تحليلا ضافيا بأسلوب جدلي دقيق كان منطلقا للتّنظير فيما بعد لموضوع الولاية والبراءة والوقوف هذا الموضوع الّذي

" أمّا بعد، فقد قدم علينا من قبلكم من يهتمّ بأمركم، ويحزنه شأنكم، فسألناهم عنكم فأخبرونا خبرا راعنا، وراع من قبلنا من إخوانكم، حتّى بلغ حزنه من ذلك ما لا نستطيع أن نصفه، ممّا وقع بينكم من التّحاور والتّنازع والاختلاف في أمر لا يختلف فيه أحد يبصر دينه ويعرف ربّه ويخاف عقابه، وما لم يختلف في مثله أحد من هذه الأمّة قبلكم... "

كما أنّ رسالة أبي عبيدة لأهل المغرب ما فتئت تذكّر بأنّ عوامل النّصر لنشر الدّعوة في بلاد المغرب، إنّما تتمثّل في نبذ كلّ ما من شأنه أن يفرّق، والتّمسّك بكلّ ما يقرّب بين أفراد الجماعة.

" فلم تزالوا تعرفون من الله الزّيادة والنّصر على عدوّكم والوهن في عدوّكم، حتّى استوجب الله بذلك الشّكر له والطّاعة له وحسن الإجابة لدعوته، والمعرفة لما اصطنع عندكم من آلائه الحسنى وفضله العظيم: قال الله تبارك وتعالى لنبيّه

صار من أبرز الأسس في الفكر الإباضي .. النّامي: دراسات في الفكر الإباضيّ. ط دار الغرب الإسلامي. باب الولاية والبراءة.

وقد حلّل القضيّة تحليلا نظريّا وعمليّا ضافيا.

[34] الرّاشدي: ن. م: ص 581.

والمؤمنين معه: (**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) (3 آل عمران 150).

واعلموا أنّ الفشل والتّنازع في الأمر بعد الكلمة الجامعة، واليد الواحدة أعظم المعصية وأعجلها نقمة وأشدّها عقوبة، فاتّقوا الله عباد الله وانظروا هذا الأمر الّذي عجّل الله نقمته مع ما ادّخر الله من سوء عقابه واتّقوه واحذروه، واكرهوا منه لأنفسكم ما كره الله لكم وما كره لنبيّه عليه السّلام والمؤمنين معه، فإنّ الله تبارك وتعالى لو كان يؤخّر عقاب الفشل والتّنازع عن أحد لأخّره عن نبيّه وعن المؤمنين الّذين كانوا معه، ولكنّه سنّة فيمن مضى، قال الله تعالى: (**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (3 آل عمران 164).

والتّنازع فيما بينكم والاختلاف والتّشاجر فيما مرّ قد كفيتم مؤنته، وعرفتم قلّة منفعته وسوء عاقبته، وقد أراكم الله من ذلك

ما فيه عبرة لمن اعتبر، وآية لمن تفكّر وموعظة لمن تذكّر، وإنّما يتذكّر أولو الألباب "[35].

ولذا أثبت الإمام أنّ الرّأي الصّواب في القضيّة يتمثّل في الدّعوة إلى السّكوت في الظّاهر، مع عذر من يريد أن يتبرّأ في السّرّ، لما ثبت له من البيّنة، واعتبار أنّ الانحراف عن هذا الموقف ضرب من الغلوّ والزّيغ عن سبيل المسلمين: " وهو الّذي نريد منكم ونطلبه إليكم بأن تكونوا من الرّجلين على علم، ولا يظهر أحد منكم على أحد براءة، ولكن في ما بينه وبين الله.

فارجعوا إلى ما كنتم عليه، ودعوا ذكرهما، فإنّ في ستركم لما في أنفسكم بلاغا ومتاعا لكم، واحذروا الغلوّ والزّيغ عن سبيل المسلمين، وأن يقول القائل منكم، إذا كنت عند الله محقّا، لم أبال، فإن الله لا يرضى أن يخالف حكمه، لأنّ الله نهاكم عن أن تعرّضوا أنفسكم للبراءة ، فبالله توفيقنا و إيّاكم ، عصمنا الله وإيّاكم بالتّقوى "[36].

وفعلا تصل الرّسالة إلى أهل المغرب، ويسدل السّتار على هذه القضيّة، معنى ذلك أنّها فعلت فعلها، وألّفت بين القلوب،

---

[35] ن. م: 580.

[36] ن. م: ص 583.

وتعود الجماعة إلى رابطتها لتنتخب إماما آخر وهو إسماعيل بن زياد النّفوسي سنة 132/750[37] ولكن في نفس السّنة تستطيع قوّات عبد الرّحمان بن حبيب أن تنتقم من الإباضيّة شرّ انتقام، ويقتل الإمام، وتعود الجماعة إلى الكتمان من جديد.

2- 3- التّخطيط الإباضي للتّنسيق بين المغرب والمشرق وقيام دولة أبي الخطّاب (140/ 757)

وفي هذه الأثناء تقوم إمامة الجلندى بن مسعود بن جيفر في عمان سنة 132- 134/ 750- 752[38] بإذن من الإمام

[37] **إسماعيل بن زياد النّفوسي** (أبو الزّاجر) (قتل ق 140/ 757) إمام من أئمّة الإباضيّة بالمغرب، بويع بإمامة الدّفاع بطرابلس سنة 131 أو132/ 748 أو749. بعد مقتل الحارث بن تليد، وعبد الجبّار بن قيس المرادي.

عظم شأنه وكثر أتباعه، فنجح في دخول مدينة قابس بتونس، وبعد جولات من القتال مع عبد الرّحمان الفهري، تمكّن هذا الأخير من قتل إسماعيل ابن زياد في معركة قرب قابس، وذلك سنة 140/ 757. أعلام عدد 108.

[38] **الجلندى بن مسعود بن جيفر بن الجلندى** (ت 134/ 751) أخذ العلم عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو من حملة العلم إلى المشرق، من البصرة إلى عمان.

أبي عبيدة، وهناك مراسلة جرت بينهما تؤكّد ذلك[39]، ولكن لا تسعفنا المصادر بصدى هذه الإمامة في المغرب، والّذي لا نشكّ فيه أنّها كانت دافعا قويّا للتّفكير في إمامة أخرى، خاصّة وأنّ حملة العلم في الفترة اللاّحقة بالضّبط كانوا في جنبات مدينة البصرة، وإن صحّت الرّوايات فإنّ إقامتهم كانت هنالك بين سنة 135/ 763 و140/ 758.

وفعلا ينجح التّخطيط الإباضي في تنسيقه بين المشرق والمغرب، فإن أفل نجم الإمامة في عُمان وطغت دولة الجبابرة هناك، فإن بإمكان المغرب في هذه المرحلة الحرجة من سقوط الدّولة الأمويّة وقيام الدّولة العبّاسيّة أن يعلن إمامة الظهور[40].

عقدت له أوّل إمامة للظّهور بعمان سنة 132/ 749، وحكم بالعدل مدّة ستّين شهرا.

أرسل إليه العبّاسيّون جيشا بقيادة خازم بن خزيمة، فانهزم الجلندى ومات في المعركة سنة 134/ 751. أعلام عدد 240.

[39] الراشدي: ن. م: ص 253.

[40] عن نظريّة الإباضيّة في الإمامة وتعريف مصطلحاتها ر. الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة.

وبأمر من الإمام أبي عبيدة قامت إمامة أبي الخطّاب عبد الأعلى المعافري سنة 130- 144/758- 762[41] في طرابلس، واستطاعت أن تنشر لواء العدل وأن تنصر المظلومين وكان للحدث صداه، وكانت فرحة الإباضيّة بالمشرق عارمة إذ كان الأمل عريضا في تحقيق إمامة المسلمين قاطبة انطلاقا من المغرب.

ولا شكّ أنّ الرّسل كانت تتوالى، وكذلك الرّسائل بين مركز الدّعوة ومركز الإمامة بطرابلس ومختلف مراكز الإباضيّة في عُمان، وفي اليمن، وخراسان، ولكن أنّى لمثل هذه الوثائق أن تقدر على مصارعة الزّمن، خاصّة وأنّ عمر إمامة أبي الخطاب كان قصيرا، فما قيمة أربع سنوات تنتهي بهجمة شرسة من العبّاسيّين لم تبق من جبل نفوسة وأهله إلاّ على ما لم تجد إليه سبيلا، وكان هذا الجبل المعقل الرّئيس للإباضيّة في ليبيا.

*** استفتاء الإمام أبي عبيدة في شأن الزّكاة**

ومع ذلك احتفظ لنا القدر بنصّ رسالة في الزّكاة وجّهها الإمام أبو عبيدة إلى أهل المغرب إجابة على رسالة وصلته من

[41] سبق التّعريف به ص 51 تعليق 2 .

الشّيخ **إسماعيل بن سليمان المغربي** ولعلّه أحد عمّال الإمام أبي الخطاب[42].

وأكتفى بنقل الفقرات الأولى من هذه الرّسالة لأنّها جاءت معبّرة تعبيرا صريحا عن أواصر المودّة بين الإمام في البصرة وأهل المغرب.

" أتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما منّ الله عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم، في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما كثرتهم وإن كثروا بأكثر ممّن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقتدوا بهم تهن عليكم كثرتهم على خلافكم.

نسأل الله العون والتّوفيق لكم في جميع أموركم، وأن يكفينا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدّائرة عليهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم.

فلعمري لقد سرّني ما انتهيتم إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يخف عنّا، غير أنّنا لم نظنّ الّذي كتبتم به إلينا، والله سيتمّ لكم الخير كلّه بعونه وتوفيقه.

[42] لم تمكن المصادر ممّا يسمح بالتّرجمة له.

أتانا كتابكم بمسائل فمنها ما رأيت ألاّ أجيبكم عنها، ومنها ما رأيت أن أجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير إلاّ الّذي رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأعطف لقلوبكم، وأجمع لأموركم، وما توفيقي إلا بالله، وفقنا الله وإياكم لما يحبّه ويرضاه[43]. "

ولا يحتاج النصّ إلى كبير تعليق على ما تضمّنه من التّعبير عن المحبّة الصّادقة، والإعجاب بما وصل إليه أهل المغرب من نصر مبين، هو أوسع بكثير ممّا كان يتصوّر الإمام نفسه، ولذلك انتخب من الأسئلة ما هو أقرب إلى التّأليف، وأهمل البقيّة لأنّه رأى فيها ما يثير أشجانا، لعلّها تفرّق بدل أن تقرّب.

وقد بيّن الرّاشدي في تحليله لرسالة الزّكاة أنّها تقوم على إحدى وأربعين مسألة:

5 مسائل فيما تجب فيه الزّكاة.

6 مسائل في جمعها.

37 مسألة فيمن تعطى له الزّكاة[44].

[43] الرّاشدي ن. م: 513- 514. ونصّ الرّسالة من ص 513 إلى 531.

[44] وقد حلّل هذه المسائل الرّاشدي تحليلا فقهيّا مقارنا من ص 531 إلى ص 572.

نكتفي بذكر بعض منها على سبيل المثال:

1- في جمع الزّكاة.

2- في تفريق الزّكاة.

3- في أيّ بلد يوزّع.

5- هل للوالي أو الإمام أن يأخذ أكثر من نفقته ؟

6- هل حماية البلد من الإمام شرط في أخذ الزّكاة ؟

19- فيمن أقرّ بالدّعوة وهو يخلط هل يعطى من الزّكاة ؟

30- في أهل المعاصي هل يعطون من الزّكاة ؟.

41- في بناء المساجد من الزّكاة[45].

وهذا نصّ المسألة 41:

" **السّؤال:** وهل يجوز أن تبنى المساجد من الزّكاة أو تصلح منها الطّرق، أو يجهّز منها الغزاة أو يبنى بها دار للإمام والمسلمين فتكون ملكا لهم، وذلك إذا استغنى عنها المسلمون حسب نظر الإمام والمسلمين في هذه الأمور ؟.

الجواب: قال: " إنّ الزّكاة فرضت لتقوية الفقراء، وهذا هو سبب فريضتها فلا تصرف في غيرما أمر الله من الأصناف الّتي

[45] الرّاشدي: ن. م: 531- 572.

بيّنها في كتابه العزيز نصّا، ولهذا لا يجوز بناء المساجد منها، ولا إصلاح الطّرق وخلافهما[46]. "

[46] الرّاشدي: الإمام أبو عبيدة: ص 570.

خـاتـمـــة

إنّ ما لاحظنا في المبحث الثّاني من هذا الفصل ممّا عرفته العلاقة بين إباضيّة المغرب ومركز الدّعوة بالبصرة من حركيّة فعّالة يؤكّد ما افترضناه في مبحثه الأوّل أن بذور هذه العلاقة نشأت من قبلُ زمن الإمام جابر بن زيد، لكن الكتمان المطبق الذّي كان يكتنف هذه المرحلة من مراحل الدّعوة الإباضيّة لم يمكّن من تسرّب بعض الأخبار الّتي كانت في غاية السّريّة، والإمام جابر نفسه في رسائله للدّعاة كان يوصيهم بإبادة ما يصلهم من رسائل حال قراءتها والاستفادة منها[47].

ورحلة ابن مغطير كما أثبتنا أكبر دليل على ذلك وإن بيّنا أنّه لم يدرك الإمام جابر بن زيد، ثمّ بعد ذلك اتّضحت العلاقة مع تقرير مركز الدّعوة بالبصرة أن يولّي وجهه شطر بلاد المغرب لصعوبة تحقيق الآمال المرجوّة من الدّعوة وذلك لقرب مدينة البصرة من مركز الخلافة دمشق.

وفعلا وجّه الدّعاة إلى اليمن وإلى خراسان ويهمّنا الدّاعية الّذي وصل إلى القيروان وهو سلمة بن سعد الّذي أفلح كما رأينا

[47] ر. رسائل الإمام جابر بن زيد تخريج النّامي. مرقون. ص 20.

في تكوين بعثة علميّة سياسيّة تمكّن أفرادها على قلّة عددهم من تجاوز مرحلة الثّورات العابرة والإمامات قصيرة العمر إلى إقامة إمامة ظهور في طرابلس استبشر بها الإمام أبو عبيدة ومن معه أيّما استبشار خاصّة بعد فشل محاولتهم في اليمن الّتي سعت إلى تحقيق إمرة المؤمنين جميعا. وما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه.

وإن لم تعمّر إمامة طرابلس طويلا فإنّها أكسبت الإباضيّة مغربا ومشرقا حنكة سياسيّة واسعة مكّنتهم من الإبعاد أكثر في أطراف المغرب الأوسط حيث تمكّنوا من إقامة إمامة ظهور راسخة بحقّ لأنّها عمّرت أكثر من قرن، إنّها الإمامة الرّستميّة بتاهرت، وهذا محور البحث في فصله الثّاني.

الفصل الثّاني

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان في النصف الثاني من القرن الثّاني الهجريّ / 8م

تـــمـــهـــيـــد

بعد موت أبي عبيدة مسلم قام الرّبيع بن حبيب (75- 175/ 695- 792)[1] مقامه في البصرة، وتستمرّ الأحوال

---

[1] **الرّبيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي البصري** (حوالي 75- حوالي 170/ 694- 786). ولد أبو عمرو الرّبيع بن حبيب بإحدى قرى السّهل السّاحليّ (بودّام) من الباطنة في عمان.

والرّاجح أنّ ولادته كانت حوالي (75/ 694) إذ أدرك الإمام جابر ابن زيد وروى عنه. رحل إلى البصرة لطلب العلم، وفيها أخذ عن الإمام جابر ابن زيد (93/ 710- 711)، وتتلمذ خاصّة على الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (145/ 762) وعدّة من شيوخ الإباضيّة بالبصرة. ثمّ تولّى إمامة الإباضيّة هنالك بعد وفاة شيخه أبي عبيدة. قد اعتنى بجمع أحاديث رسول الله : مرويّة عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن جمع من الصّحابة أبرزهم عبد الله بن عبّاس (3 ق هـ- 619/68- 687) في كتاب يعتبره الإباضيّة عمدتهم في الحديث.

و قد رتّبه أبو يعقوب الوارجلاني (ق 6 / 12) و شرحه أبو عبد الله محمّد بن عمر بن أبي ستّة شهر المحشّي (ق 11 / 17) ، و اشتهر شرحه بحاشية التّرتيب و قد طبعته وزارة التّراث بسلطنة عمان في 8 أجزاء (1982- 1984) بدون تحقيق. وقد حقّقه إبراهيم طلاّي في 5 أجزاء

وطبع بالجزائر. وقد طبع من قبل طبعة حجريّة بزنجبار لم أطّلع عليها، كما شرحه عبد الله السّالمي في 4 أجزاء وقد أعاد حفيدا المؤلّف سليمان وأحمد طبع الجزء الأوّل والثّاني بمطبعة العالية بسلطنة عمان د. ت.

وحقّق الجزء الثّالث منه عزّ الدّين التنّوخي، وطبع أيضا على نفقة حفيدي المؤلّف سليمان وأحمد بالمطبعة العموميّة دمشق (1383/ 1963) و لم يطبع الجزء الرّابع في ما نعلم. وقد طبع الأصل بعنوان الجامع الصّحيح مسند الرّبيع بن حبيب عدّة طبعات ويتضمّن 1005 من الأحاديث. نذكر منها الطّبعة الثّانية بالمطبعة السّلفيّة بالقاهرة 1349 بتحقيق أبي إسحاق إبراهيم اطفيّش أحد علماء الإباضيّة المعاصرين (1386/ 1966).كما طبع بتحقيق محمّد إدريس ومراجعة عاشور بن يوسف نشر مكتبة الاستقامة. سلطنة عمان ودار الحكمة بيروت دمشق 1415/ 1995.كما طبع بعناية سلطان الشّيباني بسلطنة عمان 1425/ 2004.

وإلى جانب نشاطه العلميّ بالبصرة كانت له مراسلات مع إباضيّة المغرب زمن الدّولة الرّستميّة. والرّاجح أنّ وفاته كانت حوالي سنة 170/ 786. ر. الدّرجيني: الطّبقات: 2/ 273 ر. الشّماخي: السّير 102. ر. عمرو مسعود أبو القاسم: الرّبيع بن حبيب محدّثا، رسالة ماجستير قدّمت بجامعة الفاتح بكلّية التّربية قسم اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة بإشراف الأستاذ عمرو التّومي الشّيباني سنة 1983. وتتضمّن 282 صفحة مرقونة من الحجم الكبير وقد أهداها لي صاحبها مشكورا. وبها نجد الإحالات على مختلف المراجع. وقد طبعت بالجزائر. ر. سعيد بن مبروك القنّوبي: الإمام الرّبيع بن حبيب (ت 175- 180) مكانته ومسنده. مكتبة الضّامري سلطنة عمان 1416/ 1996. 230 صفحة.

على ما هي عليه من سيطرة الجبابرة في عُمان ، و تقوم في المغرب إمامة دفاع سنة 145 / 763 ينتخب لها أبو حاتم الملزوزي[2]، و تستمرّ المعارك ضارية بينه و بين العبّاسيّين

[2] **يعقوب بن لبيد التّجيبي الملزوزي الكندي** (أبوحاتم) (ت: 27 ربيع الأوّل 155/ 7 مارس 772) من بني كندة بالولاء. أخذ العلم عن حملة العلم وغيرهم، وهوفي درجة الإمام أبي الخطّاب مكانة وعلما.

بويع بإمامة الدّفاع سنة 145/ 762 بطرابلس بعد القضاء على إمامة أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح، وبعد ملاحقة ابن الأشعث للإباضيّة في كلّ سهل وجبل، ما كان من الإباضيّة إلاّ أن ردّوا على ملاحقته بالهجوم فكانت إمامة أبي حاتم الملزوزي دفاعا عن النّفس، وهجوما على المعتدي.

استطاع أن ينتصر على جيش ولاة بني العبّاس في عدّة معارك، وكان له جيش لم يجتمع لأحد من الإباضيّة بإفريقيّة مثله قبله، قدّره بعض المؤرّخين بثلاثمائة وثلاثين ألف جنديّ، شارك به سنة 151/ 768 في الثّورة ضدّ عمرو بن حفص والي إفريقيّة، ودخل به مدينة طرابلس، فاستولى عليها سنة 153/ 770 بعد هزيمة جيش الجنيد بن بشّار الأسري، عامل عمرو بن حفص على طرابلس.

استطاع بعد ذلك أن يستولي على القيروان سنة 154/ 771. وبعد حصار عمرو بن حفص والي العبّاسيّين في طبنة وانتصاره عليه تمّت سيطرة الإباضيّة بإمامة أبي حاتم على المغربين الأدنى والأوسط، وبسط فيهما العدل.

إلى أن قتل سنة 155/ 772 و قتل مؤازره من حملة العلم عاصم السّدراتي[3].

وتسكت المصادر سكوتا تامّا عن العلاقات بين المشرق والمغرب، ذلك أنّ الكلّ يقاسي نفس الآلام من أجل إقامة العدل، والإطاحة بدولة العبّاسيّين الّتي أبت إلاّ أن تبقى لها السّيادة على أطراف دولة الخلافة الّتي استأصلت منها بني أميّة.

وليس معنى هذا السّكوت أنّ العلاقة قد انقطعت بين الطّرفين، وإنّما هو التّاريخ الّذي يعرف من الثّغرات الكثير، خاصّة بالنّسبة إلى الحركات الثّوريّة الّتي كانت تستأصل نصوصها كلّما تغلّب عليها أعداؤها.

وسنقيم هذا الفصل على مبحثين:

نثبت في **أوّلهما** مدى استبشار إباضيّة المشرق بإمامة الإمام عبد الرّحمان بن رستم ومؤازرتهم الماديّة والمعنويّة لها.

وفي **ثانيهما** مدى تطوّر هذه العلاقة وازدهارها زمن الإمام عبد الوهّاب لما عرفته من مراسلات ومشاورات في

لكن هذه السّيطرة لم تدم طويلا إذ سرعان ما هزم الجيش العبّاسي أبا حاتم في مغمداس سنة 155/ 772. أعلام عدد 1035.
Talbi M. L'Emirat Aghlabide, Paris, Adrien Maisonneuve, 1966.

[3] سبق التّعريف به ص 50 تعليق 1 .

أدقّ القضايا، وصلات وهدايا، وتوفير الكتاب مع تكاثر الوافدين على تاهرت عاصمة الإمامة تلك الإمامة الّتي حوّلت ثقل العطاء الإباضي إلى بلاد المغرب.

المبحث الأوّل

العلاقـــة زمـــن الإمـــام عبـــد الرّحمـــان بـــن رستـــم

ـ استبشار المشارقة بهذه الإمامة ومؤازرتهم لها

وما أن حلّت سنة 160/ 777 حتّى بدأ عهد جديد في بلاد المغرب الأوسط على يدي عبد الرّحمان بن رستم[4] الّذي مكّنه الإمام أبو عبيدة عند عودته مع حملة العلم من أن يفتي بما سمع منه وبما لم يسمع، بينما أمر أبا الخطّاب أن يفتي بما سمعه منه فحسب، ودعا أبا درار بألاّ يفتي تماما لا بما سمع من الإمام ولا بما لم يسمع[5].

[4] سبق التّعريف به ص 47 .

[5] الشمّاخي السّير: 129.

Dangel G. L'Imamat Ibadite de Tahert (761–909), contribution à l'histoire de l'Afrique du Nord durant le haut Moyen Age, Thèse 3e cycle, Strasbourg, 1977.

وما أن استقامت هذه الإمامة حتّى طرب لذلك المشارقة أيّ طرب، وجاء التّأييد المادّي والمعنوي، ومن ورائه الأيدي العمانيّة الّتي حرمت من ذلك في عُمان، فجاء مددها من قبل الرّبيع العماني، وتتّفق المصادر على وصول مدد مادّي، قرّر أصحابه ألاّ يوصلوه إلاّ إن ثبت لديهم حسن سيرة عبد الرّحمان، فلمّا وجدوه على سطح بيته يصلح ما به من ضرر، علموا أنّه على مسلك الخلفاء الرّاشدين والأئمّة الصّالحين، فوافوه بما جاؤوا به ممّا يقوّي به أمر الدّولة[6]، ثمّ وافاه أهل المشرق بقدر آخر من المال فلم يكن منه إلاّ أن ردّه إليهم قائلا: " ارجعوا بمالكم فإن أربابه أحوج إليه منّا لأنّا في أرض قد استولى عليها العدل، وهم في بلد غلب عليهم الجور، يدارون به على أنفسهم ومالهم ودينهم[7]. "

وقد زاد هذا الموقف أهل المشرق إكبارا للإمام عبد الرّحمان، فتعجّبوا من زهده في الدّنيا ورغبته في الآخرة **" واعترف كلّ إباضي بإمامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم**[8]."

[6] ن. م: 140.

[7] ن. م: 141.

[8] ن. م: 141.

ويكفي نصّ الشمّاخي في تبيان الصّلة الرّاسخة بين المشرق والمغرب، حيث اعترف كلّ إباضي بإمامته ولا شكّ أنّ صدى هذا الحدث دوّى في عمان، وخاصّة بين كبار شيوخها الّذين كانوا أئمّة الدّعوة بالبصرة، فكان له الأثر الطيّب خاصّة وأنّ الأوضاع ما زالت متردّية هناك.

وقد ذاع صيت عبد الرّحمان في المشرق إلى حدّ أنّ قائلا من العلماء المشارقة قال: " لا أعلم بمن يخرج دماء أهل القبلة في زماننا هذا إلاّ عبد الرّحمان بن رستم بالمغرب، و أبا يزيد الخوارزمي "، و يعلّق الشمّاخي على الخبر قائلا: " يعني والله أعلم أنّك لا تتقدّم على سفك الدّماء إلاّ بفتيا أحد الرّجلين من غزارة علمهما، وورعهما، وتحفّظهما"[9].

وبعد الإمام عبد الرّحمان ينتخب مجلس الشّورى ابنه عبد الوهّاب.

[9] ن. م: 146. لم نتمكّن من التّرجمة للخوارزمي .

المبحث الثّـــاني

العلاقة زمن الإمام عبد الوهّاب

1- مراسلة المشارقة في شأن فتنة النّكار

ثمّ يموت الإمام عبد الرّحمان بن رستم سنة 171/788 ليتّفق مجلس الشّورى على انتخاب ابنه عبد الوهّاب[10] إماما

[10] **عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم** (171- 211/ 787- 826) ثاني أئمّة بني رستم أخذ العلم عن أبيه. وتنوّه المصادر بغزارة علمه ورجاحة عقله. وقد سلك والده مسلك عمر بن الخطّاب فجعل الإمامة شورى بين سبعة ممّن رأى فيهم الصّلاح. ورغم ذلك أنكر إمامته يزيد بن فندين أحد الأعضاء المختارين للشّورى وخلف بن السّمح عامله بطرابلس لكنّه استطاع بحكمته إخماد هاتين الثّورتين واستقرّ الأمر له طيلة أربعين سنة عرفت فيها الإمامة ازدهارا ملحوظا. ر: ابن الصّغير: تاريخ الدّولة الرّستميّة بتاهرت ص 9- 15 نشر بكلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة تونس 1976. ر: سليمان بن عبد الله الباروني: الأزهار الرّياضيّة 2/ 166. المطبعة البارونيّة القاهرة د. ت ر. الزّركلي: الأعلام 4/ 333- 334. ر. أعلام عدد 609.

لتوفّر شروط الإمامة فيه، وهنا تقوم فتنة النكّار الّذين أنكروا إمامة هذا الإمام معتمدين على شبهتين:

وتتمثّل **الأولى** في أنّ الإمام لا حقّ له أن يقطع أمرا دون مشورة المسلمين، وتتمثّل **الثّانية** في أنّه لا تجوز إمامة رجل إذا كان في المسلمين من هو أعلم منه[11].

و هنا يأتي اللّجوء إلى أهل المشرق للاطمئنان برأيهم والعمل بنصيحتهم، " فاصطلح جماعة المسلمين ومن لا يريد الافتراق و شقّ العصا مع ابن فندين[12] أن يكتبوا إلى إخوانهم وعلمائهم بالمشرق فيعملون بموجب ما يرونه ويجيبونهم به[13]."

وفعلا بلغ الرّسل إلى مكّة المكرّمة، وطرحوا القضيّة على الإمام الرّبيع بن حبيب ومن كان معه، فما كان منهم إلاّ أن أثبتوا بالدّليل أنّ الإمامة تامّة والشّرط باطل، وقد عابوا على الإمام أشياء ثبت لهم أنّه لم يفعلها[14].

---

[11] ن. م: 162.

[12] **يزيد بن فندين** (ق 2/ 8) أحد المرشّحين للإمامة الإباضيّة ضمن المجموعة الّتي جعل الإمام عبد الرّحمان الإمامة شورى بينهم، ثار على الإمام عبد الوهّاب وتزعّم حركة النكّار، الجعبيري: نظام العزّابة: 153 و155.

[13] ن. الشمّاخي: السّير: 146- 147.

[14] ن. م: 147.

وليس لنا أن نحلّل ما حدث بعد ذلك من فتنة النكّار، ورغبة شعيب بن المعروف[15] في معاضدة هؤلاء بعد أن أفتى هو نفسه الإمام عبد الوهّاب بجواز إمامته مع وجود من هو أعلم منه، وبأنّ الإمامة تامّة والشّرط باطل ممّا أدّى إلى أن أعلن الرّبيع البراءة منه[16].

2- الإمام عبد الوهّاب يستشير علماء المشرق في شأن إمكانيّة أدائه لفريضة الحجّ

---

[15] **شعيب بن المعروف أبو المعروف** (ق 2/ 8) من طبقة الرّبيع بن حبيب، ويظهر أنّ موطنه مصر أو أنّه أقام فيها فترة من الزّمان وكان بها عند وقوع الخلاف بالمغرب على إمامة عبد الوهّاب، فرحل إلى تاهرت وعاضد النكّار، ثمّ رجع إلى طرابلس بعد هزيمة يزيد بن فندين، وواصل معارضته للإمام عبد الوهّاب، وبسبب ذلك خلعه الرّبيع وبقيّة أئمّة المذهب وأعلنوا البراءة منه. ر. الدّرجيني: الطّبقات 2/ 274، الشّماخي: السّير: 119. ر. ابن خلفون: أجوبة ابن خلفون: 113.

[16] الشّماخي: سير: 148. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية مطبعة الألوان الحديثة. نشر جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان. 1408/ 1987: 106 تعليق 43.

وتستمرّ العلاقة وطيدة زمن الإمام عبد الوهّاب مع مركز الدّعوة بالمشرق، ولمّا بدا لهذا الإمام وهو بجبل نفوسة، أن يؤدّي فريضة الحجّ اعترض عليه علماؤها، فلمّا رأوا إلحاحه في الطّلب أشاروا عليه بأن يستشير أهل المشرق، فأرسل رجلا نفوسيّا من أهل تمزدا[17] إلى الرّبيع بن حبيب، وإلى ابن عباد المصري[18]، وكانا مرجع أمور المسلمين، فأجابه الرّبيع: "من كان مثلك في العناء بأمور المسلمين وحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة أن يبعث بحجّه وهو

---

[17] قصر يقع على مرتفع 637 متر، قرية قديمة في جبل نفوسة غربي جادو في منطقة فسّاطو... حاليّا قرية تمزدا. محمد حسن. تحقيق سير الشمّاخي. دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكليّة الآداب قسم التّاريخ بتونس 1979 مرقونة : 530 . طبع قسم منها بتونس : نشر كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. 1995.

[18] **عبد الله بن عباد المصري:** (ق 2/ 8) فقيه مفت بمصر من علماء أصحابنا من تلاميذ أبي عبيدة صنّفه الدّرجيني ضمن مشائخ المغرب. له فتاوى كثيرة منها جواب للإمام عبد الوهّاب الرّستمي. ابن سلام: بدء الإسلام: 110. أعلام عدد 588.

حيّ. " وأجابه ابن عباد: " أنّ من كان على هذه الصّفة فلا حجّ عليه لأنّ من شرط الحجّ أمان الطّريق "[19].

وفعلا لم يكن من الإمام على سعة علمه إلاّ أن عزّز رأي علماء نفوسة برأي مصدر الفتوى في مركزي الدّعوة بالمغرب وبالمشرق، وبذلك أناب عنه من أدّى فريضة الحجّ .

3- الصّلات والهدايا وتوفير الكتب

وتتمّ الصّلات والهدايا بين الطّرفين فهذا الإمام عبد الوهّاب يرسل هديّة للرّبيع قدرها اثنا عشر ألف درهم أو دينار.

وتصل الهديّة إلى الرّبيع فيشتري بها جهازا، ويرسل به أخاه إلى تاهرت فيأمر الإمام تجّار المدينة ليشتروا له حوائجه وفعلا تمّ ذلك، وانصرف الأخ بسلام[20]. ومع كلّ هذه الوفود تكون المراسلات والفتاوى وما إلى ذلك مما يعود على المسلمين بالنّفع العميم.

---

[19] الشمّاخي: السّير 159. وفعلا قد صدق توقّع علماء المغرب مع الإمام أفلح فيما بعد عندما أسره العبّاسيّون وهو يؤدّي مناسك الحجّ ص151.

[20] ن. م: 161.

ولا يفوتنا أن نذكّر بوثوق الصّلة العلميّة، والرّغبة في توفير الكتاب ذلك أنّ الإمام عبد الوهّاب " أرسل ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة كي يشتروا له بها كتبا، فلما وصلهم الألف اشتروا بها ورقا ونسخوا له فيها وقر أربعين حملا كتبا "[21].

4- رحلة أبي غانم الخراساني إلى المغرب ونسخ مدوّنته في الفقه

كما وفد في زمانه أبو غانم بشر بن غانم الخراساني (ق 2/ 8)[22]، وإن لم يكن عمانيّا فهو من أقطاب المشارقة إذ

---

[21] ن. م: 162.

[22] **أبو غانم بشر بن غانم الخراساني:** درس بالبصرة وأخذ عن تلاميذ أبي عبيدة (ق 2/ 8) وعنهم دوّن كتبه وأهمّها المدوّنة الّتي دوّن فيها أقوال تلاميذ أبي عبيدة في الفقه ورواياتهم واختلافهم. وقد رحل في أواخر القرن الثّاني الهجري إلى تاهرت مارّا بجبل نفوسة ورويت عنه المدوّنة في تاهرت ونسخت في جبل نفوسة، نسخها عمروس بن فتح.

ر. الدّرجيني: الطّبقات 2/ 323، ر. الشّماخي: السّير 228. ر. ابن خلفون المزاتي: أجوبة ابن خلفون، تحقيق عمروخليفة النّامي. دار الفتح بيروت ط 1394/ 1974: 111.

درس بالبصرة وأخذ عن تلاميذ أبي عبيدة، وعنهم دوّن كتبه، وأهمّها المدوّنة الّتي دوّن فيها أقوال تلاميذ أبي عبيدة في الفقه ورواياتهم واختلافاتهم.

وفي رحلته هذه إلى تاهرت روى مدوّنته هذه هنالك بعد أن استودع نسخة منها عند عمروس[23] فنسخها، وهي النّسخة

---

[23] خ بالبارونيّة. **وعمروس بن فتح** هو من علماء نفوسة. تقول كتب السّير إنّه تعلّم بالمغرب عشرين سنة (يقصد بلاد الجريد وما بعدها حاليّا). تصدّى بغزارة علمه مع أبي مهدي النّفوسيّ لآراء نفّاث المخالفة. أودع أبو غانم نسخة من المدوّنة عنده عند رحلته إلى تاهرت فنسخها، وعنها نسخت بقيّة النّسخ بالمغرب لأنّ النّسخة الّتي أودعت في تاهرت أحرقت مع ما أحرق من الكتب عند هجوم الشّيعة. تولّى القضاء لوالي الإمام عبد الوهّاب وهو أبو منصور إلياس، وكان حازما في أمره، أسندت إليه عدّة مؤلّفات لم يصلنا منها إلاّ كتاب " الدّينونة الصّافية " خ بالبارونيّة. 10. 28. 21 × 16 صم حقّقه حاج أحمد بن حمّو كرّوم وراجعه مصطفى شريفي ومحمّد بابا عميّ ط ونشر وزارة التّراث بسلطنة عمان ط 1. 1420/ 1999. وقتله الأغالبة صبرا عندما انتصروا على الإباضيّة في واقعة مانو سنة (283/ 896). رحل إلى مكّة وبها التقى بمحمّد بن محبوب عالم عمان آنذاك فاستفاد كلّ منهما من تجربة الآخر. ر. الدّرجيني: الطّبقات 2/ 320ـ325.

الّتي بقيت بالمغرب بعد أن احترقت المكتبة المعروفة بالمعصومة بما فيها في تاهرت[24].

وهكذا تزدان تاهرت ومكتبتها المعصومة بهذا السيل من الكتب المشرقيّة لتنضمّ إلى تفسير الإمام عبد الرّحمان وفتاواه، و فتاوى الإمام عبد الوهّاب نفسه، مع رصيد المراسلات والنّصوص الأخرى، وما كان هؤلاء ممن يحتكرون العلم بل أقبلت الأيدي بنسخ هذه الكتب، ورغم أنّ المعصومة احترقت فيما بعد، فإنّ بقايا هذه النّسخ لا تزال متناثرة هنا وهنالك، ولا يزال الزّمان يجود بشيء منها من حين لآخر.[25]

5- تكاثر الوافدين من المشرق على عاصمة الإمامة الرّستميّة

كما تكاثر الوافدون على عاصمة إمامة الظّهور في تاهرت، إمّا للاطلاع أو الاستفادة أو المراقبة والاحتساب، ومن

---

[24] الشمّاخي: السّير 228، الجعبيري البعد الحضاري 105 تعليق 40 وسنعود إلى ذكر عمروس إن شاء الله في موضعه ص112.

[25] انظر البرّادي: رسالة تآليف أصحابنا. أبو عمّار عبد الكافي: الموجز ج 2. ملحق بآخره. تحقيق عمّار الطّالبي. ط الجزائر.

ذلك ما تورده المصادر ناقلة عن كتاب سير نفوسة لمقرين البغطوري (ق 6/ 12)[26] من أنّ "رجالا من أهل المشرق قدموا زائرين زمان الإمام عبد الوهّاب فاختاروا من تاهرت الإمام و وزيره أبا عبد الأعلى السّمح ، و اختاروا من نفوسة أبا مرداس..."[27].

---

[26] **مقرين البغطوري**: 6/ 12: من علماء جبل نفوسة أخذ العلم عن أبي محمّد بن عبد الله المجدلي، وأبي يحيى توفيق بن يحيى الجنّاوني. اعتنى بتدوين سير الإباضيّة وقد أتمّ كتابه في سير أشياخ جبل نفوسة سنة 599/ 1203، كما يذكر ذلك الشمّاخي في السّير ص 244، 235 وكان هذا الكتاب مفقودا حتّى عثر عليه الشّيخ سالم بن يعقوب (1408/ 1988) وهو ما يزال مخطوطا بمكتبته بحومة غيزن بجربة، وقد رقن وهو بصدد التّحقيق. أعلام عدد 905.

[27] الشمّاخي: السّير: 165.

السّمح بن عبد الأعلى أبي الخطّاب بن السّمح المعافري (ت بعد: 204/ 819) أصله عربيّ من قبيلة معافر اليمنيّة، وهو وزير ووال وعالم وابن أحد حملة العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من البصرة إلى المغرب، فكان نعم الخلف لخير السّلف.

أخذ العلم عن والده وعن حملة العلم الآخرين. كان يقوم بالتّدريس وعقد حلقات العلم بجبل نفوسة، وبالتّحديد في تيمتي الّتي نزل بها.

وإن لم نعلم من أيّ المواطن كان هذا الوفد فإنّ الغرض من الزّيارة كان يتمثّل في الاطلاع على مستويات علماء أهل المغرب، ممّا مكّن هؤلاء من المفاضلة بينهم واختيار من اختاروا، وذلك لا يمكن أن يتمّ لهم إلاّ بعد الاطّلاع والتّمحيص والمقارنات.

استطاع بعلمه وحسن سيرته أن يكسب ثقة معاصريه، وخاصّة الإمام عبد الوهّاب الرّستميّ، الّذي عيّنه وزيرا له وقاضيا لمّا نزل بجبل نفوسة وأقام به سبعة أعوام. أعلام عدد 476.

مهاصر السّدراتي التّبرستي (أبو مرداس) (ق 3/ 9) من كبار مشايخ تبرست بجبل نفوسة في ليبيا. ويبدو أنّه من قبيلة سدراتة النّفوسيّة الّتي نسب إليها. عاصر الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم (حكم: 171-208 هـ/ 787- 823 م)، والشّيخ عاصم السّدراتي.

لزم الإمام عبد الوهّاب طيلة بقائه في جبل نفوسة. وذكر عنه أنّه "رجل حازم، ممارس للأمور، ورع، نبيه، وجيه، عاقل، حاذق، فطن، مجتهد، رحيم بالضّعفاء، شديد على الفجّار، ذليل على المؤمنين، لا تأخذه في الله لومة لائم، يؤثر الحقّ والصّدق. "

يقول عنه الدّرجيني: " بلغ في العلوم النّهاية وجرى من أمر الصّلاح الغاية، وكان شديدا في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، يتبع الأمراء فيأمرهم وينهاهم، ويشدّد عليهم. " كان عالما بأحكام الدّماء، وله مناظرة فيها مع الإمام عبد الوهّاب. أعلام عدد 917.

وممّا يدلّ على أنّ حلقات العلم بالمغرب في تلك الفترة قلّ أن تخلو من حضور بعض أهل المشرق، ما يرويه الشمّاخي من " أنّ مشايخ نفوسة يقبلون على الإمام (عبد الوهّاب) فيجلسون إليه حين كان بالجبل، فإذا قدم أبو مرداس (مهاصر السدراتي) قام إليه الإمام وكان قصيرا، فقال رجل من أهل المشرق لم يعظّم الإمام هذا ؟ فقال حين سمع كيف لا أجلّ من تجلّه الملائكة، ولا أعرف في الدّنيا مثل هذا إلاّ رجلا بالمشرق، وهذا أرجح منه يسيرا... وبعد محاورة أقرّ الحاضرون بأنّهم لا يعلمون أحدا بالمشرق ولا بالمغرب مثل هذا العالم[28]. "

هذا ما تمكنّا من توثيقه ممّا بين أيدينا من المصادر عن علاقة المغرب بعمان زمن إمامة الإمام عبد الوهّاب، ولا شكّ أنّ ما لم يصلنا أكثر بكثير، ذلك أنّه في زمن هذا الإمام حدثت أحداث بالمشرق أبرزها وفاة الإمام الرّبيع رحمه الله، ولم نجد لذكرها أثرا في محيط أهل المغرب، كما عادت الإمامة العادلة إلى عمان من 177 إلى 207/ 794- 842، فقد توالى عليها الإمام محمّد بن أبي عفّان (177- 179/ 794- 796) وإن خلع هذا الإمام لأنّه لم يحسن السّيرة في آخر أمره، فقد نوّهت كتب

---

[28] ن. م: 175.

السّير العمانيّة بخلفه الإمام الوارث بن كعب الخروصي (179- 192/ 796- 808) ولم تذكر من جاء بعده إلاّ بالخير و هو الإمام غسّان بن عبد الله الفجحي (192- 208/ 808- 824)[29].

---

[29] عبد الله السّالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان تحقيق إبراهيم أطفيّش، مطبعة الشّباب ط 2، ج 1/ 89- 109.

محمّد بن عبد الله بن أبي عفّان (175- 177/ 787- 787): من اليحمد إلاّ أنّه نشأ بالعراق فقدموا به إلى عمان، وهو أوّل الأئمّة من اليحمد في عمان. وهناك اختلاف وجدل بين الإباضيّة بعمان حول توليته الّتي استمرّت سنتين. عبيدلي: كشف الغمّة: تعليق 4 ص 253. الجّعبيري: التّجربة السّياسيّة: مرقون ص 94 تعليق 29.

الإمام الوارث بن كعب الخروصي الشّاري اليحمدي لا تطيل المصادر العمانيّة الحديث عن سيرته قبل توليه الإمامة وغاية ما تذكر أنّه كان أحد المشاركين في عزل محمّد بن أبي عفّان. ولمّا تمّت له الإمامة " وطئ أثر السّلف الصّالح وسار بالحقّ وأظهر دعوة المسلمين وأعزّ الحقّ وأهله، وخمد الكفر ودفع الله الجبابرة " كشف: 254- 255. وتذكر المصادر أنّه استطاع أن ينتصر على حملات العبّاسيّين. أمّا قصّة وفاته فتتمثّل في أنّه مات غريقا وهو يعمل على إنقاذ المساجين من سيل الوادي الّذي داهمهم. كشف: 254- 256. تحفة: 114- 121. عمان في التّاريخ: 154. الجّعبيري: التّجربة السّياسيّة: مرقون ص 94: تعليق 30.

خـــاتـــمـــة

إن استطعنا أن نثبت في الفصل الأوّل نشأة العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة المشرق وتبلورها، فقد ثبت في هذا الفصل أنّها نمت نموّا مطّردا نلحّ في ذلك على ما يلي:

1- تأييد إباضيّة المشرق السّياسيّ المطلق للإمامة الرّستميّة مع إمامها الأوّل عبد الرّحمان وإمامها الثّاني عبد الوهّاب رغم ظهور بذور المعارضة والفتن منذ مبايعة الإمام عبد الوهّاب .

وقد جاءت المراسلات مؤيّدة للإمام عبد الوهّاب ورافضة رفضا كلّيا لما أثاره ابن فندين ومن معه من اعتراضات على هذه الإمامة، وقد شجّع ذلك التّأييد المشرقي الإمام عبد الوهّاب، ومكّنه من أن يعمل على إخماد الفتنة بقوّة المنطق ثمّ

الإمام غسّان بن عبد الله الفجحي اليحمدي الأزدي بايعه المسلمون على ما بويع عليه الوارث بن كعب، فقام بالحقّ وعزّ الحقّ في أيّامه، وظهرت دعوة المسلمين بعمان وكان في أيّامه حمة العلماء (أي جملة العلماء). وكان مقامه بنزوى في بيت الإمامة في العقر، وفي زمانه سمّيت نزوى **بيضة الإسلام**. ن. م: ص 75 تعليق 31.

بمنطق القوّة، لكن فتيلها لم يخمد وظلّ يتابع إباضيّة المغرب عبر الزّمان وعبر المكان إلى مطالع القرن العشرين ميلاديّا.

2- الدّعم المالي الكامل المشروط بالتزام العدل، واستمرّ هذا الدّعم إلى أن قوي عود الإمامة واضطرّ الإمام عبد الرّحمان إلى أن يردّ هذا الدّعم لمركز الدّعوة لأنّ الجماعة هناك أحوج إلى هذا الدّعم من تاهرت.

3- الدّعم العلمي الرّصين، وذلك بنقل أحمال الكتب من المشرق بعد استنساخها هناك بفضل ما وفّره الإمام عبد الوهّاب من مال لهذا الغرض، وبتكاثر الوافدين من البصرة من العلماء إمّا للاستفادة أو للاحتساب على الإمامة وولاتها وقضاتها وعلمائها.

إن كان هذا حظّ هذه العلاقة بين المغاربة والمشارقة في القرن الثّاني للهجرة فهل ستثبت على مثل هذه الحال في القرن الثّالث وهذا هو محور الفصل الثّالث من هذا البحث.

الفصـــل الثـّالث

العلاقـــة بين إباضيّـــة المغـــرب وإباضيّة عمـــان في القرن الثـّالث الهجري / 9 م

تـــمـــهـــيـــد

وبموت الإمام عبد الوهّاب سنة (208- 824) ، خلفه ابنه أفلح ابن عبد الوهّاب لمدّة نصف قرن إلى سنة (258- 872)[1]،

---

[1] **أفلح بن عبد الوهّاب ابن عبد الرّحمان بن رستم** (حكم بين 208- 258/ 823- 871) : أفلح بن عبد الوهّاب، ثالث الأئمّة الرّستميّين.

تلقّى الإمام أفلح العلم بتيهرت عن أبيه عبد الوهّاب (حكم: 171- 208/ 787- 823)، وعن جدّه عبد الرّحمان (حكم: 160ـ 171/ 776- 787)، وعن غيرهما من مشائخ تيهرت.

كان عالما من أكبر علماء زمانه، فقيها وشاعرا، وقد تصدّر صغيرا للتّدريس، وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها، فقعد بين يديه أربع حلق: في الفقه، والأصول، واللّغة، وعلم الكلام، وتخرّج في مدرسته جمع من العلماء منهم: ابناه أبو اليقظان (حكم: 261- 281/ 874- 894)، وأبو بكر (حكم: 283- 286/ 896- 899)، ونفّاث بن نصر النّفوسي، وسعيد بن يونس بن وسيم بن يونس الويغوي النّفوسي...

كان من العلماء المشهورين والمعدودين، انفرد بآراء في علم الكلام، واعتبر لذلك إماما، وترك العديد من الرّسائل العلميّة.

وذلك بعد أن أقرّ أهل الحلّ والعقد إمامته وقد عرفت الدّولة الرّستميّة أوج عزّها في هذه الحقبة من الزّمن.

وسنقيم هذا الفصل على مبحثين: نتناول في **أوّلهما** العلاقة بين إباضيّة المغرب بإمامة الإمام أفلح الرّستميّ وأئمّة عمان في المشرق ولم تسعف المصادر بتفاصيل عن هذه العلاقة رغم ازدهارها، وإنّما ألحّت خاصّة على الحركيّة العلميّة بالنّسبة إلى هذه العلاقة، وذلك بمحاولة المغاربة استجلاب ديوان الإمام جابر، وبما تمّ من الدّعوة إلى قراءة كتاب أبي سفيان محبوب ابن الرّحيل للتّعرف على سير الإباضيّة بالمشرق وبما تمّ من لقاءات علميّة بين علماء من هنا وعلماء من هناك في بيت الله الحرام أبرزها اللّقاء الشّهير بين عمروس بن فتح عالم نفوسة ومحمّد بن محبوب بن الرّحيل عالم عمان، وبما تمّ من مراسلات

له جوابات وفتاوى في النّوازل، كما أنّ له اهتماما بالحديث وروايته. بلغت الدّولة الرّستميّة في عهده من الرّقيّ مبلغا كبيرا ذلك أنّه أدار الإمامة بكياسة ومهارة.

وفي عهده تمّ القضاء على الثّورة الّتي قامت في نفوسة أيّام والده عبد الوهّاب، ثورة خلف بن السّمح. كما ظهرت النفّاثيّة نسبة إلى تلميذه نفّاث بن نصر الّذي انتقده في سيرته، واتّهمه بالبذخ في حكمه... إلاّ أنّ نفّاثا تاب ورجع عن أقواله (عن النفّاثية انظر ص 107). أعلام عدد 116.

أبرزها نصيحة محبوب بن الرّحيل لأهل المغرب، وسيرة أهل المغرب إلى الإمام الصّلت بن مالك بعمان ورسالة أبي عيسى الخراساني إلى أهل المغرب.

ونتناول في **ثانيهما** ما شهدته هذه العلاقة من تدحرج نحو الانهيار وذلك بما عرفته الإمامة هنا وهناك من انحلال ثمّ من سقوط وانتهاء.

المبحث الأوّل

العلاقة زمن الإمام أفلح

لقد زامنت إمامته عهد الأئمّة التّالي ذكرهم في عمان:

* الإمام عبد الملك بن حميد (208- 824/226- 841)[2].

---

[2] **الإمام عبد الملك بن حميد** من بني سودة بن علي بن عمروبن عامر ماء السّماء الأزدي. سار سيرة الحقّ والعدل واتّبع أثر السّلف الصّالح وصارت عمان يومئذ خير دار. ولي يوم الاثنين لثماني ليال بقين من شهر شوّال سنة ثمان ومائتين/27 فيفري 824. فلم يزل مقيم العدل حتى كبر وضعف وزمن، فكانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون موسى بن علي في عزله فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ويقيموا الدّولة، فحضر موسى بن علي وأقام الدّولة ومنع الباطل، وشدّ عسكر المسلمين وعبد الملك في بيته فلم يعزلوه ولم يزيلوه حتّى مات وهو إمام لهم. وكانت ولايته ثماني عشرة سنة. كشف الغمّة: 259 – 260. وقد ظهرت في زمانه بعض الفتن تمكّن من التّصدّي لها وإخمادها. وقد أورد السّالمي مجموعة من الرّسائل في نصح الإمام اتّسمت بالصّراحة والجرأة في قول الحقّ. السّالمي: تحفة: 1/ 134 – 149. الجّعبيري: الحياة السّياسيّة ص 95 تعليق 32.

* والإمام المهنّا بن جيفر اليحمدي (226- 237/ 841- 852)[3].

* والإمام الصّلت بن مالك (237- 273/ 852- 887)[4].

---

[3] **الإمام المهنّا بن جيفر الفجحي اليحمدي الأزدي:** عقد له يوم الجمعة في شهر رجب سنة ستّ وعشرين ومائتين (ماي 841) فوطئ أثر المسلمين، وسار بسيرتهم، وكان له ضبط وحزم ولا يتكلّم أحد في مجلسه ولا يعين خصما على خصم ولا يقوم أحد من أعوانه مادام قاعدا ولا يدخل أحد ممّن تجري عليه النّفقة من العسكر إلاّ بالسّلاح. حازم في الحقّ. وقد اجتمعت له من القوّة البريّة والبحريّة ما شاء الله. قيل إنّه اجتمع له ثلاثمائة مركب مهيّأة لحرب العدوّ، وكان عنده بنزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أوّل صارخ. وكثرت الرّعايا في زمانه حتّى بلغ سكّان سعال (وهي محلّة بنزوى) أربعة عشر ألفا. وفي زمانه وقع الكلام بعمان في خلق القرآن. وقد مات والمسلمون عنه راضون وله موالون ومؤازرون، وإن ذكر أنّ هناك من طعن في إمامته. كشف الغمّة: 260–263. السّالمي: تحفة 1/ 150 – 161. الجّعبيري، الحياة السّياسيّة. ص 95 تعليق 32 .

[4] الجّعبيري: الحياة السّياسيّة. مرقون ص 95 تعليق 32.

الإمام الصّلت بن مالك الخروصي الأزدي (237- 273/ 852- 887)

جاء في كشف الغمّة: " ثمّ ولّى المسلمون من بعده [الإمام المهنّا بن جيفر الفجحي (237/ 852)] الصّلت بن مالك في اليوم الّذي مات فيه المهنّا، وكان هناك يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين و فقهائهم، ورئيسهم وإمامهم في العلم والدّين محمّد بن محبوب (3 محرّم 260/ 29 أكتوبر 873)، فبايعوا

الصّلت بن مالك على ما بويع عليه الأئمّة من قبله، فسار بالحقّ والعدل ما شاء الله... " (264).

حرص على اختيار الولاة والقضاة والعمّال ممّن توفّرت فيهم الشّروط الشّرعيّة ممّا ساعد على ازدهار البلاد، وممّن ولاّهم القضاء على صحار محمّد ابن محبوب المذكور أعلاه. (عن حياته: ر. كتابنا: محمّد بن محبوب بن الرّحيل القرشي العماني ط 2000 بعمان).

كما استطاع أن يهزم جيوش النّصارى عندما حاولوا استعمار سقطرى إحدى الجزر التّابعة لعمان، وقد أورد السّالمي نصّ العهد الّذي كتبه الإمام للغزاة في هذه الغزوة فأثبت فيه جميع أحكام الجهاد. (تحفة 1/ 168- 193).

و" قد عمّر في الإمامة خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية أيّام حتّى كبر وأسنّ وضعف، وإنّما كان ضعفه من قبل الرّجلين وأمّا العقل والبصر فلا نعلم أنّ أحدا قال بها ضعفا " (كشف: 264).

في آخر حياته عقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النّظر متعلّلا بمرض الإمام الصّلت فكانت هذه البيعة سببا في فتنة دامت طويلا قسّمت أهل عمان إلى فئتين تعرفان بالرّستاقيّة والنّزوانيّة انتصرت إحداهما للإمام الصّلت والأخرى للإمام راشد. ر. كشف الغمّة 264- 265. ر. السّالمي: تحفة الأعيان: 1/ 164- 215.

عن هؤلاء الأئمّة: انظر: مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضيّة: ص 223 – 253. وجاء هذا في الفصل الخامس بعنوان الإمامة الإباضيّة الثّانية: أوّلا عصر القوّة والازدهار 177 – 237/ 793 – 851. وقد حلّل الأوضاع السّياسيّة الداخليّة والخارجيّة للإمامة مثبتا أنّها إمامة قائمة على الشورى كلّما

وقد برز أقطاب من أهل العلم هنا وهناك عمّ صدى مناظراتهم وحماسهم وكتاباتهم المغرب وعمان.

فما هي أبرز الأحداث زمن الإمام أفلح ؟

1- نفّاث وقصّة استجلاب ديوان الإمام جابر

ويبدو أنّ أبرز حدث يتمثّل في استجلاب نفّاث بن نصر النّفوسي[5]، تلميذ أفلح ديوان جابر بن زيد إمام الإباضيّة إلى

انتهت حياة إمام نظر أهل الحلّ والعقد فيمن تتوفّر فيه شروط الإمامة فيبايعونه دون أن تكون له صلة نسب مع الإمام السّابق سوى أنّهم أزديون عمانيّون كما بيّن مواطن القوّة الّتي أدّت إلى الازدهار. وبعض مواطن الضّعف الّتي أدّت إلى مرحلة ثانية من مراحل هذه الإمامة تجلّت فيها بدايات التّدهور والسّقوط.

راجع كذلك: أ.د. فاروق عمر فوزي أستاذ التّاريخ الإسلامي بجامعة آل البيت: الإمامة الإباضيّة في عمان: دراسة تاريخيّة لأحوال عمان في ظلّ الأئمّة الإباضيّة في الحقبة من منتصف القرن الثّاني هجري/الثّامن الميلادي، حتّى منتصف القرن السّادس الهجري/الثّاني عشر الميلادي. المفرق الأردن. نشر جامعة آل البيت. 1417/ 1997 ص 39 – 56. لزيادة التّفصيل: ر. الحركة: 255 – 288. و. الإمامة: 39 – 56

[5] **فرج بن نصر النّفوسي** الشّهير بـ " نفّاث " (النّصف الأوّل ق: 3/ 9) من علماء الدّولة الرّستميّة بتاهرت، فيها أخذ العلم عن الإمام أفلح ابن عبد الوهّاب.

المغرب، بعد أن استنسخه بذكاء نادر من النّسخة الفريدة الموجودة آنذاك في خزانة الخليفة العبّاسي[6].

ولكن من سوء الحظّ بعد هذا الجهد الجهيد لم يكن منه إلاّ أن حفر حفرة لهذا الدّيوان و دفنه ، ذلك لما كان بينه و بين الإمام من خلاف توعّده بسببه، ويقول أبو زكريّاء بأنّه دفن الدّيوان " لحسد وبغي وسوء عاقبة "[7].

حالفه الذّكاء والفهم، فبلغ في العلم درجة عالية، ولكنّه حرم التّوفيق، ناوأ الإمام أفلح وانشقّ عنه، وتبنّى آراء في الإمامة جعلها سندا في معارضته للإمام.

توجّه إلى المشرق فلقي حظوة عند الخلفاء العبّاسيّين ببغداد، وبها استنسخ ديوان الإمام جابر بن زيد، وجاء به إلى المغرب، ولكنّ حسده دفعه إلى إخفاء الدّيوان فضاع ولم ينتفع به.

اتّبع نفّاثا بعض الأتباع، ولكنّ حركته لم تعمّر طويلا، إذ تصدّى لها علماء جبل نفوسة، ومنهم عمروس بن فتح، فبيّنوا تهافت أفكارهم، وانتهت هذه الفرقة النّفّاثيّة بعد أمد قصير. أعلام عدد 731.

[6] أبو العبّاس أحمد الدّرجيني (670/ 1271): طبقات مشايخ المغرب تحقيق إبراهيم طلاّي. مطبعة البعث قسنطينة الجزائر- دت 1/ 81 .

[7] أبو زكريّاء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (471/ 1078): كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة تحقيق إسماعيل العربي، إصدارات المكتبة الوطنيّة الجزائر 1309/ 1979 ص 96.

2- الإمام أفلح ينصح بقراءة كتاب أبي سفيان محبوب بن الرّحيل العماني في سير الإباضيّة

وتورد المصادر إلى جانب هذا الخبر دعوة الإمام أفلح إلى دراسة كتب أهل الدّعوة عامّة مع تخصيص كتاب أبي سفيان محبوب بن الرّحيل العماني (النّصف الثّاني من القرن الثّاني، النّصف الثّاني من القرن الثّامن): " عليكم بدراسة كتب أهل الدّعوة، ولا سيّما كتاب أبي سفيان العماني "[8].

---

[8] أبو القاسم البرّادي (حيّ في 810/ 1407): رسالة تآليف أصحابنا ملحق بكتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي تحقيق عمّار الطّالبي الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع الجزائر 1978/1398، 2/ 284.

أبو سفيان محبوب بن الرّحيل: النّصف الثّاني من القرن 2/ النّصف الثّاني من القرن 8 وبداية القرن التّاسع ميلاديّا. أخذ عن أبي عبيدة مسلم (145/ 762) والرّبيع بن حبيب (175/ 791)، وكانت والدته تحت الرّبيع بن حبيب. كان حجّة في السّيرة. وهو ممّن دوّن أخبار أهل الدّعوة. وروى عنه أبو غانم الخراساني (2/ 8) في مدوّنته في الفقه الإباضيّ. وقد أورد الدّرجيني نصّ النّصيحة الّتي وجّهها إلى عبد الله بن يحيى طالب الحقّ (130/ 748). وجلّ أخبار المشارقة من الإباضيّة مرويّة عنه في كتب الطّبقات والسّير. إلاّ أنّ كتابه مفقود اليوم وكان حجّة في السّيرة لا يكاد يشذّ عنه شيء من سيرة

ولا يخفى على أيّ باحث في السّير الإباضيّة أنّ كتاب أبي سفيان هذا، كان عمدة المغاربة والمشارقة في التّعريف بنشأة المذهب و بعلمائه الأول ، لأنّه من الرّعيل الّذي أخذ عن أبي عبيدة، وعن الرّبيع وإنّا لنرجو أن يسعف الزّمن به.

وقد لعب محبوب هذا دورا عظيما في الرّبط بين المشرق والمغرب، إذ أورد ابن سلاّم[9] ما يفيد ذلك حين قال: " ودار

الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ولا سير المسلمين من بعده، وهو ممّن دوّن أخبار أهل الدّعوة .

ر. الدّرجيني: الطّبقات 2/ 478- 290. الشّماخي: السّير. 117- 119. ابن خلفون: أجوبة ابن خلفون: 116. التّعريف للمحقّق وهو عمرو خليفة النّامي. ر. الجّعبيري: البعد: ص 108 تعليق (47). كشف: 299.

[9] **لوّاب بن سلاّم التّوزري المزاتي** (بعد 273/ 887). من علماء قبيلة مزاتة العريقة.

أصله من " أغريميمان " بجبل نفوسة، نشأ بين أحضان عائلة علم وحكم، فعمّه وجدّه وأخو جدّه اشتركوا في موقعة مغمداس مع الإمام أبي الخطّاب عبد الأعلى سنة 142/ 759.

أوتي الحكمة منذ صغر سنّه، وأخذ العلم عن أبي كبه من أهل تنكنيص، وتلقّى بعض الأخبار عن أبي صالح النّفوسي.

محبوب بمكّة، وله خيامات تسمّى مضارب محبوب بمنى أيّام الحجّ بمقامهم بمنى ثلاثة أيّام التّشريق خلف الجمرة الكبيرة الّتي يرميها الحجّاج أوّل ما يقدمون من المزدلفة غربي منى، وغربي الجمار الثّلاث خلف عقبة منى وهي مضارب خيامات فيها مورد حجّاج أهل عمان وجماعتهم أيّام التّشريق بعد عيد الأضحى. "

كما يذكر ابن سلاّم أيضا أنّ المجاورين[10] بمكّة خمسون ومائة رجل، منهم خمسة وعشرون من أهل عمان.

كان شيخا وإماما عالما بالأصول والفروع، رحل إلى الحجّ والتقى مع جمع من الحجّاج وعلماء عمان، وقد كانت له **مسائل في علم الكلام**، نقل بعضها الوارجلاني في كتابه " الدّليل والبرهان ".

من مؤلّفاته: " **كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدّين** "، الّذي حقّقه كلّ من الشّيخ سالم بن يعقوب والمستشرق الألماني: شفارتز. طبع طبعة غير مرخّصة بعنوان محرّف وهو: " الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضيّة ".

ويعتبر هذا الكتاب في نظر المستشرق البولوني تاديوش لفتسكي أقدم كتب السّير في شمال إفريقيا.

ولابن سلاّم **رسائل** مع خلف بن السّمح، إذ التقاه في " جندوبة " شهري جمادى 271 هـ/ نوفمبر ديسمبر 884 م. أعلام عدد 760.

[10] ابن سلاّم: بدء الإسلام: 109.

3- العلاقة زمن محمّد بن محبوب

3- 1- تنويه المصادر باللّقاء العلمي بين محمّد بن محبوب وعمروس بن فتح في الحجّ

واستمرّ هذا الرّباط وثيقا مع ابنه محمّد بن محبوب بن الرّحيل (3 محرّم 260/ 29 أكتوبر 873)، ذاك الّذي كان رأس علماء الإباضيّة بعد أبيه، وكانت إقامته بمكّة، وبها التقى بعمروس بن فتح من علماء نفوسة (283/ 896)[11]، هذا اللّقاء الّذي ما فتئت مصادر الإباضيّة تنوّه بقيمته العلميّة حيث تقول: " وذكروا أنّ عمروسا وأصحابه توجّهوا إلى بلاد المشرق حجّاجا، فلمّا نزلوا مكّة وجدوا بها محمّد بن محبوب رحمه الله فدخلوا عليه في مجلس فوجدوه مع أصحابه فسلّموا عليه فهش لهم وقرّبهم إجلالا لهم، دون معرفة الأشخاص فلمّا تبوّأوا مقاعد المذاكرة سأل عمروس أبا عبد الله عن مسألة فقال ابن محبوب: إن كان أبو حفص في شيء من هذه البلاد فلا يصدر هذا السّؤال

[11] سبق التّعريف به ص 91 تعليق 1 .

إلاّ عنه ، و لا يرد إلاّ منه ، فقالوا له : إنّه هو السّائل فرفع ابن محبوب مجلس عمروس لمّا عرفه، وزاد دنوّه في مجلسه، ثمّ جعل عمروس يسأل في مسائل الدّماء عن مسألة بعد مسألة، حتّى قال له ابن محبوب: هذا من مكنون العلم لا يعلن به في قوم جهّال، فعند ذلك قال عمروس لأصحابه: احفظوا السّؤال وأحفظ لكم الجواب، حتّى نقدم على إخواننا فنخبرهم بما حفظنا ففعلوا، فلمّا قدموا بلادهم قال لهم عمروس: "هلمّ ما تكلّفتم به " فقالوا له: لم نحفظ شيئا سوى قوله: احفظوا المسائل لنرد بها على إخواننا، ثمّ إنّ عمروسا أعادها مسألة، فمسألة، عن آخرها "[12].

ولا تحتاج هذه الحادثة إلى تعليق كبير لإثبات غزارة علم القطبين والتّلاقي الحضاري المتواصل بين إباضيّة المغرب وإباضيّة المشرق.

3- 2- سيرة محمّد بن محبوب لأهل المغرب

وبعد إقامته بمكّة ينتقل محمّد بن محبوب إلى عمان ليتصدّى لنشر العلم وليعايش أحوال الأئمّة هناك، ويقف مواقفه

[12] الدّرجيني: الطّبقات 2/ 342.

منهم بوضوح فالولاية لمن تحقّ له وإلاّ فالبراءة، وكان أبرز عناصر المشورة لعقد البيعة للإمام الصّلت بن مالك سنة 237/ 852، وقد تولّى له القضاء بصحار موطن آل الرّحيل من سنة 249/ 873، وينسب إليه من الكتب **كتاب في الفقه في سبعين جزءا، وسيرته لأهل المغرب**، وهي مخطوطة تقع في ستّ وعشرين صفحة من الحجم المتوسّط مسطرتها 19.5/ 10.5 و بالصّفحة خمسة و عشرون سطرا بخطّ مشرقي واضح من ص 118 إلى ص 144 بنسخة الإمام غالب بالدّمام، وقد صوّرتها عن نسخة الشّيخ ناصر المرموري القراري.

قد عالجت هذه السّيرة ثلاثا وخمسين مسألة موجّهة من أهل المغرب للشّيخ محمّد بن محبوب، وجاء الجواب عن هذه المسائل واحدة بعد واحدة بعد أن دعا الأمّة إلى الالتزام بمسالك التّقوى في خطبة السّيرة، وبيّن فيها حسن أحوال الجماعة بالمشرق والمغرب:" كتبت إليكم رحمنا الله وإيّاكم، وأنا ومن قبلي من الخاصّة والعامّة من المسلمين بأحسن حال وأتمّ نعمة، وأجمع كلمة، ونحمده على ذلك وعلى كلّ حال...

وقد وصل كتابكم بالسّار لي من خبر سلامتكم و حالكم ، وجميل صنع الله لكم وآلائه عندكم، فحمدت الله على ذلك،

وسألته المزيد لنا ولكم من كلّ فضل عتيد، إنّ ربّنا واسع مجيب"[13]، لقد غلب على هذه الأجوبة طابع التّحاليل العمليّة، وإن لم تخل من شيء من التّنظير.

ومن ذلك ما جاء من توضيح حقيقة عقد الإمامة في المسألة 39. و تعريف العدل والعدالة في المسألة 44 و تعريف الاجتهاد وشروطه في المسألة 10 عند الإجابة عن سؤال يتعلّق بحكم العامل الذّي يعمل بما بدا له دون أن يكون ملمّا بالنّصوص.

أمّا بقيّة المسائل العمليّة فقد جاءت محاورها كالآتي:

1) 7 مسائل تتعلّق بأمر الزّكاة، ومحورها يتمثّل في الجور فيها من حيث الجمع أو من حيث التّوزيع مع التّحرّي في ما يتعلّق بجمع الجبابرة لها، وهي المسائل الأولى في السّيرة.

2) 29 مسألة تتعلّق بالإمام في سيرته في حدّ ذاته، وفي علاقته بالرّعيّة في وقوفه على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وفي علاقة الرعيّة به من حيث احتسابها عليه، مع إبراز حدود كلّ من الطّرفين في علاقته مع الآخر، وفي كلّ ذلك يقع

[13] السّير العمانيّة: 118 ثمّ 145 – 146.

الإلحاح على موجبات الولاية والبراءة والوقوف في جميع هذه الأحوال .

3) جلّ بقيّة المسائل تتعلّق بأحوال العمّال، وحسن اضطلاع القضاة بمهمّة القضاء، وما يطرأ في ذلك من الرّشوات. أو قبول الهدايا، أو التّحرّي وعدمه بالنّسبة إلى البيّنة والشّاهدين: المسألة: 10، 26، 27، 28، 37، 38، 42، 48.[14]

ثمّ أخذ يجيب عن المسائل الّتي أرسلوا بها إليه.

وهذا نموذج للقضايا المطروحة:

" **الموضوع: - إشكاليّة وجود إمامتين في نفس الوقت.**

- متى يتلقّب الإمام بأمير المؤمنين.

السّؤال:

"... وعن الّذي فعله أهل عمان وأهل المغرب أنّهم عقدوا الإمامة يومئذ لعبد الله بن يحيى رضي الله عنه ، وذلك في زمان أبي عبيدة مسلم، وعن رأيه كان ذلك مع عقد أهل المغرب لأبي الخطّاب ثمّ ابن رستم من بعده، ثمّ عبد الوهّاب بعد ذلك.

---

[14] السيّر العمانيّة: كلّ الفقرات الواردة في النّص مقتبسة من المخطوطة 118- 144.

وقلتم جاء في الحديث أنّ عمر بن الخطّاب رحمه الله قال يوم كانت خلافة أبي بكر: "إنّ الله واحد والإسلام واحد، ولا يستقيم سيفان في غمد واحد، ولا تجوز الأمور إلاّ على واحد" أو كما قال. وما روى بعض العلماء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيتم أميرين فاضربوا عنق أحدهما[15]" أو كما قال. إنّكم أحببتم علم ذلك، وكيف قول المسلمين ومذاهبهم في هذه الوجوه؟

وهل يقال لهم إمامان جميعا، كلّ واحد منهما في مكانه إمام أو يجب على أحدهما إجابة الطّاعة لمن كان عهد إمامته أم لا ؟

وإن كان ذلك جائزا فهل على أهل عمان الرّضا على إمامة المغربي وولايته وكذلك أهل المغرب يجب عليهم الرّضا بإمامة العماني وولايته ؟

وهل يقال لكلّ واحد من هذين الإمامين أمير المؤمنين في نفسه أم هو إمام مدافع ؟

الجـــواب: فاعلموا رحمنا الله وإيّاكم أنّ الّذي سألتم عنه من هذا قد مضى فيه الأثر من أئمّة المسلمين العلماء بكتاب الله وسنّة رسوله عليه السّلام ، وآثار أئمّة الهدى قبلهم رحمهم الله.

---

[15] مسلم : حديث عدد 3431، أحمد : حديث عدد 6212 .(بلفظ آخر).

فأمّا ما ذكرتم من الحديث عن النّبيّ عليه السّلام فهذا يجوز على معنى ما رأيتم إمامين فاضربوا عنق أحدهما إذ لا بدّ أن يكونا إمامين متضادّين، ولا يكون الإمامان المتضادّان إلاّ مهتديا وضالاّ، وعادلا وجائرا، إنّما يؤمر بضرب المبطل الجائر الضّال، وذلك عدل وحقّ، ولا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون يأمر بضرب عنق إمام عادل يتّبع كتاب الله ويقفو سنّة نبيّه، فيكون يقول إذا رأيتم إمامين يتّبعان كتاب الله وسنّتي فاضربوا عنق أحدهما. هذا لايجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأمّا قول عمر فهو كما قال عمر رحمة الله عليه، إنّ الله واحد والإسلام واحد، لا يستقيم سيفان في غمد واحد. لعلّه يعني إمامين، وكذلك قال المسلمون: لا يجتمع إمامان في مصر، وإنّما ذلك إذا كانا في مصر واحد فلا يكون للمسلمين إلاّ إمام واحد، وكذلك كان المسلمون في العقد لعبد الله بن يحيى رضي الله عنه، إنّما كان إماما واحدا، ولم يعقدوا اسم إمرة على المؤمنين، وإنّما يكون أمير المؤمنين من يملك إمارتهم مثل أبي بكر وعمر كانا مالكين لأهل القبلة، فهو أمير المؤمنين، ولم تكن تحلّ إمامة آخر معه لأنّ السّمع والطّاعة كانت له حقّا على كلّ مرء، ولم يكن لمؤمن أن يخرج من عقد إمامته ويدّعيها لنفسه.

فلمّا زالت إمارة المؤمنين و ولي أمر الإمارة الجبابرة و الجورة على عباد الله و في بلاده ، و مضى أهل الإسلام وتفرّقوا في الأمصار حلّ لكلّ مسلم أن ينكر المنكر، ويأمر بالمعروف، فإذا كان الخروج له حلالا، واسم الإمامة له حلالا ما لم يكن في ملك إمامة قبله، وكان كلّ إمام خرج في موضعه كان إمام ناسه وبلده، وكانت ولايته واجبة على المسلمين إذا علموها، فيتولّى كلّ واحد من أئمّة المسلمين الآخر من مواضعهم، وليس على أحد منهم الانقياد لصاحبه أن يكون عاملا له ما لم تتّصل أمصارهم وحكمهم فيها أو لم يكن أحد منهم من الجبابرة ما لم تجز الإمامة إلاّ لواحد كان، وعلى الأوّل والآخر أن يردّا ذلك إلى المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم إماما، فإن اختاروا أحدهما كان على الآخر أن يسمع له ويطيع، وإن اختاروا غيرهما كان عليهما أن يسمعا له ويطيعا له، وإن انقاد أحدهما لصاحبه وأسلم الإمامة إليه كان وليّها إلاّ أن يكرهه أهل العلم الّذين إليهم عقد الإمامة من أحد الفريقين، ويردّ ذلك إلى الشّورى.

وقد بلغني عن والدي محبوب بن الرّحيل رحمه الله أنّه حمله عنه ذلك بعض أشياخنا أنّه ذكر له ذلك في أئمّة عمان،

وحضرموت فقال: " الأئمّة في الأمصار، وكلّ إمام في مصره، فإذا اتّصل حكم المسلمين كانت شورى بين المسلمين.

ولا يجوز أن يسمّى أمير المؤمنين لأنّه اسم جامع للمؤمنين في كلّ الأمصار، كما لا يجوز أن يقال أمير النّاس كلّهم، وإمامهم كلّهم إلاّ أن يملك جميع أرض الإسلام، فحينئذ يكون أمير المؤمنين، و يكون على كلّ إمام أن يسمع له و يطيع، وتبطل الإمامة عنه.

فهذا ما عليه المسلمون، وهذا حفظي عن أشياخ المسلمين، وقولي أدين به من دين ربّي، فاتّبعوه لعلّكم تهتدون.

وفّقنا الله وإيّاكم للعدل والصّواب، والحكمة وفصل الخطاب، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله على محمّد النّبيّ. وعليه السّلام ورحمة الله وبركاته".

نعم إنّها مشكلة السّاعة آنذاك، فبعد أن كان الكلّ في طور الكتمان تحت لواء الإمام الثّاني أبي عبيدة في البصرة، فرض عليهم الواقع أن يعلنوا إمامة الظّهور في اليمن وعمان ثمّ في طرابلس مع وجود ملك آخر قائم في دمشق ثمّ فيما بعد في بغداد، فكيف يكون الحلّ ؟ ذاك هو ما حيّر أهل المغرب،

ويبدو في الظّاهر كأنّه يصطدم مع حديث للرّسول ﷺ وقولة لعمر.

وهنا يتصدّى محمّد بن محبوب للإشكال بكلّ رصانة وهدوء، وبعد نظر ودقّة استدلال، فيبيّن كيف يجب أن يفهم حديث رسول الله ﷺ ملحّا على أنّ الأمر يتعلّق بوجود جائر وعادل، فضرب عنق الجائر واجب.

أمّا قول عمر فعين الصّواب، ويكون الأمر مشروطا بالمصر إذ لا سبيل إلى قيام إمامين عادلين في مصر واحد.

أمّا إمرة المؤمنين قاطبة فلا يصحّ التّلقّب بها إلاّ لمن كان مثل أبي بكر وعمر مالكا لأهل القبلة جميعا، ثمّ بعد ذلك يفصّل القول في ما صار إليه أمر المسلمين حيث تحوّلت إمرة المؤمنين إلى ملك عضوض، هنالك وجب الخروج على الجبابرة وبهذا يكون كلّ من خرج إمام ناسه في مصره.

وعند تعدّد مثل هؤلاء الأئمّة في الأمصار، على كلّ منهم أن يتولّى الآخر من موضعه.

أمّا إذا اتّصل المصران أو الأمصار فوجب أن يسلّم الواحد للآخر، أو الاثنان للواحد، أو الكلّ لواحد، إذ يكون المصر واحدا...

فإن استقام هذا بالاتّفاق فذاك ما ترجوه الأمّة، وقد لا يرتضيه أهل الحقّ والعقد فيرجع الأمر شورى.

أمّا إن لم يستقم الاتّفاق فيرجع الأمر إلى أهل الحلّ والعقد من المسلمين.

– فإمّا أن يختاروا أحدهما أو أحدا منهم فعلى الآخر أو الآخرين أن يسمعوا ويطيعوا.

– وإمّا أن يختاروا شخصا آخر فعلى الكلّ أن يسمع ويطيع.

وبعد كلّ هذا التّحليل يستدلّ بما نقل عن أبيه في هذا الشّأن وهو مدعم لكلّ ما ذهب إليه وملخّصه:

1- جواز وجود إمامين بشرط اختلاف الأمصار وتباعدها، فكلّ إمام في مصره.

2- لا يلقّب أمير المؤمنين إلاّ من يملك جميع أراضي الإسلام.

أمّا الخاتمة فجاءت تقريرا قطعيّا لما وصل إليه من نتيجة، ودعوة صريحة لأهل المغرب لاتّباعها " **وقولي أدين به من دين ربّي، فاتّبعوه لعلّكم تهتدون.** "

نعم يعتبر ابن محبوب أنّ الهداية تكمن في اتّباع هذا المسلك الّذي استقرّ في رأيه واعتقده دينا من دين الله تعالى، والملاحظ أنّ هذه المسألة هي مسك الختام، لذلك توّجت بالدّعاء بالتّوفيق للجميع " **وللعدل والصّواب، والحكمة وفصل الخطاب** " مع الصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين.

إنّ هذا الّذي وصل إليه ابن محبوب، وهو نابع من صميم الواقع الإباضي آنذاك، مع ما جاء قبله من مواقف وأقوال في شأن الإمامة سيكون دعامة لنظريّة الإباضيّة في هذا الشّأن، ولا يخفى على أحد اختلاف وجهات نظر الفرق الإسلاميّة في شأن هذه المسألة الّتي دوّخت المسلمين، وما تزال تدوّخهم، وتدوّخ العالمين"[16].

إنّ التّحليل الحضاري لهذه المسائل يثبت أنّ البيئة الإباضيّة في المشرق والمغرب عرفت من التّعقيد الحضاري الشّيء الكثير وذلك أنّها دبّ فيها الخلاف الدّاخلي، وهو من أكبر عوامل

---

[16] السّير العمانيّة: 118 ثمّ 145- 146. لقد حلّلنا هذه السّيرة في كتابنا محمّد بن الرّحيل القرشي العماني. نشر بعمان ضمن فعاليّات الدّورة المخصّصة لمحمّد بن محبوب بسلطنة عمان بإشراف وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة. 2000. ص 117- 139. وهذا النّموذج مع التّعليق عليه مقتبس من كتابنا المذكور ص 122- 130.

الوهن، إلى جانب ما تواجهه على الجبهة الخارجيّة من ضغط الدّولة العبّاسيّة، وهو ما وقعت الإشارة إليه في التّعامل مع الجبابرة.

و قد عرفنا أنّ فتنة النّكّار ، و الخلفيّة[17] ، زعزعت كيان المحيط الإباضي في المغرب، وأثارت فيه عديدا من الشّبهات إلى حدّ أنّ النّكّار يلقّبون بالنّجويّة لكثرة إثارتهم لهذه الشّبهات حول الإمام نفسه، وحول عمّاله، وقضاته، وذلك هو شأن المعارضة، ممّا جعل أصحاب الرّسالة يتحرّون الإجابة من المشارقة في مثل هذه المسائل الدّقيقة.

كما أنّ عمان هي الأخرى عرفت ضربة من الجبابرة بعد سقوط إمامة الجلندى بن مسعود[18]، ومثل هذا المحيط بما فيه من الصّراع الدّاخلي من شأنه هو الآخر أن يثير عديدا من القضايا الدّقيقة في شأن أولي الأمر، خاصّة هؤلاء، وكانت ثورتهم حيثما قامت ثورة على الظّلم والظّالمين، مهما قلّت نسبة هذا الظّلم.

[17] **Lewiski T.** La répartition géographique des groupements ibadites de l'Afrique du Nord au Moyen Age, R. O., 21 (1957) 301-343.

[18] انظر ما سبق ص 66 تعليق 2 .

أمّا بلاد اليمن فقد ظلّت تصارع بين الكتمان والظّهور بعد الضّربة التّي منيت بها حركة طالب الحقّ التّي كانت طموحة إلى الإطاحة بالأمويّين، والوصول إلى إمارة المؤمنين [19].

والملاحظ أنّ كلّ هذه الإجابات جاءت مدعّمة بقضيّة الولاية والبراءة. ذلك أنّ كلّ من تثبت عليه معصية من المعاصي المشار إليها في المسائل يستتاب، فإن تاب في بعض الأحوال تقبل توبته ويبقى على ولايته الأولى، وفي بعض الأحوال حتّى وإن تاب يخلع، أمّا إن لم يتب وأصرّ فالخلع، ويصل الأمر إلى المحاربة والقتل. وفعلا لقد كان وما يزال نظام الولاية والبراءة الشخصيّة الدّرع الحصين في البيئات الإباضيّة الملتزمة.

والسّيرة في حدّ ذاتها ما تزال في حاجة إلى دراسة تحليليّة أوفى لما طرحته من القضايا السّياسيّة والفقهيّة العمليّة الّتي يعتمد فيها صاحبها على الكتاب والسنّة، وعلى مواقف أئمّة الإباضيّة وعلمائهم، ولذلك تتكرّر في السّيرة صيغة: " واعلموا رحمنا الله وإيّاكم أن الّذي أدركنا عليه علماءنا وأسلافنا "، وما شابهها مثل:" على ما مضى أوائلنا وأسلافنا.

[19] سبق تحليله ص 57 .

3- 3- عمروس بن فتح وكتابه الدّينونة الصّافية.

هذا عن ابن محبوب وسيرته لأهل المغرب، أمّا عمروس ابن فتح فقد واصل نشاطه العلمي، وقد علمنا من قبل أنّه حرص على نسخ مدوّنة أبي غانم عندما أودعها صاحبها عنده، وقد تصدّى بغزارة علمه لآراء نفّاث المخالفة ذاك الّذي علمنا أنّه دفن ديوان الإمام جابر، وقد تولّى هو الآخر القضاء لوالي الإمام عبد الوهّاب، وهو أبو منصور إلياس، وكان حازما في أمره وقد قتله الأغالبة صبرا في واقعة مانو سنة 283/ 896. ولم يصلنا ممّا ينسب إليه من مؤلّفات إلاّ كتاب الدّينونة الصّافية وقد ثبت لديّ عند إحدى رحلاتي إلى وادي ميزاب أنّ هذا الكتاب هو القسم الأوّل من كتاب في الفقه حسب المخطوطة المودعة في مكتبة دار التّلاميذ بمدينة العطف[20] بوادي مزاب جنوب شرقي الجزائر.

---

[20] الجعبيري: البعد الحضاري: 109 تعليق 52. وقد حقّق محمّد حاج أحمد بن حمّو كرّوم الكتاب بقسميه أصول الدّين والفقه تحقيقا جيّدا. ط وزارة التّراث سلطنة عمان 1420/ 1999- وقد سبق التّعريف بأبي غانم في موضعه ص 90، وكذلك نفّاث ص 108 . عن أبي منصور أعلام ص 119.

والدّينونة الصّافية رسالة تحليليّة أبرزت في قسمها الأصولي ثلاث نقط أساسيّة:

1- موقف الإباضيّة من المؤمنين والمشركين والمنافقين .

2- مواطن الخلاف بين الفرق : المرجئة ، الصّفريّة ، المعتزلة، أهل الحديث، مع ذكر الأدلّة باختصار.

3- تحليل ما لا يسع جهله طرفة عين وما يسع جهله من الإيمان والعمل حتّى يحلّ وقته. ص 57- 84.

وفي قسمها الفقهي مسائل العبادات: صلاة. طهارات. زكاة. صوم. حجّ. ومسائل المعاملات: المظالم. القصاص. المغانم. المواريث. الزّواج... ص 85- 159.

وقد دلّ الكتاب- على اختصاره- على مدى اطّلاع عمروس على القضايا المطروحة آنذاك وحسن معالجتها.

3- 4- سيرة أهل المغرب إلى الإمام الصلت.

ونورد السّيرة الّتي وجّهها بعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصلت بن مالك (237- 273/ 852- 887) ونرجّح مع واضع فهرست السّير العمانيّة، أنّها من أهل المغرب[21].

والسّيرة فريدة من نوعها ذلك أنّها خفيّة الاسم بمصطلح اليوم. إذ تظافر على تحريرها ثلّة من العلماء وعدوا بالاتّصال إذا تمّ الاتّفاق وزال الخلاف. وعللوا هذا الإخفاء كالتّالي: "... ولم يمنعنا أن نعرفكم أمكنتنا ونسمّي لكم بأسمائنا إلاّ خوفا أن يقع في قلوب منكم ما تحمله معرفة ذلك على الإنكار له والرّد لصوابه "[22].

---

[21] السّير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان. تحقيق سيّدة إسماعيل كاشف. نشر وزارة التّراث بسلطنة عمان. ط 2 دار جريدة عمان للصّحافة والنّشر. 1410/ 1989. 1/ 181 – 228 (47 صفحة). ولم تقم المحقّقة بتحليل الرّسالة بل اكتفت بنقل النصّ.

وفي نسخة الإمام غالب إضافة من النّاسخ: " سيرة عندي إنّها من **إخواننا أهل المغرب**." خ. ص 380. وقد اعتمدنا أيضا النّسخة المخطوطة من السّير العمانيّة وتقع السّيرة من ص 380 إلى 403.

[22] ن. م: 1/ 226.

وهذا ذكرهم للاتّصال عند الاتّفاق: "... فإن تمّ هذا فيكم وأوعز عن الرّجعة إلى ما كتبنا به إليكم أحد منكم، فإن لنا رأيا في الخروج إليكم والنّزول عليكم إن كنّا كذلك ولا قوّة إلاّ بالله"[23].

محور السّيرة الأساس: الدّعوة إلى نبذ الخلاف والحذر من الفرقة وقد تكرّر ذلك في مواطن عدّة من السّيرة 185، 186، 205، 206، 220، 223، 224. من ذلك: " فإنّ التّنازع والفرقة أعظم المعصية وأشدّ الفتنة، فاحذروا التّنازع والفتنة والتّدابر والاختلاف والتّشاجر في أمر قد كفيتم مؤنته وعرفتم عاقبته. "[24]

ومن ذلك أنّ السّيرة تهوّن من أمر هذا الخلاف فهو ليس من الدّين، كما أنّه ممّا يسع جهله:

" وأنتم تريدون أن تختلفوا في شيء ليس هو من الدّين، ولا اختلف فيه ولا في مثله المسلمون. "[25]

" فاتّقوا الله وأطيعوا ولا تختلفوا فيما يسع النّاس جهله ويسلمون بردّه إذا ردّدتموه إلى أولي العلم بالله ودينه ممّن يقف على معرفته وينظر معناه وشرحه وتفسيره"[26].

---

[23] ن. م: 1/ 227.

[24] ن. م: 1/ 182.

[25] ن. م: 1/ 182.

[26] ن. م: 1/ 183.

ثمّ بيّن تصويب أهل الاستقامة لأهل النّهروان:" لالتماسهم منه الحقّ ودعائهم إيّاه إليه. "[33]

ثمّ عدّد أئمّة أهل النّهروان تعدادا دقيقا من عبد الله بن وهب الرّاسبي (9 صفر 37/ 17 جوان 658) إلى أبي بلال مرداس بن حدير التّميمي (61/ 680)[34].

وهذا التّعداد يعتبر على حدّ علمنا من أهمّ الوثائق الّتي اطّلعنا عليها عند الإباضيّة وغيرهم وهو في حاجة إلى التّحقيق والتّحليل والتّعريف لأنّه يكشف عن مرحلة دقيقة في حياة أهل النّهراون أو المحكّمة.

المحور الرّابع: تعريف الفرق المنشقّة عن المحكّمة مع اعتبار أنّ عبد الله بن إباض بقي على مسلك المحكّمة الأولى وهذه الفرق: هي: الأزارقة. أصحاب نجدة بن عامر، أصحاب نجدة بن عطيّة، أصحاب زياد الأعصم، أصحاب صالح، أصحاب شبيب، الصّفريّة، الجهميّة، الثّعلبيّة.

---

[33] ن. م: 1/ 201.

[34] ن. م: 1/ 201- 202.

" وكان هؤلاء أئمّة ضلال ودعاة إلى الضّلال، ومنهم شعيب الكرماني، وداود، ومطر، ومنصور، والهيضم، وعزيز، وحمزة، وأبو إسحاق، وأبو عوف. "[35]

ثمّ قال: " ثمّ كان بعد ذلك فرق كثيرة، فرق أهل الضّلال، ضلّوا وأضلّوا كثيرا عن سواء السّبيل، ومنهم المرجئة، والمعتزلة، والمجبرة الزّنادقة، ونحن نبرأ منهم جميعا... وثبتت الطّائفة من المسلمين على ما قال عبد الله بن إباض رحمه الله من العدل والحقّ المعروف"[36].

المحور الخامس: تعريف الفرق الإباضيّة وهي ثلاث:

1) الشّعبيّة: نسبة إلى شعيب بن المعروف ومن معهم.

2) الطّرفيّة نسبة إلى عبد الله بن طريف.

3) " ونحن وأنتم معشر الإخوان الفرقة الثّالثة الّذي قلنا إنّ الحقّ في أيدينا، وبرئنا من جميع أهل هذه الفرق، ولا شكّ في ديننا ولا في دعوتنا. "[37]

---

[35] ن. م: 1/ 204.

[36] ن. م: 1/ 204.

[37] ن. م: 1/ 205.

وللاعتبار حدّدت السّيرة عوامل هلاك من هلك من الفرق: " وإنّما هلك من هلك من أهل هذه الفرق إذ أعجبوا بآرائهم واتّبعوا أهواءهم، وغلبت عليهم دنياهم، ووجدوا على ذلك أعوانا وأنصارا، فنعق كلّ ناعق منهم بكفره- كفر نعمة- ومضى كلّ فاسق منهم على غيّه ومكره "[38]

ثمّ فصل الحديث في الانشقاق الحادث بالمغرب في بداية إمامة الإمام عبد الوهّاب بن رستم وانقسام أهل الدّعوة هناك إلى تيّارين اثنين: **أوّلهما** مناصر للإمام عبد الوهّاب وقد رأى أصحاب السّيرة أنّه على الحقّ واحتجّوا له، و**ثانيهما** التّيار المنشقّ وأثبتت السّيرة أنّه المنحرف دون أن تذكر الأسماء، وقد عرف التيار الأوّل باسم الوهبيّة نسبة غير قياسيّة إلى الإمام عبد الوهّاب، وعرف التّيار الثّاني بالنّكار لأنّهم أنكروا إمامة الإمام عبد الوهّاب وقد كان للشعبيّة المذكورة آنفا صلة بالنّكار[39] وكان لذلك صداه في الفكر العقدي لأهل الدّعوة.

وهذه فقرة في هذا الموضوع: "وبهذه المنزلة كانت الخارجة على عبد الوهّاب لاستحلالهم الخروج عليه بالدّعوى

---

[38] ن. م: 1/ 205.

[39] ن. م: 1/ 205.

للشّروط الّتي يَفْرُون على أنفسهم بالظّلم فيها، وقولهم نعزلك لأنّا أصبنا من هو أعلم منك. "[40]

المحور السّادس: انطلاقا من حجيّة الإمام توسّعت السّيرة في تعريف الحجّة وتحديد درجاتها: الرّسول : حجّة والإمام القائم بدين الله حجّة. والمسلمون الموفّون حجّة.

" وإنّما قلنا الإمام حجّة، ما قام بدين الله ودعا إليه، وللإمام حدّ الحجّة ما ليس لغيره من المسلمين من إمضاء أحكامه وإجازة دعواه في الأشياء الّتي يلي الحكم فيها. "[41]

" واعلموا رحمنا الله وإيّاكم أنّما ضربنا لكم هذه الأمثال وأقمنا عليكم هذه الحجج كي تقرّوا أنّ المسلمين حجّة، وأنّ الحقّ هو الحجّة، وأنّ من دعا إلى الحقّ من المسلمين فيه الحجّة. "[42]

وألحّت السّيرة في هذا الصّدد على منزلة العلماء المخلصين الّذين يعملون بما يقولون من الحقّ[43].

---

[40] ن. م: 1/ 207.

[41] ن. م: 1/ 214.

[42] ن. م: 1/ 219.

[43] ن. م: 1/ 223- 224.

وقد تخلّل السّيرة أسف شديد لما صار إليه المسلمون من الوهن: " وفقد أهل البرّ والتّواصل والتّراحم، وعدم أهل الوفاء والحفاظ واتّقاء العيوب... "[44]

والمهمّ أنّه لولا المودّة في الله ما كتبت هذه السّيرة " دعانا إلى الكتاب إليكم الودّ الّذي يلقي الله في قلوب المسلمين لبعضهم البعض "[45]

وقبيل كلمة الختام حدّد أصحاب السّيرة عقيدة أهل الدّعوة الصّافية: "الله مولانا ومحمّد نبيّنا والإسلام ديننا، ندين به لربّنا غير حرجة به صدرونا، ولا كليلة عن وصفه ألسنتنا، ولا متواهنة فيه حجّتنا من كتاب ربّنا، بالله استعنّا وعليه توكّلنا"[46].

وأخيرا تأتي كلمة الختام: " وقد أبلغنا في النّصيحة إليكم، وأوعزنا في القول إليكم، وما توفيقنا وإيّاكم إلاّ بالله. هو حسبنا ومولانا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النّصير. وصلّى

---

[44] ن. م: 1/ 220.

[45] ن. م: 1/ 223.

[46] ن. م: 1/ 226.

الله على محمّد خاتم النّبيّين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم أقوى معين وأهدى دليل. نسأل الله التّوفيق."[47]

يتّضح من خلال هذه السّيرة أنّها بحقّ ثمرة جهد جماعيّ من خيرة علماء الأمّة وقد حرص أصحابها على ملازمة الحياد المطلق- وهذا ليس بالأمر اليسير في مثل هذه الأزمات- فعلّلوا عدم ذكر أسمائهم بأن يؤخذ الحقّ مجرّدا من قائله لأنّه قد يكون في ذكر قائليه ما يثير النّفوس.

كما لم تذكر السّيرة أسماء المتنازعين لا تصريحا ولا تلميحا، وإنّما اكتفت بذكر ما يدعو إلى درء الصّدع وجمع الشّمل والعودة إلى الحقّ بدون مكابرة مع التّحذير من مغبّة الاستمرار في الشّقاق دنيا حيث يكون ذلك مدعاة لاستغلال الأعداء

---

[47] ن. م: 1/ 227- 228.

الفرصة، وآخرة حيث لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم[48].

وفي رأينا هذا منتهى ما يعرف بالموضوعيّة عندنا اليوم في معالجة مثل هذه القضايا الشّائكة الّتي تلمّ بالأمّة.

رغم أنّ أصحابها ذكروا صراحة أنّهم أخفوا أسماءهم حتّى تبقى النّصيحة خالصة لله، ولا تشوبها شائبة وذلك لدقّة ما جاء فيها من الاحتجاج في قضيّة مخالفة النّكار للإمام عبد الوهّاب[49].

ومهما يكن مصدر الرّسالة فهي معبّرة عن التّلاحم بين أطراف المحيط الإباضي، ذلك لأنّها جاءت فيّاضة بالدّعوة إلى الائتلاف، لشعور أصحاب الرّسالة أنّ الأمّة على وشك الافتراق، وفي ذلك تحذير من تربّص المتربّصين لهم حيثما كانوا: "**واحذروا التّنازع والفتنة والتّدابر والاختلاف والتّشاجر.**"

---

[48] غبّاش (حسين عبيد) معاصر . عمان و الدّيمقراطيّة الإسلاميّة . تقاليد الإمامة و التّاريخ السّياسي الحديث (1500 – 1970). ط . دار الجديد. 1977 . ص 44 – 45 .

[49] سبق تحليله ص 85 – 87 .

كما أنّها بيّنت حدود الإمام وواجباته، وخاصّة أحكام الولاية والبراءة والوقوف في شأنه، كما أنّها أثبتت المفارقة بين النبيّ، والإمام والمسلمين في درجة الحجّة، ومع ذلك يبقى المسلمون حجّة.

وفي النّهاية عبّر أصحاب الرّسالة عن استعدادهم للخروج إليهم إن لم تنفع الرّسالة:" وإنّما أردنا بذلك الجزاء من الله على ما قد علم من رغبتنا، وإعزاز الإسلام وأهله وإعلاء كلمته في داركم ومصركم، فإن تمّ هذا فيكم وأوعز عن الفتنة والرّجعة إلى ما كتبنا به إليكم أحد منك (كذا) فإن لنا رأيا في الخروج إليكم، والنّزول عليكم إن كنّا لذلك أهلا. ولا قوّة إلاّ بالله[50]."

وهذه الخاتمة تنمّ بوضوح عن صدق نيّة أصحاب الرّسالة في إصلاح ذات البين، والتّقريب بين المتخالفين.

---

[50] ن. م: 232.

4- رسالة أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني وجماعة المسلمين إلى أهل المغرب [51]

ونذكر رسالة أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني إلى أهل المغرب، إذ هي في نفس النّسق في الدّعوة إلى التّآلف، وتثبت أحقيّة الإمام عبد الوهّاب وابنه أفلح في قضيّة خلف بن السّمح التّي انبثق عنها الخلفيّة.

وهذه أهمّ عناصر هذه الرّسالة:

خطبة الرّسالة: إثبات أنّ المذهب المتّبع هنا وهناك هو الحقّ من " سلام عليكم... إلى إنّك واسع كريم. " [52]

" فإنّي أحمد إليكم الله... الذّي هداني وإيّاكم لدينه الذّي لا يرضى إلاّ به ولا يتولّى إلاّ عليه ولا يبرأ إلاّ على تركه.."[53]

1) من " نوصيكم وأنفسنا... إلى إنّه وليّ حميد ".[54]

– وصيّة بالالتزام بالتّقوى خاصة عند الفتنة " نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله العظيم.."

---

[51] ابن سلاّم: بدء الإسلام: 101 ص135– 141. لم نتمكّن من التّرجمة له، يقول عنه ابن سلاّم: " وأبو عيسى خراساني فقيه مفت " ص 115.

[52] 135– 136.

[53] ص 135.

[54] ص 136– 137.

" فاتّقوا الله يا معشر المسلمين في أنفسكم ومعالم دينكم... "[55].

" وعليكم بالتّقوى وبالحزم والبصيرة فقد أبصر من كان قبلكم وقوع الفتنة حتّى نزلت، فعند ذلك التزموا بالتّمسك لعماد الدّين وقوام الهدى... "[56].

" فاتّقوا الله والزموا الحقّ ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم." [57]

– دعاء لله تعالى للجماعتين بالتّوفيق للعمل الصّالح وبالجنّة.

" وهب لنا ولكم العمل لطاعته..." [58]

2) من " وجاءنا بعض أصحابكم... إلى عصمنا الله وإيّاكم من شرّ ما خلق " [59].

– فتنة خلف بن السّمح زمن الإمام عبد الوهّاب الرّستمي.

---

[55] ص 136.

[56] ص 134.

[57] ص 134.

[58] ص 134.

[59] من ص 137– 140

أ) بلوغ خبر الفتنة إلى خراسان.

" وجاءنا بعض أصحابكم فذكروا لنا أمرا بلغ إلينا وساءنا.."[60]

ب) التّنويه بسيرة الإمام عبد الوهّاب الفاضلة.

" وقد أدركنا أبا أيّوب وائل بن أيّوب [61] وغيره من الأشياخ ومن بعده محبوبا أبا سفيان بن الرّحيل وهم راضون عنه لا ينقمون عليه شيئا والحمد لله "

---

[60] ص 137.

[61] **وائل بن أيّوب الحضرمي**، مات بعد (180/ 797) لأنّه خلف الرّبيع في إمامة الإباضيّة بالبصرة.

ولد في حضرموت، يمني الأصل، رحل إلى بصرة في طلب العلم تتلمذ على الإمام أبي عبيدة وعلى الإمام الرّبيع.

اشترك في بيعة الإمام طالب الحقّ (131/ 748) على اليمن، وآزره في جهاده حتّى قتله جيش بني أميّة.

عندئذ رجع إلى البصرة مؤازرا الإمام الرّبيع إلى أن انتقل هذا الأخير إلى عمان فخلفه على إمامة الإباضيّة هناك بالعراق.

" وقد كان أبو أيّوب موجودا مع الرّبيع لما وردت رسالة المغاربة في شأن إمامة عبد الوهّاب (178- 208/ 787- 823) وخلاف ابن فندين له " البارونى: الأزهار الرّياضيّة: 2/ 106.

يقول عنه الدّرجيني: " صنو الرّبيع وتلوه... فإنّهما رضيعا لبن التّفقه في الدّين والعلوم..." (طبقات 2/ 278)

ويقول عنه الشمّاخي: " وهو من أفاضل أصحابنا علما وزهدا وتقى وأمرا ونهيا " (سير 1/ 97)

له آراء وفتاوى كثيرة مبثوثة في كتب الفقه الإباضي، وقد روى عنه أبو غانم في مدوّنته أقوالا كثيرة.

يقول مبارك الرّاشدي: " ولأبي أيّوب قدم راسخة في العلم سواء في الفقه أو في علم الكلام، ولولا ذلك لما خلف الرّبيع في الفتوى، بل إنّ أبا عبيدة الصّغير عبد الله بن القاسم عندما يسأل يقول: عليكم بوائل فإنّه أقرب عهدا بالرّبيع " (سير 1/ 97)

وكان في فتواه يحبّ التّسهيل ويقول: " إنّما الفقيه الذّي يعلم النّاس ما يسع النّاس فيه ممّا سألوه عنه، وأمّا من يضيق عليهم فكلّ من شاء أخذ بالاحتياط " (طبقات 2/ 278).

وقد اغترف من علم ابن أيّوب كثير من الطّلبة العراقيّين والحضرميين والخراسانيّين والحجازيين وغيرهم، يقول الدّرجيني: " وآثاره المثقّفات بالعراق والمغرب وعمان و حضرموت، فله الحظّ الأوفر في طريقة المتفقّهين وله في مسالك الصّلحاء رتبة وقوانين " (طبقات 2/ 278)

الدّرجيني: طبقات 2/ 278. شمّاخي: سير بارونيّة 105- 106.

الجيطالي: قواعد 1/ 103 تعليق. ابن خلفون: أجوبة 110 ملحق. البارونى: مختصر تاريخ الإباضيّة: 25. البارونى: الأزهار الرّياضيّة: 2/ 106. ابن مداد: السّيرة: 14. الشقصي: منهج الطّالبين 1/ 106. النّامي: دراسات: 134 . الجعبيري: البعد 469- 470 . الرّاشدي: أبو عبيدة: 237-

ج) مراحل الفتنة :

* السّمح [62] وَالٍ على نفوسة من قبل الإمام: استقامة.

* انطلاق الفتنة بموت السّمح.

* نفوسة تولّي ابنه خلف دون استئذان الإمام "وخالفوا قول المسلمين حين نزل بهم الأمر من هلاك صاحبهم فاستعملوا عليهم رجلا بغير إذنه (الإمام)، والأمر إلى الإمام الذّي هو عليه... " [63]

* إنكار الإمام عبد الوهّاب عليهم و تمسّكهم بموقفهم وإنكار أصحاب الرّسالة عليهم. فقال (الإمام) لهم: " لست أرضى بما صنعتم " [64]

239 . المصعبي: حاشية على أصول تبغورين. تحقيق حمّو الشّيهاني: مرقون. 279. الوهيبي: الفكر العقدي مرقون: 135- 136. ابن دريسو: الفكر العقدي 217 وعدّة صفحات أخرى.

[62] سبق التّعريف بالسّمح ص 93 .

[63] ص 139.

[64] ص 140.

" وكان ينبغي لهم أن يسمعوا ويطيعوا لقول عبد الوهّاب ويخلعوا ما سواه... " [65].

3) من " ثمّ كان... إلى آخر النّص "[66].

ـ استمرار فتنة خلف زمن الإمام أفلح. الترضّي على سيرة الإمام أفلح " لا ينقم عليه أحد قبلنا وقبلكم في حكم حكمه ولا قي قسم قسمه... "

ـ إنكار الإمام أفلح على خلف ومن معه وإصرارهم على موقفهم

" فبلغنا أنّه أنكر على من دخل في رأي خلف، كما أنكره أبوه ومن قبله من المسلمين، وأبوا ذلك عليهم فخالف (....) خلف وأصحابه وأبوا إلاّ رأيهم، فالله المستعان، وقد فسّرنا لهم وإيّاكم معالم ديننا ووضحّنا رأي المسلمين عليهم"[67].

يقف النّص عند هذا الحدّ ونحن نعلم من سيرة الإمام أفلح أنّه قضى على هذه الفتنة [68].

[65] ص 140.

[66] ص 140 – 141.

[67] ص 140 – 141.

[68] سبق تحليله ص 101 .

واضح أنّ هذه الرّسالة الخراسانيّة جاءت مؤيّدة للإمامين عبد الوهّاب وأفلح، مصوّبة لموقفهما من فتنة خلف، داعية هذا الأخير وجماعته إلى الرّجوع إلى الحقّ والامتثال لأمر الإمام، وهذا التّأييد زاد الإمام أفلح قوّة للعمل على القضاء على هذه الفتنة وقد حقّق ذلك بعد عناء كبير.

5- أخبار عن لوّاب بن سلاّم وأبيه تتّصل بمصر ومنى.

تجدر الإشارة إلى بعض الأخبار التّي يذكرها ابن سلاّم عن اتّصال أبيه بإباضيّة مصر وعن رحلته هو لأداء فريضة الحجّ وزيارته لإباضيّة مصر، وعن أداء صاحب أبي حمّاد النّفوسي فريضة الحجّ ثلاث مرّات وإقامته في إحداها بمصر.

وسلاّم بن عمرو بن عمر بن تمطنين اللّواتي والد صاحب كتاب بدء الإسلام هو عامل الإمام عبد الوهّاب (208/ 824) على سرت ونواحيها. وتشير تفاصيل رسالة موجّهة إلى سلاّم هذا حسب ما يذكره ابنه لوّاب في كتابه بدء الإسلام أنّه له اتّصال بإباضيّة مصر بالفسطاط [69].

---

[69] ابن سلاّم: م.: ص 115

كما أنّ لوّاب سلاّم نفسه يذكر أنّه زار ورفيقه سدرات من أهل ميري- وميري من قرى جبل نفوسة- الفقيه محمّد بن عبد الملك الحجازي بالفسطاط قبل سنة 250/ 865.

ويعطينا ابن سلاّم وصفا غير كامل للمكان الذّي يقع فيه مسكن هذا الفقيه حيث يقول: " مسكنه عند الدّار التّي فوق مكان يعمل فيه المحامل ما بينه وبين حيث يباع الطّعام. " [70].

كما يذكر ابن سلاّم أنّه بعد سنة 260 (المنتهية 15/ 10/ 874) وصل إلى مدينة اجدابية- بجبل نفوسة- وهو قافل من الحجّ. [71] لكنّه لم يخبرنا عن تفصيل حجّه.

كما يذكر أنّه أخبره عن مضارب محبوب بن الرّحيل بمنى [72] صاحب لأبي حمّاد النّفوسي وهو رجل عالم لقي حجّاج عمان وعلماءهم في أيّام منى مقيمين في تلك المضارب. وقد حجّ هذا الصاحب المجهول ثلاث مرّات وأقام بمصر في أثناء

---

[70] ن. م: 115

[71] ن. م: 134

[72] ن. م: 109- 110

واضح أنّ هذه الرّسالة الخراسانيّة جاءت مؤيّدة للإمامين عبد الوهّاب وأفلح، مصوّبة لموقفهما من فتنة خلف، داعية هذا الأخير وجماعته إلى الرّجوع إلى الحقّ والامتثال لأمر الإمام، وهذا التّأييد زاد الإمام أفلح قوّة للعمل على القضاء على هذه الفتنة وقد حقّق ذلك بعد عناء كبير.

5- أخبار عن لوّاب بن سلاّم وأبيه تتّصل بمصر ومنى.

تجدر الإشارة إلى بعض الأخبار التّي يذكرها ابن سلاّم عن اتّصال أبيه بإباضيّة مصر وعن رحلته هو لأداء فريضة الحجّ وزيارته لإباضيّة مصر، وعن أداء صاحب أبي حمّاد النّفوسي فريضة الحجّ ثلاث مرّات وإقامته في إحداها بمصر.

وسلاّم بن عمرو بن عمر بن تمطنين اللّواتي والد صاحب كتاب بدء الإسلام هو عامل الإمام عبد الوهّاب (208/ 824) على سرت ونواحيها. وتشير تفاصيل رسالة موجّهة إلى سلاّم هذا حسب ما يذكره ابنه لوّاب في كتابه بدء الإسلام أنّه له اتّصال بإباضيّة مصر بالفسطاط [69].

[69] ابن سلاّم: م.: ص 115

كما أنّ لوّاب سلاّم نفسه يذكر أنّه زار ورفيقه سدرات من أهل ميري- وميري من قرى جبل نفوسة- الفقيه محمّد بن عبد الملك الحجازي بالفسطاط قبل سنة 250/ 865.

ويعطينا ابن سلاّم وصفا غير كامل للمكان الذّي يقع فيه مسكن هذا الفقيه حيث يقول: " مسكنه عند الدّار التّي فوق مكان يعمل فيه المحامل ما بينه وبين حيث يباع الطّعام. " [70].

كما يذكر ابن سلاّم أنّه بعد سنة 260 (المنتهية 15/ 10/ 874) وصل إلى مدينة اجدابية- بجبل نفوسة- وهو قافل من الحجّ. [71] لكنّه لم يخبرنا عن تفصيل حجّه.

كما يذكر أنّه أخبره عن مضارب محبوب بن الرّحيل بمنى [72] صاحب لأبي حمّاد النّفوسي وهو رجل عالم لقي حجّاج عمان وعلماءهم في أيّام منى مقيمين في تلك المضارب. وقد حجّ هذا الصاحب المجهول ثلاث مرّات وأقام بمصر في أثناء

[70] ن. م: 115

[71] ن. م: 134

[72] ن. م: 109- 110

ذلك [73]. ويقول ابن سلاّم في آخر الخبر: " ولقيته بعد انصرافه وهو من نفوسة مدينة مدرار أهل تافيلالت. " [74]

هذه أخبار، وإن كانت متقطّعة، فإنّها تنبئ عن الحركيّة الدّؤوب التّي تربط إباضيّة المغرب بإباضيّة المشرق مرورا بمصر حيث كانت مجموعة إباضيّة لا يستهان بها تخفّف الأعباء عن حجّاج بيت الله الحرام، وتساعد على تقوية أواصر العلاقة، خاصّة وأنّها نقطة عبور لا بدّ من التّوقف بها.

هذا ما عثرنا عليه من نصوص وأخبار عن العلاقة بين المشارقة والمغاربة زمن الإمام أفلح. فماذا عن العلاقة بعد وفاته؟

[73] ن. م: 109- 110

[74] ن. م: 110

المبحث الثّـــاني

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان بعد وفاة الإمام أفلح

وتبدأ الأحوال في الاضطراب بعد موت الإمام أفلح إلى أن يأفل نجم الإمامة الرّستميّة على يدي العبيديّين سنة 296 / 909 وتتداخل الأمور في عمان بعد إمامة كلّ من الإمام راشد بن النّضر اليحمدي (273- 277/ 887- 891) والإمام عزّان بن تميم الخروصي (277 – 280 / 891 – 894)[75] ، و تقلّ الأخبار عن

[75] **هو راشد بن النّضر الفجحي اليحمدي:** عقد له الإمامة موسى بن موسى 886/273 ومن هنالك انطلقت الفتنة وانقسم أهل عمان فمنهم من اعترف بهذه الإمامة ومنهم من ظلّ وفيّا لإمامة الصّلت إلى أن توفّي 890/277. ر. كشف: 264- تحفة: 1/217-242.

عزّان بن تميم الخروصي: اشتدّت الفتن في زمان الإمام راشد إلى أن برئ منه موسى الّذي بايعه " وفسّقه وضلّله وسار عليه وعزله " كشف: 265. وشارك في بيعة الإمام عزّان 890/277. ثمّ قامت الخصومة بينه وبين الإمام

العلاقة بين أهل المغرب وأهل المشرق سوى ما ذكر من رحلة أبي اليقظان[76] إلى الحج متسترا ، و انتباه العبّاسيّين لذلك

عزّان الّذي عزله عن القضاء واشتدّت الفتن إلى أن وقعت الاستعانة بمحمد بن بور والي البحرين من قبل العبّاسيّين سنة 893/280 فاستولى على عمان وحوّل عاصمتها إلى بُهلا. كشف: 265-275. تحفة: 1/243-262. الجّعبيري:الحياة السّياسيّة: ص 114 تعليق 67.

[76] **محمّد بن أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم (أبو اليقظان)** (حكم: 261/ 281/ 874- 894) خامس الأئمّة الرّستميّين، وواسطة العقد عددا، ولد بتاهرت ونشأ بها.

تلقّى العلم عن أبيه أفلح، وجدّه عبد الوهّاب، وكان كما وصفه ابن الصّغير-أحد معاصريه- : "مربوع القامة، أبيض الرّأس واللّحية، زاهدا ورعا ناسكا. "

كانت له حلقات علم بتيهرت الرّستميّة، فتخرّج على يديه الكثير من المشائخ الأعلام، وكان من المكثرين في التّأليف، له " **رسالة في خلق القرآن**"، وكتب في **الرّد على المخالفين**، وألّف في **الاستطاعة** وحدها أربعين كتابا (ربّما يقصد به المؤرّخون جزءا أو رسالة)، وله **رسائل** عديدة، و**جوابات** مختلفة، منها ما وصلنا، وأغلبها عبثت به يد الأيّام.

وقد ابتلي بالإمامة في ظروف صعبة جدّا، إذ ترك له أخوه أبو بكر الأمّة متناحرة، بعد أن عصفت بها فتنة ابن عرفة، لذلك لم تستقرّ له الإمامة إلاّ سبع سنين قضاها في تنظيم صفوف المجتمع وتصفيتها من آثار الفتنة، فإليه يرجع الفضل في القضاء عليها وبثّ الأمن والسّلم والطّمأنينة.

و سجنهم له في بغداد، وإطلاقهم سراحه فيما بعد ليتولّى الإمامة (261- 281/ 875- 895)، وهو يحمل معه كثيرا من قضايا العقيدة[77] أهمّها رسالته في خلق القرآن الّتي نقلها البرّادي في آخر كتاب الجواهر[78].

وتذكر المصادر أنّه سجن ببغداد مع أخ لخليفة عبّاسي قبل تولّيه الحكم سنة 261/ 874، قبضت عليه عيون بني العبّاس في موسم الحجّ أثناء أدائه للفريضة، وقضى في سجن بغداد سنين عددا، وتعلّم خلالها الكثير من فنون السّياسة والكياسة، خاصّة وأنّه كان مع أمير استدعي بعد خروجه من السّجن لتولّي الخلافة- لعلّه المعتمد العبّاسي ــ، الأمر الّذي جعل الأمير يطلق سراح أبي اليقظان، ويسهّل له العودة إلى وطنه بالمغرب، ليتولّى هو الآخر الإمامة في دولته.

وعرفت الدّولة الرّستميّة في عهده انفتاحا كبيرا على العلم والعلماء، حيث اهتمّ فقهاء المذاهب المختلفة بالمناظرات الفقهيّة والكلاميّة، وكثرت المجالس والحلقات. أعلام عدد 784.

[77] **Cuperley P.** Professions de foi ibadites : contribution à l'étude de l'ibadisme et de sa théologie. Doctorat d'Etat. Université de Paris – IV – Sorbonne. Lettres et Civilisation. Paris 1982 tomes II, 655 p. Tome III, 208 p + 74 p. textes arabes. **Motylinski.** L'Aqida des Abadhites, dans Recueil de Mémoires et de Textes publié en l'honneur du 114e Congrès des Orientalistes, Alger, 1905, p. 504- 545.

[78] أبو القاسم البرّادي: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات (الدّرجيني). ط حجريّة القاهرة 1302/ 1885: 183- 200.

كما أنّ الشمّاخي لا يغفل عن المقارنة بين نكبتين نزلتا بالإباضيّة فيقول:" وواقعة مانو بعد وقعة ابن بور بأهل عمان، وقد خرج عليهم من البحرين عام ثمانين ومائتين، وكان عاملا للمعتضد، وخليفة أهل عمان عزّان بن تميم "[79].

تلك هي أصداء الحوادث الجلّى الّتي زعزعت كيان الإباضيّة شرقا وغربا، وإن استطاع أهل عمان أن يعودوا إلى إمامة الظّهور فيما بعد، فقد استمرّ إباضيّة المغرب في الكتمان إلى يومنا هذا، بعد أن ثاروا عدّة ثورات باءت بالفشل، وكادت تستأصلهم[80].

وفعلا قام **نظام العزّابة** بالمغرب مقام الإمامة، وعن طريقه تواصل الاتّصال بالإباضيّة في المشرق، هؤلاء الّذين انحسر كيانهم بعمان، بعد أن انقرضوا من البصرة والكوفة ومكّة والمدينة وخراسان ومصر.

---

[79] محمّد حسن: تحقيق سير الشمّاخي: 210 وقد حلّل القضيّة في الهوامش تحليلا وافيا.

Talbi M. L'Emirat Aghlabide, Paris, Adrien Maisonneuve, 1966.

[80] سيحلّل في موضعه ص 162-163 .

خـاتمـة

وفعلا تضنّ علينا المصادر بأخبار هذه العلاقات في القرون اللاّحقة سوى بعض الشّذرات المبثوثة هنا وهناك، والّتي بقيت معبّرة عن أواصر المحبّة بين بلاد عمان وأطراف بلاد المغرب الّتي انحسر فيها المذهب، في جبل نفوسة، وزوارة بليبيا، وجزيرة جربة بالبلاد التّونسيّة حاليّا[81]، ووادي ميزاب ووارجلان ببلاد الجزائر حاليّا.

وسنورد هذه الأخبار القليلة حسب تسلسلها الزّمني عبر القرون عسى أن تكتشف نصوص تزيد الموضوع وضوحا، إذ لا يعقل ألاّ يتمّ إلاّ لقاء واحد في قرن كامل، مع العلم بأنّ الإباضيّة كانوا كغيرهم من المسلمين لا يتخلّفون عن الحجّ.

ومن ذلك ما ترويه المصادر من أنّ أهل جبل نفوسة كانوا أكثر النّاس حجّا، بحيث " إنّهم كانوا يحجّون بنسائهم وذراريهم، حتّى قيل إنّه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة مولود ذكر، فضلا

---

[81] **Yahyaten S.** Les Ibadites au Sud Tunisien du 3^e^s/9 au 6^e^s/12, mémoire dirigé par Jean Devisse. Université de Paris I Sorbonne – Panthéon, 1982. 1983 Polycopie.

عن المواليد الإناث أو النّساء اللاّئي لم يلدن، أو عدد الرّجال المرافقين لهؤلاء النّسوة " ويعلّق بحّاز إبراهيم على هذه الرّواية بقوله:" لا تدلّ هذه الرّواية إن صحّت إلاّ على اهتمام النّاس بالحجّ "[82].

والمفروض أن تسعفنا المصادر بأخبار أشمل وأكثر دقّة في شأن العلاقة بين المغاربة والمشارقة، ذلك أنّها بلغت أوج ازدهارها في هذا القرن، لكنّ الواقع غير ذلك، ولعلّ الأمر يرجع إلى أنّ كلاّ من الإمامتين هنا وهناك كانت مطمئنّة على الأخرى لما ترفل فيه من عزّ سياسيّ وعلميّ واقتصاديّ واجتماعيّ. فإمامة الإمام أفلح ملأت كامل النّصف الأوّل من القرن الثّالث/ 9 عرفت فيه الإمامة الرّستميّة أوج عزّها[83]، وتداول على الإمامة في عمان في هذه الفترة ثلاثة أئمّة اشتهروا بنشر العدل عرفت عمان معهم أيضا أوج عزّها.

---

[82] بحاز إبراهيم (معاصر): الدّولة الرّستميّة 160- 296/ 777- 909 دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة. مطبعة لافوميك. الجزائر. ط 1. 1985. ص 319.

[83] **Békri Ch.** Le Kahrijisme berbère, quelques aspects du royaume roustumide, dans A. I. E. O. 15, (1957), 55-108

لذلك تبيّنّا في هذا الفصل أنّ مدار العلاقة الأساس كان علميّا بحتا تمثّل في العمل على توفير المصادر المشرقيّة بالمغرب والعكس بالعكس، وظلّ كلّ طرف يسدي النّصيحة للآخر للحفاظ على هذا المجد مع تنويه المصادر بما بلغه علماء هذه الحقبة من نبوغ، وتجلّى في ذلك اللّقاء بين علمين من أعلام المذهب أحدهما مغربيّ صميم وثانيهما عماني صميم.

دون أن نغفل عن رسالة أبي عيسى الخراساني الّتي جاءت مؤيّدة للإمامة الرّستميّة وعن بعض الأخبار الّتي أوردها ابن سلاّم.

لكن ما أن حلّ النّصف الثّاني من القرن الثّالث حتّى بدأت هذه العلاقة تتدحرج نحو الأفول.

فما أن هلك الإمام أفلح حتّى اضطربت الأوضاع بأطراف الإمامة وشهدت نفوسة واقعة مانو الّتي أبادت أربعمائة عالم من بينهم عمروس المنوّه بعلمه والّذي قتل صبرا، وانتهى الأمر باستئصال الشّيعة للإمامة الرّستميّة بتاهرت سنة 296/ 908 وإحراق مكتبتها المعصومة.

أمّا الإمامة بعمان فقد عصفت فتنة بإمامها الثّالث الصّلت ابن مالك قسمت العمانيّين إلى فئتين رستاقيّة ونزوانيّة جماعة

تناصر إمامة الصلت رغم كبر سنّه لأنّ قدرته العقليّة ثابتة، وجماعة تناصر من عزلوه ملحّة على ضعفه، وعيّنوا مكانه آخر هو الإمام راشد بن النّضر.

وقد أدّى هذا الانقسام إلى تمكّن ابن بور- من قبل الخلافة العبّاسيّة- من عاصمة الإمامة نزوى سنة 280/ 893 فعاث فيها فسادا، وأحرق كتب الإباضيّة.

واضح أنّه في مثل هذه الأحوال تنقطع الأخبار لأنّ كلّ جماعة تجترّ آلامها وما يبلغها من أخبار الجماعة الأخرى حيث يتمّ اللّقاء في موسم الحجّ، وقد ينقطع حتّى هذا اللّقاء إذا لم يتوفّر أمن الطّريق.

ونتيجة لقلّة ما تورده المصادر من أخبار في شأن العلاقة بين المشارقة والمغاربة سيتحوّل مجرى فصول هذا البحث لنجمع ما يتعلّق بأخبار هذه العلاقة من القرن الرّابع إلى القرن السّابع/ 10- 13 في الفصل الرّابع، ثمّ من القرن الثّامن إلى القرن الحادي عشر/ 14- 17 في الفصل الخامس.

الفصـــل الرّابـــع

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان من القرن الرّابع إلى القرن السّابع الهجري/ 10- 13 م

تـــمـــهـــيد

قرون أربعة سنحاول في هذا الفصل الوقوف عند أخبارها فيما يتعلّق بالعلاقة بين المشارقة والمغاربة، ذلك أنّ نسبة هذه الأخبار تقلّص إيرادها تقلّصا واضحا في كلّ المصادر الّتي بين أيدينا وسنخصّص لكلّ قرن مبحثا.

أمّا **المبحث الأوّل** فخصّص للقرن الرّابع/ 16 لتبيين مدى اضطراب الأوضاع مشرقا ومغربا حيث عرفت بلاد المغرب ثورتين باءتا بالفشل، ثورة أبي يزيد وثورة أبي خزر، كما عرفت بلاد المشرق استبداد الجبابرة وتراجع الإمامة، وفي كلّ هذا ورد خبر واحد هو وفود ابن الجمع من المشرق، ذاك الّذي تتلمذ على يديه عدد من الطّلبة كان لهم دور فعّال في مجرى أحداث بلاد المغرب نذكر منهم ابن زرقون وأبا يزيد.

وورد خبر آخر عن تتلمذ عدد من المغاربة على ابن بركة.

وأمّا **المبحث الثّاني** فخصّص للقرن الخامس/ 11 حيث أثبت نصّ وفرة الكتب المشرقيّة بالمغرب وبيّن آخر لقاء نصر ابن سجميمان بأئمّة عمان في الحجّ ذاك اللّقاء الّذي تمّ فيه الحوار حول قضايا عقديّة.

وأمّا **المبحث الثّالث** فاهتمّ بالقرن السّادس/ 12 ذاك القرن الّذي قلّت فيه الأخبار رغم ازدهار مدينة وارجلان بالمغرب، وثبت فيه اعتناء أبي يعقوب الوارجلاني بترتيب مسند الرّبيع بن حبيب، ورحلة ابن خلفون إلى الحجّ، واللّقاء بناجية بن ناجية العماني وما نتج عنه من توبة ابن خلفون وتبنّي الإباضيّة منهج الفقه المقارن بعد أن كانوا يستنكفون عنه إلاّ في القليل النّادر.

ويأتي **المبحث الرّابع** ليعنى بالقرن السّابع/ 13 ذاك القرن الّذي تميّز بقصّة تأليف كتاب طبقات الدّرجيني الّتي كانت رمز التّعاون في شأن رغبة المشارقة في التّعرف على أخبار المغاربة.

المبحث الأوّل

العلاقة في القرن الرّابع الهجري / 10 م

1- اضطراب الأوضاع مغربا ومشرقا.

ثمّ تضطرب الأمور في القرن الرّابع الهجري/ 10 م ويشنّ الإباضيّة ثورتين على العبيديّين، وهما ثورة أبي يزيد مخلّد بن كيداد سنة (336/ 947)[1] وثورة أبي خزر يغلا بن زلتاف سنة

[1] **مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزّناتي النّكاري، أبو يزيد.** ثائر من زعماء الإباضيّة وأئمّتهم. إمازيغي الأصل. كان يغلب عليه الزّهد والتّقشّف، ويلبس جبّة صوف قصيرة ضيّقة الكمّين. ولد ونشأ في قسطيلية وكانت تابعة لتوزر، ونشأ بتوزر، وخالط النّكّارية بتشديد الكاف، وهم من الصّفريّة (الصحيح أنّهم من الإباضيّة)، وسافر إلى تاهرت معلّما للصّبيان فيها،

(358/ 969)[2]، وكادت الثّورة الأولى خاصّة أن تطيح بعرش العبيديّين، وفشلت الثّانية.

وانتقل إلى " تقيوس ". قال ابن خلدون: " ثمّ أخذ نفسه بالحسبة على النّاس وتغيير المنكر سنة 316/ 928 فكثر أتباعه ". ولمّا مات المهدي الفاطمي (سنة 322/ 934) خرج بناحية جبل" أوراس " وتلقّب بشيخ المؤمنين. ثمّ ذكر أخبار الثّورة باختصار. ر. الزّركلي: الأعلام: ط 6. 194/7 ولزيادة التّفصيل عن ثورة أبي يزيد. ر. عامر ونيّس: أبو يزيد مخلد بن كيداد: أطروحة دكتوراه دولة نوقشت بجامعة الزيتونة السّنة لم تذكر. الجّعبيري: الحياة السّياسيّة ص 168 تعليق 36.

Dachraroui F. Le Califat Fatimide au Maghreb 296 – 362/ 909 – 973. Histoire politique et institutions. Thèse de Doctorat d'Etat présentée à la Sorbonne le 25 Mai 1970. S.T.D. Tunis 1981. p.200 .

[2] **أبو خزر يغلا بن زلتاف** (990/380) من بني واسين. سكن الحامّة مع أبي القاسم يزيد بن مخلّد حيث درسا هناك الأصول على سحنون بن أيّوب وتزوّج الغاية. حاصر عامل أبي تميم الفاطمي في باغاي (انظر الخريطة) 969/358 إثر مقتل أبي القاسم الحامّي، وانهزم أبو خزر في هذه المعركة. ثمّ تمّ الصلح بينه وبين أبي تميم سنة 970/359. وتحوّل معه إلى القاهرة حيث توفّي سنة 380/ 990. عدّه أبو يعقوب الوارجلاني ضمن الأئمّة العشرة الذين انفردوا بآراء في علم الكلام. وقد استقرّ بمصر، وبها توفّي، وتذكر المصادر أنّ المعزّ كان يباهي به علماء المشرق. وقد حقّق النّامي رسالته الّتي جاءت

وقد سطع نجم أبي خزر يغلا بن زلتاف (ت 991/380) وأبي نوح سعيد بن زنغيل (ق 4/ 10)[3] المتبحّرين في علم الكلام، وقد اصطحب المعزّ لدين الله الفاطمي (319- 365/ 931- 975) أوّلهما إلى مصر خشية منه، واحتفاء بعلمه.

ولا تذكر المصادر أيّة صلة بين المغرب وعمان في هذه الفترة، ذلك أنّ الأمر كان مضطربا أيضا أشدّ الاضطراب هناك، باستثناء إمامة سعيد بن عبد الله بن محمّد بن محبوب

بعنوان: " في الرّد على جميع المخالفين" وما تزال مرقونة. ر. البعد 113. الجّعبيري: ن. م: ص 171 تعليق 39.

[3] **أبو نوح سعيد بن زنغيل** (ق10/4): أصله من بلاد الجريد. وقد أخذ العلم عن شيوخ الإباضيّة في القرن الرّابع وخاصّة في علم الكلام. قام مع أبي خزر في ثورته على أبى تميم الفاطمي فاختفى زمانا في وارجلان عند انهزام الثّورة، فأكرمه أهلها حيث ترك أثرا علميا واضحا. ثمّ وقع التّصالح بينه وبين أبى تميم كما أمّن صديقه أبا خزر عن طريقه. لكن تمارض عند رحيل المعزّ إلى مصر وبقي في المحيط الإباضي. كانت له براعة في علم الكلام وهو يقول عن نفسه "ناظرت عن هذه النّحلة بين يدي أبي تميم الشّيعى وأبي منصور الصّنهاجي، وأبي الخطّاب (عامل زويلة) سائر الفرق، ولم يبق مذهب إلاّ غلبته ". ر. البعد 112.

(320- 328/ 932- 939)[4] حيث استبدّ الجبابرة مرّة أخرى بالحكم في عمان.

---

[4] **الإمام سعيد بن عبد الله بن محمّد بن محبوب:** وهو سعيد بن عبد الله ابن محمّد بن محبوب الرّحيلي المخزومي القرشي، وكان يكنى بأبي القاسم، وكانت أسرته بيت علم وفضل، فوالده عبد الله كان من العلماء المرموقين في عصره، وكذلك كان عمّه بشير، وكان جدّه محمّد بن محبوب عمدة المذهب الإباضيّ ومرجع الفتوى في عصره بلا منازع، وكان جدّه الثّاني محبوب بن الرّحيل عالما جليل القدر وتلميذا للإمام الرّبيع بن حبيب.

وكان موطن آبائه بمكّة المكرّمة، ثمّ انتقلت أسرته إلى عمان، واستوطنت مدينة صحار من بلاد عمان، وذريتهم إلى الآن قائمة بعمان خاصّة في هذه المدينة.

وقد أخذ الإمام سعيد بن عبد الله العلم- كصاحبه أبي مالك- عن والده عبد الله وعمّه بشير ابني محمّد بن محبوب.

وقد بويع الإمام سعيد بن عبد الله بالإمامة عام عشرين وثلاثمائة للهجرة، وكان إماما عادلا عالما أثنى عليه علماء عصره بما لا مزيد عليه، حتّى قال فيه أبو محمّد عبد الله بن أبي المؤثر: " لا نعلم في أئمّة المسلمين كلّهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله، لأنّه كان إمام عدل وعالما وقد قتل شهيدا إلاّ أن يكون الجلندى بن مسعود... ".

وقد مات الإمام سعيد بن عبد الله شهيدا عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة للهجرة، في وقعة بقرية تدعى " مناقي " من أعمال مدينة الرّستاق بعمان، وقبره هنالك، وبهذا تكون مدّة إمامته ثماني سنوات.

2- وفود ابن الجمع من المشرق

ولا شكّ أنّ الصّلات قليلة، وكان يغلب عليها الكتمان، ولم يرد إلاّ خبر واحد، فيما وصلت إليه مطالعاتنا، يذكر أنّ ابن الجمع[5] الّذي كان من مشايخ المسلمين أقبل من الشّرق تاجرا

وللإمام سعيد بن عبد الله من المؤلّفات كتاب يعرف بـ " **كتاب الإمام سعيد بن عبد الله** "، إضافة إلى **رسائل** قصيرة إلى بعض معاصريه، يظهر لهم فيها مذهبه ودعوته، و**مسائل فقهيّة** دوّنها عنه تلميذه ابن بركة.ر. زهران المسعودي: الإمام ابن بركة ص 48- 50.

[5] **ابن الجمع** (ق 4/ 10) كان غزير العلم، تلقّى علمه بالمشرق مسقط رأسه، ثمّ ارتحل إلى مصر، ثمّ سكن توزر، فسجلماسة حيث اشتغل بالتّدريس.

من تلامذته: أبو الرّبيع سليمان بن زرقون النّفوسي، وأبو يزيد مخلّد بن كيداد صاحب الحمار.

عالم نحرير مطلّع على علوم الحيل والنّظر، نسب إليه " ديوان، يقول عنه الدّرجيني: " ولمّا حضرت ابن الجمع الوفاة آثر أبا الرّبيع بديوانه، فأوصى له به. "

أمّا أبو زكريّاء فلا يذكر مصطلح الدّيوان، وإنّما يقول: " ولمّا حضرت الوفاة ابن الجمع أوصى بكتبه لأبي الرّبيع " ممّا يوحي أنّ هذه الكتب من تأليفه. أعلام عدد 243.

غزير العلم فنزل توزر فخدمه أبو الرّبيع سليمان بن زرقون (ق 4/ 10)[6]، ثمّ انتقل إلى سجلماسة فانتقل معه، ومكث معه

---

[6] **سليمان بن زرقون النّفوسي (أبو الرّبيع)** من نفوسة تابديوت (تاديوت) بليبيا، أحد العارفين، والعلماء البارزين، لازم الشّيخ ابن الجمع لمّا جاء من المشرق، واستقرّ في توزر جنوب إفريقيّة بقسطيليّة، ثمّ انتقل معه إلى سجلماسة ليتتلمذ على يديه، وكان معه في هذه الرّحلة صاحب الثّروة الكبرى ببلاد المغرب ضدّ الفاطميّين أبو يزيد مخلّد بن كيداد قبل أن يكون نُكّاريًا.

مكث سليمان بن زرقون في سجلماسة حتّى وفاة شيخه ابن الجمع فعاد إلى قصطاليا بتوزر، فعيّن بها مفتيا.

كان أبو الرّبيع قد بلغ من العلم ما لم يبلغه كثير ممّن في عصره، ونال إعجاب شيخه، فأوصى له بجميع كتبه، واستمرّت سجلماسة في اتّصال به بعد مغادرته لها يستشيره أهلها ويستفتونه.

عكف في مزاتة بإفريقيّة يدعوها إلى مذهب الإباضيّة بعد أن اعتنقت مذهب النّكار، فردّها إلى الوهبيّة.

وعلى يديه تعلّم أبو القاسم يزيد بن مخلّد، وأبو خزر يغلا بن زلتاف، الفقه والإعراب واللّغة، وفنون العلم.

وقد التقاه في مجالس العلم كلّ من: لوّاب بن سلاّم بن عمرو، وأبو الخطّاب وسيل بن سنتين، وأبو أيّوب بن كلابة.

روى عنه ابن سلاّم في بدء الإسلام، وفي ذلك يقول: " رويت هذا الحديث من ولاية أبي حاتم من أوّله إلى آخره عن سليمان بن زرقون. "

سنين فتعلم عنده العلوم رفقة أبي يزيد مخلّد بن كيداد، وقد توفّي ابن الجمع هنالك.

فمن هو ابن الجمع ؟ ومن أيّ بلاد المشرق هو؟ ذلك ما لم تسعفنا به المصادر، بل لم تسعفنا حتّى باسمه كاملا، وهذه نهاية في التستّر وشدّة الحذر، إذ ظلّ ابن الجمع يتظاهر بالتّجارة رغم غزارة علمه، وما يحمل معه من كتب تذكر النّصوص أنّه أوصى بها لأبي الرّبيع عندما حضرته المنيّة[7].

3- تتلمذ عدد من المغاربة على ابن بركة العماني[8].

يروي الشّيخ النّاصر المرموري[9]، عن الشّيخ أبي إسحاق إبراهيم إطفيّش (1386 / 1966)[10] أنّه تكوّنت بعثة من الطّلبة

كان ذكيّا مجتهدا في فنون العلم، ترك ديوانا يسمّى "**ديوان أبي الرّبيع** "، ولا يعرف أهوباق كلّه أوشيء منه، أم عبثت به أيدي البلى والفناء. أعلام عدد 447. وقد سبق التعريف بأبي يزيد وأبي خزر ص 161 و 162.

[7] الشمّاخي: السّير، 229- 230.

[8] روينا هذا الخبر لأنّه متواتر في بلاد المغرب وفي عمان، لكن لم نجد من النّصوص والوثائق ما يبرهن عليه عسى أن تتوفّر في يوم من الأيّام لتقرّه أو تنفيه.

المغاربة من سبعين طالبا كانوا يدرسون على الشّيخ عبد الله بن محمّد بن بركة (ق 3 / 9)[11] ، صاحب كتاب الجامع في

---

[9] **النّاصر المرموري** (معاصر): ولد في مدينة القرارة بوادي ميزاب وبها تتلمذ على الشّيخ بيّوض إبراهيم (1401/ 1981)، ثمّ تصدّر للتّدريس وقد عايش العمانيّين في القاهرة حيث كلّف بالإشراف على بعثة علميّة هناك، ثمّ في القرارة حيث أرسل العمانيّون ثلّة من أولادهم للتعلّم بالوادي، عضو في هيئة العزّابة، ملمّ بسير السّلف كثير التّرحال ما يزال على قيد الحياة. انتخب رئيسا لحلقة العزّابة بالقرارة بعد وفاة شيخه شريفي سعيد في رمضان1425/ 2004.

[10] **أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش** (1386/ 1966) نشأ في مدينة يسجن بوادي ميزاب، حيث درس على عمّه قطب الأئمّة (1332/ 1914) نشط زمن الاستعمار الفرنسي فنفي إلى تونس ثمّ إلى القاهرة، وهنالك عمل بقسم المخطوطات بدار الكتب المصريّة وحقّق عديدا من الكتب الإباضيّة وغيرها الجعبيري: البعد الحضاري 84 تعليق 147.

[11] **عبد الله بن محمّد بن بركة السّليمي البهلوي** (362/ 972) نشأ في مدينة بُهلا بعمان، وبها تعلّم على محمّد الشّيخ بن خالد الخروصي (أوائل ق 4/ 10) ثمّ رحل إلى مدينة صحار حيث أخذ عن الشّيخ أبي مالك غسّان بن محمّد بن الخضر الصّلاني الصّحاري (ق 4/ 10) وقد أورد شيئا من آرائه في كتابيه **الجامع والتّعارف**، كما أخذ عن الإمام سعيد بن عبد الله الرّحيلي (328/ 940) وقد دوّن بعض آرائه في كتابه **التّقييد**.

كما أخذ عن غيرهما من أهل زمانه بدليل ما دوّن من آرائهم في مؤلّفاته.

الفقه[12]، ولذلك كانوا يسمونه بشيخ المغاربة، وقد كان هؤلاء الطّلبة من جهات المغرب سوى وادي ميزاب لأنّها لا تزال على منهج الاعتزال آنذاك[13].

أسّس مدرسته ببلدته بهلا كان لها كبير الأثر في الحركة العلميّة في القرن الرّابع/ العاشر، وقد تخرّج منها نفر كثير نذكر منهم أشهرهم وهو الشّيخ أبو الحسن البسيوي (ق 4/ 10). والرّاجح أنّ صدى هذه المدرسة بلغ بلاد المغرب فتوافد عليه الطّلبة من هنالك إلى أن عرف بشيخ المغاربة.

يعدّ ابن بركة عميد المدرسة الرّستاقيّة ضدّ المدرسة النّزوانيّة، كما يعدّ أحد أقطاب المذهب الإباضي وأحد المجدّدين لفقه هذا المذهب.مؤلّفاته: **كتاب الجامع** ط **كتاب التّقييد** خ. **كتاب المبتدأ** خ. **رسالة التّعارف** نشر وزارة التّراث، سلطنة عمان 1984 د ط. **كتاب الموازنة**. ط ضمن مجموعة من علماء عمان، السّير والجوابات تحقيق سيّدة إسماعيل كاشف. وزارة التّراث. سلطنة عمان ط دار إحياء الكتب العربيّة. 2/ 348- 420.

انظر: زهران بن خميس بن محمّد المسعودي: الإمام ابن بركة السّليمي البهلوي (362/ 972) ودوره الفقهي في المدرسة الإباضيّة من خلال كتابه الجامع. دراسة مقارنة. ط 1. 1421/ 2000 ص 39- 63.

[12] كتاب الجامع لابن بركة أخرج نصّه المخطوط الأستاذ عيسى البارون وطبع طبعة أولى بيروت 1971 م وأعادت وزارة التّراث العماني طبعه بدون تاريخ.

[13] نعرف أنّ قرى وادي ميزاب أسّسها أبوعبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي (440 – 1049) في مطلع القرن الخامس. ر . كتابنا : نظام العزّابة .

المبحث الثّاني

العلاقة في القرن الخامس/ الحادي عشر

1- وفرة الكتاب الإباضي المشرقي بالمغرب

ثمّ نعلم من تطوّر الأحداث أنّ الشّيخ فصيل بن أبي مسور (ق 5/ 11)[14]، عندما أيقن من عدم إمكانيّة إحياء إمامة الظّهور

---

[14] **فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليهراسني (أبو زكريّاء)**. من أفذاذ العلماء بجزيرة جربة في تونس. ولد بجبال نفوسة.

تلقّى العلم عن أبيه أبي مسور يسجا بجربة، ثمّ عن الشّيخ أبي خزر يغلا ابن زلتاف بفإريقيّة فصار عالما فقيها.

لمّا قام أبو خزر بثورته ضدّ الشّيعة، عزم أبو زكريّاء على المشاركة فيها، غير أنّ هذه الثّورة قضي عليها قبل أن يتحقّق عزمه.

ثمّ تولّى التّدريس مع أبي محمّد كمّوس، وأبي عمرو النّفيلي، وأبي صالح ابن بكر اليهراسني، في المسجد الكبير لبني يراسن بجربة بعد أن أتمّ إنجاز ما بدأه والده في بنائه.

في القرن الخامس الهجري دعا تلميذه أبا عبد الله بن أبي بكر الفرسطّائي (440/ 1049)[15] إلى تبنّي مبدإ الكتمان وإقامة نظام الحلقة، ذاك النّظام الّذي عرف فيما بعد بنظام العزّابة.

وقد تخرّج على يده تلاميذ نجباء أمثال: أبي الخطّاب عبد السّلام بن وزجون، وأبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي، وأبي محمّد ويسلان ابن أبي صالح اليراسني، والعلاّمة أبي عبد الله محمّد بن بكر.

ولقد فكّر في تأسيس نظام يحفظ أمان الإباضيّة وبقاءهم، فاختار لتجسيد الفكرة تلميذه أبا عبد الله محمّد بن بكر، الّذي قام بتقنين هذا النّظام وتأسيسه، فأطلق عليه تسمية نظام العزّابة، وذلك بمساعدة ولدي فصيل: زكريّاء ويونس، وبذلك يعتبر فصيل صاحب الفكرة الأساسيّة لنشأة نظام العزّابة، ومن ثمّ سمّي النّظام بـ: " السّيرة المسوريّة البكريّة " نسبة إلى فصيل ابن أبي مسور، ومحمّد بن بكر. توفّي رحمه الله بين سنة 420 و440/ 1028- 1048. أعلام عدد 734.

[15] **أبو عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطّائي النّفوسي** (345/ 440- 956/ 1049). ولد بمدينة فرسطّاء بجبل نفوسة وإليها ينسب. بعد أن أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه تتلمذ على أبي زكريّاء فصيل ابن أبي مسور (4/ 10) في جربة، وأخذ علوم العربيّة في القيروان، وعلم الكلام على أبي نوح سعيد بن زنغيل (4/ 10) في الحامّة. ورحل إلى قصطيليّة ليتعلّم الفروع على أبي عمران موسى بن زكريّاء (4/ 10).

وهنالك بقصطيليّة اضطرّه الوفد الّذي أرسله شيخه أبو زكريّاء من جربة ليتحوّل من مرحلة التّعلّم إلى مرحلة التّعليم، وكان طلب شيخه أن يحيي نظام

وقد نشط أبو عبد الله في ذلك، بعد تردّد في بداية الأمر، وأرسى قواعد نظام يسميّه الإباضيّة **الإمامة الصّغرى**، ذاك أنّه ينظّم حياة الإباضيّة تنظيما متكاملا لا ينقصه إلاّ إقامة الحدود، مع التّركيز على إحياء العلوم، وتقوية الرّابطة الإيمانيّة بين أفراد الأمّة[16].

الحلقة إذ تفرض الأحوال التّحوّل من مسلك الظّهور إلى مسلك الكتمان وذلك بعد فشل ثورة أبي خزر الحامّي (380/ 990) ضدّ الفاطميين في محاولة أخيرة لإحياء الإمامة إمامة الظّهور.

وفعلا أرسى أبو عبد الله قواعد هذا النّظام من جديد على ما يتماشى مع أوضاع بلاد المغرب، وبفضل هذا النّظام استطاع الإباضيّة الحفاظ على كيانهم إلى اليوم.

ويتمثّل هذا النّظام في انتخاب هيئة من أهل العلم والعمل حيثما وجد تجمّع إباضيّ تشرف على النّظام الدّاخلي للجماعة دينيّا واجتماعيّا واقتصاديّا وتعليميّا إلخ مع ربط الصّلة بالدّول الحاكمة وبقيّة الإباضيّة في أطراف البلاد.

وقد تخرّج على يديه جيل من العلماء واصل المسيرة وأنتج إنتاجا علميّا غزيرا. (فرحات الجّعبيري. نظام العزّابة عند الإباضيّة بجربة: المطبعة العصريّة نشر معهد الآثار تونس 1975).

Grossman C. Aperçu sur l'histoire religieuse de Mzab en Algérie (la Sirat alhalqa d'Abu'Abd Allah Muhammad ben Bakr al- Nufusi dans la version d'El Barredi) thèse, 3e Cycle Paris, 1976, 81 p. polycopié.

[16] انظر الجعبيري: نظام العزّابة.

و رغم اضطراب الأحوال فقد حافظت المكتبة الإباضيّة على تراثها ، من ذلك ما جاء في الخبر التّالي عن أبي العباس أحمد بن بكر محمد بن بكر الفرسطائي (ت504/ 1111)[17] من

---

[17] **أبو العبّاس أحمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطّائي النّفوسي** نشأ في أحضان أسرة مشتهرة بالعلم والعلماء. من أبرزها أبوه مؤسّس نظام العزّابة. لقد عاش بين 420 و504/ 1030 و1111 عايش قسما من حياة والده المتحرّكة ثمّ نجده في حلقة شيخه أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي 471/ 1079 تلميذ أبيه بتملوست (بين الحامّة ومطماطة بالجنوب التّونسيّ)

وقد وردت عدّة أخبار تثبت شغفه بالمطالعة وحبّه للفروع. ويثبت الدّرجيني بعد قصّة طريفة... " فرجعت إلى تملوست... قال فيبلغ فيها في العلم مبلغا عظيما وصنّف بها عشرين كتابا وكتابين معروضين عليه، وقد عرض جميع ما صنّف غير كتاب في " آجلو" (بليدة عمر حاليّا قرب تقرت بشرقيّ الجزائر جنوب). مبيّضا في الألواح... " طبقات 2/ 444.

كما يقول: " ولمّا دنت وفاته أودع علومه الكتب فصنّف تصنيفات خمسة وعشرين كتابا، وكتابا آخر تركه في الألواح. " طبقات 2/ 443.

توفّي بوادي أريغ في قرية آجلو الغربيّ سنة 504 حيث مات والده وقبراهما متجاوران معروفان إلى الآن هناك.

ر. أبو العبّاس أحمد بن محمّد الفرسطّائي: القسمة وأصول الأراضين كتاب في فقه العمارة الإسلاميّة. تحقيق وتعليق وتقديم د محمّد صالح ناصر والشّيخ بكير بن محمّد الشّيخ بلحاج. مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع. سلطنة عمان ط 1. 1414/ 1992: 23- 33 وهذا ثبت لأسماء ما وصلنا من هذه المؤلّفات:

أنّه قال:" كنت أقرأ على الشّيخ سعدون[18] فجازت مسألة ذبيحة الأقلف، قال في أكلها قولان فلم ينسبها، فدخلت إلى الدّيوان، وكان بجبل نفوسة ديوان اشتمل على تآليف كثيرة، فلازمت

---

1) **كتاب في مسائل التّوحيد** ممّا لا يسع الإنسان جهله وغير ذلك من مسائل الكلام. مرقون . ر: الجّعبيري. بعد: 115 تعليق 70.

2) **كتاب سيرة الدّماء أوالسّيرة في الدّماء** خ. توجد نسخة منه في مكتبة الشّيخ بابانوبني يسجن وبمكتبة دار ايروان بمدينة العطف وادي مزاب.

3) **كتاب تبيين أفعال العباد:** خ يبحث في الأخلاق والسّلوك الإسلامي إلى الآخرة. 3 أجزاء. مقاس 24،5 × 17. ج 1: 51 صفحة. ج 2: 48 صفحة. ج 3: 58 صفحة بكلّ صفحة 21 سطرا.

4) **كتاب الجامع،** أو الجامع في الفروع. جزآن. فقه العبادات طبع بعنوان كتاب أبي مسألة 1984 بدون أيّ تحقيق.

5) **كتاب الألواح:** آخر ما ألّف أبو العبّاس. خ. البارونيّة جربة نسختان 1: نسخت 1079/ 1691 و2 نسخت 1161/ 1748 في حدود 125 صفحة.

6) **كتاب تلخيص القسمة:** خ: في المعاملات التّجاريّة بين الشّركاء وكيفيّة القسمة بينهم. توجد منه عدّة نسخ. عدد صفحاته 357. 23 سطرا مقاس 24 × 17.

ـ **كتاب الجنائز:** مفقود.

ـ **مسائل الأموات:** نسخة في حدود 100 ورقة مقاس 16 × 24.

ـ **سير مشائخ الإباضيّة:** يذكر ماسكري أنّه يملك نسخة من هذا المخطوط. أعلام عدد 89.

[18] لم نتمكّن من التّرجمة للشّيخ سعدون .

الدّرس أربعة أشهر لا أنام إلاّ في ما بين أذان الصّبح إلى صلاة الفجر، فتأمّلت ما فيه من **تآليف أهل المشرق** فإذا هي تقرب من **ثلاثة وثلاثين ألف جزء** كلّها لأهل المذهب، فتخيّرت أكثرها فائدة فقرأتها "[19].

واضح من هذا الخبر أنّه، وإن قلّت الزّيارات، فقد بقيت التّآليف أحسن رباط بين أهل المشرق وأهل المغرب، إذ ظلّ أبو العبّاس يبحث عن ضالّته في التّراث الإباضي المشرقي والمغربي، ولعلّه كان أكثر استئناسا بتآليف المشارقة لأنّها في الأغلب على شكل جوامع لا تتوانى في إيراد مختلف الآراء، وإن تناقضت، حول القضيّة الواحدة، بينما يجنح أهل المغرب إلى التّرتيب والاختيار والاختصار.

---

[19] الشمّاخي: السّير: 424.

2- لقاء نصر بن سجميمان بأئمّة عمان في الحجّ

ورغم اضطراب الأحوال أيضا بعُمان باستثناء إمامة الخليل بن شاذان (407- 425/1017- 1034)[20]، وإمامة راشد بن سعيد اليحمدي (425- 445/1034- 1054)[21]، وهي إمامة شراء

---

[20] **الإمام الخليل بن شاذان بن الصّلت بن مالك الخروصي** (407- 725/ 1017- 1034) جاء في التّحفة: " بويع له بالإمامة بعد راشد ابن الوليد بزمان طويل، تجبّر فيه السّلطان على أهل عمان لخذلانهم الإمام راشد... فسار بهم سيرة جميلة، ودفع عنهم الجبابرة، وأمنت بعدله البلاد، واستراحت في ظلّه العباد، ودانت له الممالك، ووفدت إليه الوفود لظهور العدل، وانتشار الفضل. (1/ 294).

" ثمّ توفّي الإمام الخليلي رضي الله عنه، وكان في إمامته مشكورا، وصار سجلّ الثّناء من بعد منشورا... وهذا في أوّل سنة خمس وعشرين وأربعمائة (425) فتكون مدّة إمامته سبع عشرة سنة و بعض سنة تقريبا. (1/ 303).

[21] **الإمام راشد بن سعيد اليحمدي** (425- 445/ 1034- 1054) جاء في التّحفة: " تكون بيعته في أوّل سنة خمس وعشرين وأربعمائة (425)، وكان إماما شاريا، وكان لفظ الشّرى الّذي يشارى إليه هذا الإمام: أنت قد شاريت الإمام راشد بن سعيد على طاعة الله وطاعة رسوله وعلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وعلى الجهاد في سبيل الله، وعلى أنّ عليك ما على الشّراة الصّادقين. " (1/ 304)

فإنّ اللّقاء بين المغاربة والمشارقة كان يتمّ كما هو مألوف في الحرمين الشّريفين، ومن ذلك ما ورد عن نصر بن سجميمان النّفوسي[22] من " أنّه التقى بأئمّة عمان بمكّة فسألهم عن السّخط

استطاع أن يخمد ثورة نهد وعقيل اللّذين خالفا عليه وقد أورد السّالمي ما جاء في شأن هذه المعركة من أشعار للإمام نفسه ولأبي إسحاق الحضرمي (بعد 475/ 1083).

وله **سيرة** إلى أبي العبّاس بن مريح ومن معه من أهل منصورة من أرض السّند بيّن فيها معالم الإسلام وأظهر فيها دعوة المسلمين ونقض فيها اعتقاد المخالفين.

وله **رسائل** في ردع الّذين يسطون على أموال النّاس بالباطل. وكان شديدا في الاحتساب على الولاة ليتمسّكوا بالحقّ ويستعينوا بالقضاة لما ينبغي أن يفصل من النّوازل. كما له **كتاب** وضّح فيه قضيّة الخلاف في شأن الولاية والبراءة من الإمام الصّلت وموسى بن موسى وراشد بن النّظر.

وتوفّي سنة خمس وأربعين وأربعمائة (445) وقبره بنزوى. التّحفة 1/ 304- 314.

[22] **نصر بن سجميمان النّفوسي**: لم نتمكّن من التّرجمة له، لكن يبدو من خلال سؤاله المطروح على أهل عمان أنّه له نصيب من العلم، وإن كانت مثل هذه القضايا كثيرا ما تطرح في الحلقات العلميّة لأنّها من المسائل العقديّة الخلافيّة حتّى داخل المذهب بين المشارقة والمغاربة.

والرّجل نفوسيّ من جبل نفوسة عاش كما يثبت الخبر الوارد في شأنه في القرن الخامس/ 11 للهجرة.

والرّضا، هو وصاحب له نفوسي، فقالوا: فعلان. فسألهم عن القرآن: فقالوا غير مخلوق ".

ويعلّق الشمّاخي على الخبر فيقول إنّ:" هذا يدلّ على أنّ الوهبيّة مغربا ومشرقا مجمعون على أنّ السّخط والرّضا فعلان، إلاّ من خالف إجماعهم. كما أجمعوا على خلق القرآن إلاّ من خالف إجماعهم- فبعض أهل عمان خالف في خلق القرآن، دون أهل العراق ومصر، ودون أهل مكّة والمغرب، وسائر الإباضيّة وبعض أهل المغرب خالف في السّخط والرّضا "[23].

ويتّضح من هذا الخبر أنّ أهل المشرق يمكن أن يختلفوا مع أهل المغرب إلاّ أنّهم يعذر بعضهم بعضا، لكن يبقى في الخبر غموض بالنّسبة إلى موضوعنا إذ من هم أئمّة عمان هؤلاء ؟ وفي أيّ تاريخ بالضّبط تمّ هذا اللّقاء ؟

---

[23] محمد حسن: تحقيق سير الشمّاخي 378. انظر فرحات الجعبيري: البعد الحضاري 240 و344- 396.

Cuperly : Profession de foi ibadites : contribution à l'étude de l'ibadisme et de sa théologie . p 250 .

ويصعب أن نفترض أيّ افتراض بله أن نصل إلى اليقين، لكن المهمّ في توفّر اللّقاء ومستوى الحوار بين الطّرفين، إذ عولجت قضايا كلاميّة دقيقة تتعلّق باعتبار السّخط والرّضا من صفات الذّات أومن صفات الفعل وهي قضيّة حيّرت علماء الكلام، أمّا قضيّة خلق القرآن وقدمه فقد أثارت محنا في البيئة الإسلاميّة وامتحن فيها من امتحن بالنّسبة إلى الطّرفين. ومع وجود الموقفين بالنّسبة إلى القضيّتين المذكورتين في إطار المدرسة الإباضيّة فإنّ ذلك لم يثر أيّ تشنّج بين أهل المغرب وأهل المشرق، وذلك لما لأواصر المحبّة من متانة بينهما.

وفعلا لم ترد في الخبر أيّة إشارة إلى ما ينبغي أن يكون من مُشادّة إذ يقول المغاربة بخلق القرآن بينما يقول العمانيّون الأُول بالقدم ثمّ تحوّلوا إلى القول بخلق القرآن.

المبحث الثّـــالث

العلاقة في القرن السّادس الهجري/ 12م

1- قلّة الأخبار رغم ازدهار وارجلان

ثمّ تزدهر وارجلان في القرن السّادس للهجرة وتحفل بعدد وافر من العلماء أبرزهم أبو عمّار عبد الكافي (قبل 570 / 1174)[24] ، و أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم

---

[24] **أبو عمّار عبد الكافي ابن أبي يعقوب التّنَاوتي** (قبل 570/ 1174) ولد بتناوت إحدى قرى وارجلان وبها نشأ نشأته الأولى، ثمّ ارتحل إلى تونس في عهد الموحّدين فجدّ في طلب العلم، واستقرّ بعد ذلك في وارجلان وتفرّغ للتّأليف والتّدريس والفتوى.

الوارجلاني(ت 570/ 1174)[25]، وأبو يعقوب يوسف بن خلفون[26]، وغيرهم كثير[27].

والقرن السّادس/ الثّاني عشر. يعتبر من أزهى عصور الإباضيّة من حيث الإنتاج الفكري.

وبها توفّي قبل أبي يعقوب الوارجلاني إذ تولّى هذا الأخير الإجابة عن رسائل وردت على أبي عمّار.

أبرز مؤلّفاته: **الموجز في علم الكلام**. حقّقه عمّار الطّالبي وط بالجزائر 1398/ 1978، **شرح كتاب الجهالات** المنسوب إلى تبغورين بن عيسى الملشوطي خ بالبارونيّة. حققّه عامر ونيس مرقون بمكتبة الجامعة الزّيتونيّة. البعد. ص 119 82. أعلام عدد 562

[25] **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني** المتوفّى (571/ 1174) ولد بمدينة وارجلان جنوب شرقيّ الجزائر وإليها ينسب. تفقّه بها على منهج الإباضيّة. ثمّ ارتحل إلى الأندلس فأقام في قرطبة زمن الموحّدين. كما ارتحل إلى عواصم بلاد المشرق وأدّى فريضة الحجّ. ثمّ توغّل في أواسط إفريقيا حيث اكتشف تساوي اللّيل بالنّهار. له عدّة مؤلّفات نكتفي بذكر اثنين منها: " **الدّليل والبرهان** " في ثلاثة أجزاء ط حجريّة في مجلّد واحد البارونيّة مصر 1306/ 1888 في أصول الدّين، طبع في عمان في جزأين. **العدل والإنصاف** خ. في ثلاثة أجزاء- أصول الفقه حقّقه عمرو خليفة النّامي مرقون بمكتبتي وط بعمان 1984 بدون تحقيق. ر. الدّرجيني الطّبقات: 2/ 491، الشّماخي: السّير 443، علي يحيى معمّر: الإباضيّة في الجزائر مكتبة وهبة القاهرة 1399- 1979. عمّار الطّالبي أراء الخوارج الكلاميّة 1/ 216. البعد 119 تعليق 83. أعلام عدد 1049.

[26] **يوسف بن خلفون الوارجلاني (أبو يعقوب):** أحد أئمّة القرن السّادس ببلاد المغرب، نشأ بقرية " تين باماطوس " من قرى وارجلان.

أخذ العلم عن الشّيخ عبد الله النّفوسي، والشّيخ أبي عمران موسى النّفوسي بطرابلس.

برع في الفقه والأصول، وقد عرض ما أخذه من العلم على الشّيخ أبي رحمة اليكشني بإفران، من قرى وارجلان.

عاصر أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وأبا عمّارعبد الكافي، وأبا عمرو عثمان بن خليفة السّوفي، وهم مضرب المثل في سعة العلم وجودة التّأليف، فنشأ مثلهم واسع الأفق، مولعا بالدّراسات المقارنة.

وجرّ عليه هذا الأسلوب متاعب، إذ وضعه بعض الفقهاء في الخطّة والهجران وقتا غير قصير، لكثرة مطالعته كتب أهل الخلاف، والاستهانة بكتب المذهب والتّهاون في التّمسك بها في نظرهم، ولكنّه بيّن لهم مستنده وهدفه، فغيّروا موقفهم منه آخر الأمر، واعترفوا بفضله.

له تآليف تشهد على غزارة علمه، منها: 1- أجوبته الفقهيّة، وقد حقّقها ونشرها الدّكتور عمرو خليفة النّامي، تحت عنوان: " **أجوبة ابن خلفون** ". 2- وله " **رسالة إلى أهل جبل نفوسة** "، (مخ).

[27] **عمرو خليفة النامي:** ملامح عن الحركة العلميّة في وارجلان، محاضرة شارك بها في الملتقى الفكري الإسلامي بوارجلان، مجلة الأصالة الجزائريّة. فيفري- مارس: 1977 عدد 42/ 43.

ولم يرد في سير هؤلاء ذكر اتّصالات بأهل عمان، ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ عمان كانت خاضعة لجور النّباهنة[28] في فترة حكمهم الأولى.

[28] **النّبهانة. أو بنو نبهان:** 549- 1034/ 1154- 1624

أجمع المؤرّخون العمانيّون على أنّ حكم بني نبهان استمرّ خمسة قرون، وكان على فترتين، **الأولى** عرفت بفترة النّبهانة الأوائل واستمرّت أربعمائة عام، وبدأت بوفاة الإمام أبي جابر موسى بن أبي المعالي موسى بن نجاد عام (549/ 1154)، وانتهت بالقضاء على حكم سليمان بن مظفر النّبهاني الملك الشّاعر المشهور، ومبايعة محمّد بن إسماعيل إماما لعمان سنة (906/ 1500) وقد تخلّلت هذه الفترة غزوات وحروب واجهت بني نبهان من الدّاخل والخارج، بالإضافة إلى تنصيب الأئمّة بين فترة وأخرى.

أمّا **الفترة الثّانية** والّتي عرفت بفترة النّبهانة المتأخّرين فاستمرّت من عام (906- 1034/ 1500- 1624) وقد تخلّلتها أحداث مختلفة منها تنصيب الأئمّة ، و الصّراع على السّلطة بين بني نبهان أنفسهم من جهة ، و بينهم و بين بعض القبائل العمانيّة الطّموحة في الوصول إلى الحكم من جهة ثانية. على أنّ أهمّ أحداث تلك الفترة، احتلال البرتغاليّين للمنطقة السّاحليّة من عمان.

يمكن القول بأنّ نفوذ النّبهانة قد اقتصر على المناطق الدّاخليّة في بعض الفترات إلاّ أنّه امتدّ إلى السّاحل في مراحل أخرى كثيرة وفي أحيان أخرى تمكّنت بعض القبائل المتمرّدة على حكم النّبهانة من الانفراد بالسّاحل بعيدا عن سلطة الدّولة.

وكم وددنا لو حدّثنا أبو يعقوب الوارجلاني في حجازيّته الّتي بلغ عدد أبياتها خمسة عشر ومائتي بيت عن لقائه في موسم الحجّ ببعض أهل عمان، لكنّه لم يعرّج على ذلك لا من قريب ولا من بعيد[29]. ورغم كثرة ترحاله لم نعلم أنّه زار بلاد عمان، وكذلك شيخه أبو عمّار، فإنّه اكتفى بالحياة في تونس مدّة طلبه للعلم، ولم نعلم أنّه زار عمان، أو زارهم أحد العمانيّين.

2- أبو يعقوب الوارجلاني يرتّب مسند الرّبيع بن حبيب

وإن لم يتّصل أبو يعقوب الوارجلاني بعمان – على ما نعلم – فإنّه شارك مشاركة فعّالة في ترتيب أثر مشرقي له قيمة

ونظرا لامتداد حكم النّبهانة لأكثر من خمسة قرون لذا فقد أطلق على عصرهم عصر النّبهانة، وعلى الرّغم من أنّ معظم المؤرّخين قد اعتبروا عصرهم عصر جور وظلم لتجاوزهم على حقوق الرّعيّة إلاّ أنّ النّظرة العلميّة المحايدة لا تأخذ بكثير من المسلّمات الّتي افتقدت في مجملها إلى التّحقيق العلمي الجاد.– ندوة عمان في التّاريخ: عمان في التّاريخ: دار أميل للنّشر. لندن. نشر وزارة الإعلام بسلطنة عمان 1995 (ص 165).

[29] وللشّيخ سالم بن يعقوب نسخة بخطّه من هذه الحجازيّة، ويبدو ممّا فيها من هوامش أنّه اعتمد لإثباتها على عدّة نسخ. مكتبته الخاصّة غيزن جربة.

عظيمة في الفكر الإباضي بل هو عمدة الإباضيّة في الحديث، إذ يعتبرونه أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى، وهذا الأثر هو مسند الرّبيع بن حبيب الفراهيدي العماني[30]، وقد كانت الأحاديث فيه غير مبوّبة، فعمل أبو يعقوب على ترتيبها حسب أبواب الفقه وبذلك تحوّل المسند إلى جامع صحيح، ومثل هذا العمل يدلّ دلالة واضحة على التّكامل بين جناحي المدرسة الإباضيّة.

2- 1- محتوى مسند الرّبيع بن حبيب كما رتّبه الوارجلاني

" يضمّ كتاب الجامع الصّحيح مسند أبي عمرو الرّبيع بن حبيب الأزدي البصري بين دفّتيه خمسة أحاديث وألف حديث (1005). ونسخة هذا الكتاب المتداولة حاليّا ليست هي النّسخة الأصليّة، فأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد الوارجلاني (570/ 1174) هو الّذي أعاد ترتيبها وعنونها بترتيب المسند، وجعلها في أربعة أجزاء:

---

[30] سبق التّعريف به ص 77.

الجزءان الأوّل والثّاني- وهما أصل الكتاب- في الشّريعة من أوّلها إلى آخرها بالسّند العالي وما جاء فيهما

1- عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: ثمانية , حديثا (68).

2- عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه : خمسون حديث (150).

3- أنس بن مالك رضي الله عنه : أربعون حديثا (0

4- أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : ستّون حديثا

5- أبي هريرة رضي الله عنه: اثنان وسبعون حديثا

6- جابر بن زيد الأزدي: ثمانون ومائة حديث (180

7- أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة: ثمانية وثمانون (88).

8- أبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه وعبا الصّامت وابن مسعود الأنصاري وغيرهم: اثنان و حديثا (92).

فيكون بذلك ما جاء في المسند الأصلي (الجزآن والثّاني) خمسون وسبعمائة حديث (750).

أمّا الجزءان الثّالث والرّابع فقد ضمّهما إلى المسند الأصلي المرتّب الوارجلاني:

فما جاء في الجزء الثّالث: آثار احتجّ بها الرّبيع على مخالفيه في مسائل مختلفة من الاعتقاد وغيرها. قال السّالمي: " وهي أحاديث صحاح يعترف الخصم بصحّتها لأنّ الرّبيع رضي الله عنه ساقها مساق الاحتجاج على الخصم، والاحتجاج به عليهم دليل على تسليمهم له، إذ لا يحتجّ على أحد بما لا يسلّمه، فالاحتجاج بالحديث من العالم المتقن عند أهل الدّرجة الأولى أقوى من ذكر سنده. "

وعدد هذه الآثار أربعون ومائة حديث (140).

وأمّا ما جاء في الجزء الرّابع: فروايات محبوب بن الرّحيل بن يوسف بن هبيرة القرشي عن الرّبيع بن حبيب (883- 901)، وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان الرّستميّ عن أبي غانم بشر بن غانم الخراساني (902- 923) ومراسيل جابر (924- 1005).

وعدد هذه الآثار في هذا الجزء ثلاثة وعشرون ومائة حديث (123) "[31].

3- رحلة ابن خلفون إلى الحجّ واللّقاء بناجية بن ناجية العماني

أمّا ابن خلفون فإننا نعلم أنّه كانت هناك جفوة بينه وبين فقهاء عصره لأنه متّهم بكثرة ميله إلى مطالعة كتب المخالفين، وتذكر المصادر أنّه عبّر عن توبته في لقاء له في طريق الحج بالشيخ يخلف التميجاري جدّ الدّرجيني[32] صاحب الطبقات " فكلّما عدّ عليه شيئا تاب واعتذر ".

---

[31] أبو القاسم عمرو مسعود: الرّبيع بن حبيب محدّثا. دار الجويني للنّشر. تونس 1994. ص: 257 – 258.

[32] **يخلف بن يخلف النّفوسي التّمجاري العزّابي** (طبقة 12: 550- 600/ 115- 1203) فقيه، قاض، نسّابة. أصله من جبل نفوسة بليبيا. وهو جدّ الشّيخ أبي العبّاس أحمد بن سعيد الدّرجيني، صاحب الطّبقات.

تعلّم على يد مشائخ أريغ ووارجلان، كأبي سليمان أيوّب بن إسماعيل بوارجلان.

يقول عنه حفيده أبو العبّاس: " أمّا الشّيخ فعلاّمة نسّابة، ذو خشوع وإنابة، وأجوبة في فنونه معلنات بالإصابة ". ويدلّ على ذلك كثرة ما روى عنه الدّرجيني في كتابه.

كان فقيها بارعا، وقاضيا نبيها، والنّاس يأتونه من مختلف الأماكن والقبائل والمذاهب يقصدونه " فيجتمعون عنده أفواجا يقضي بينهم في الجراحات وغيرها، كلّهم راضون بحكمه، لا يرغب عنها أحد لمخالفة مذهبه، ولا يردّ عليه قوله، وأمّا سكّان الحاضرة فكانوا مفتقرين إلى علمه."

رويت عنه ألفاظ " من منثور الحكم هو منشئها، لوقيّدت صارت دواوين، كلّها نافعة للدّنيا والدّين. " أعلام عدد 1020.

Lewiski T. Les historiens, biographes et traditionnistes Ibadites Wahbites de l'Afrique du Nord du 8 au 16s. Extrait des folio orientalia, Vol. 3, 1961, Karkow, 1962, p100 .

انظر النّسخة المعرّبة. دار الغرب الإسلامي 2000 .

أحمد بن سعيد بن سليمان بن عليّ بن يخلف الدّرجيني

(ت 670/ 1271) أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، كلّهم علماء نحارير.

تلقّى تعلّمه الأوّل بدرجين، ثمّ رحل إلى وارجلان سنة 616/ 1219، وأخذ العلم عن الشّيخ أبي سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان لأعوام، ثمّ عاد إلى موطنه درجين.

فقيه ومؤرّخ وشاعر، وكان إماما قدوة.

له **قصائد** كثيرة وشعر فائق، وله أجوبة بالشّعر، وألغاز في الفرائض. وقد ذكر في بعض قصائده أنّه أنشدها قبل البلوغ، وجمع بعض قصائده أبو طاهر إسماعيل بن موسى في كتاب الفرائض والحساب. اشتهر بكتابه **طبقات مشائخ المغرب** ط الجزائر تحقيق إبراهيم طلاّي. د ت.

وهو من وراء كتابه هذا يهدف إلى تبيين أنّ هذا الدّين ورد إلينا بالتّواتر، جيلا عن جيل، وطبقة عن طبقة.

والأساس في بقيّة الرّحلة كما يوردها الشمّاخي بسنده، ما يلي:" فسرنا معا إلى بيت الله الحرام، وأدركنا هناك إخواننا أهل عمان، ومعهم فقيههم الذي حج بهم ناجية بن ناجية[33]. فحججنا حجة لم يحجها أحد قبلنا ولا بعدنا من أهل المغرب. فكلّما نزلت به مسألة في مسكنه أو غيره يجد واحدا من الفقهاء الثلاثة فيسأله فيجد عنده الشفاء. ورجعنا وأبو يعقوب راض مرضي عنه "[34].

وإن كنا لا نعرف، عن الفقيه ناجية بن ناجية شيئا، ولا عما كان بين الوفدين من المحاورات ومع ذلك فإنّنا على يقين من أنّه تم بينهما خير كثير، أهمّه تبادل كثير من الكتب والتعرّف على كثير من الأخبار، وهذا شأن جميع اللقاءات في موسم الحج وفي غيره من المناسبات والأماكن.

والحقيقة أنّ طبقات الدّرجيني مجموعة من السّير والتّاريخ والفقه، وهو مفيد في تاريخ الإباضيّة بالمغرب، فيه معلومات قيّمة عن واحات وارجلان وأريغ بتقرّت، ووادي سوف، وجربة، وجبل نفوسة... وغيرها. أعلام عدد 81.

[33] **ناجية بن ناجية:** لم نتمكّن من التّرجمة له.

[34] الدرجيني: الطبقات 2/ 498، الشماخي: السير: 446.

المبحث الرّابـــع

العلاقة في القرن السّابع الهجري/ 13 م

ـــ قصّة تأليف كتاب طبقات الدّرجيني:

وتستمرّ الأحوال على ما هي عليه هنا وهناك في القرن السّابع الهجري، وتتدحرج وارجلان نحو الأفول[35]، ولا نعلم في هذا القرن عن العلاقة بين الطّرفين سوى خبر واحد كان له بعيد الأثر في تدوين سير الإباضيّة بالمغرب وربطها بأصالتها المشرقيّة في نشأتها الأولى[36]، والخبر يتمثّل في سبب تأليف

---

[35] النّامي : ملامح عن الحركة العلميّة في وارجلان و ضواحيها منذ انتهاء الدّولة الرّستميّة حتّى أواخر القرن 6 /12 .

[36] ر.أعزّام إبراهيم بن صالح (ت 1965) : غصن البان في تاريخ وارجلان، 198 صفحة ، 23 سطرا نسخة مصوّرة بمكتبة الحاج سعيد محمّد غرداية. ص 180.

كتاب طبقات الدّرجيني، إذ لم يكن في نيّة الرّجل أن يكتب كتابا في السّير، لولا ما منّ الله به عليه من توفّر المصادر وترشيح أهل جربة له نزولا عند رغبة إخوانهم من أهل عمان، وقد جاءت قصّة الكتاب، عند البرّادي حيث قال في جواهره[37]:

"ذكر لي بعض العزّابة أنّ سبب تأليف أبي العبّاس هذا الكتاب، لمّا وصل الحاج عيسى بن زكريّاء من بلاد عمان بما معه من الكتب كحلّ ابن وصاف، وجامع الشّيخ أبي الحسن، وجامع ابن جعفر[38]. وغيره، فكان مما رغب إليه فيه إخوانه أن قالوا له:

---

[37] **أبو الفضل أبوالقاسم بن إبراهيم البرّادي الدّمري** (حي في 810/ 1407) ولد بجبل دمّر في الجنوب التّونسيّ، المعروف حاليّا بجبل الحوايا.

درس في مسقط رأسه، ثمّ انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقّى العلم عن شيوخها أمثال: " يعيش بن موسى الزّواغي الجَربي، بمدرسة وادي الزّيب بحومة جعبيرة، وانتقل بعد ذلك إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشّيخ أبي ساكن عامر بن عليّ الشمّاخي (ت: 792/ 1390). فأصبح شيخا وعالما وفقيها.

ثمّ رجع إلى دمّر، ومنها إلى جربة حيث بدأ في نشر العلم، فتولّى التّدريس بالمدرسة الّتي تعلّم بها، كما تولّى رئاسة حلقة العزّابة.

وقد ترك البرّادي مؤلّفات عدّة، منها:

1 " **البحث الصّادق والاستكشاف عن حقائق أسرار معاني كتاب العلم والإنصاف** "، لأبي يعقوب الوارجلاني، (مخ) في أصول الفقه. البارونيّة.

2 " **جواب لبعض أهل الخلاف** " (مخ).

3 " **رسالة الحقائق** "، في العقيدة (مخ)، منه نسخة بمكتبة إيرولن، وطبع طبعة حجريّة. حقّقه سالم العدّالي. مرقون مكتبة جامعة الزّيتونة.

4 " **فصل في ذكر تآليف أهل المشرق وأهل المغرب** "، (مط) ضمن الجواهر.

---

5 " **رسالة في تقييد كتب أصحابنا** "، (مط) ملحقا بموجز أبي عمّار، تحقيق عمّار الطّالبي. وقد ترجمها المستشرق موتيلانسكي.

4 و5 نصّان متكاملان ثانيهما فيه إضافات بالنّسبة إلى الأوّل.

6 " **رسالة في كيفيّة إنفاق أوقاف المساجد** "، (مخ). البارونيّة.

7 " **شرح الطّهارات لكتاب شفاء الحائم على بعض الدّعائم** "، وهي منظومة لأحمد ابن النّضر العماني (مخ). (البارونيّة.

8 " **فتاوى وأجوبة " فقهيّة وعقديّة** " (مخ). البارونيّة

9 " **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات** " (مط)، وهو في سير أعلام الإباضيّة، وذكر الطّبقة الأولى- الّتي أغفلها الدّرجيني في طبقاته- (1- 50 هـ). أعلام عدد 735.

[38] هذه الكتب المذكورة نجد نسخا منها في المكتبة البارونية فإن لم تكن هي بعينها فهي نسخ منسوخة عنها. وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بطبعها جميعها. محمد بن وصاف العماني: (ق13/7): شرح كتاب الدعائم لابن النّضر العماني (ق 6/ 12) تحقيق عبد المنعم عامر. مطبعة عيسى البابي الحلبي 1982 م يقع في جزأين، أبو الحسن البسيوي (ق 5/ 11): جامع أبي الحسن البسيوي، مطابع جريدة عمان 1984 في أربعة أجزاء. محمّد بن جعفر الأزكوي (ق 3/ 9): جامع ابن جعفر: تحقيق عبد

المنعم عامر. ط عيسى البابي الحلبي. القاهرة 1931 ويقع في ثلاثة أجزاء. وكلّ هذه الكتب في الفقه عدا 148 الأولى من شرح ابن وصّاف فهي في العقيدة (شرح الدّعائم).

– **محمّد بن وصّاف النّزواني العماني:** الرّاجح أنّه عاش في القرن السّابع/13في عمان واشتهر خاصّة بشرحه لكتاب الدّعائم لابن النّضر العماني.

والظّاهر أنّه اجتهد في جمع قصائد ابن النّضر من شتاتها قبل شرحها.

وكتاب حلّ بن وصّاف وهو **كتاب الحلّ والإصابة** وهو كتابه شرح **الدّعائم** كما يبدو لي.

وقد قال في مقدّمته: " أمّا بعد فإنّي نظرت فيما ألّفه أهل العلم من الكتب... فوجدت كتاب الدّعائم المضاف إلى أبي بكر بن النّضر العماني من أحسن الكتب نظما وتأليفا، وأدلّها معنى وتوصيفا...

غير أنّي لم أجد لكتابه هذا تفسيرا مع درجته، وسمو مرتبته من العلم ومنزلته...

فلمّا رأيت هذا الكتاب من أجلّ الكتب، وما فيه من فنون العلم والأدب قد يستولي عليه التّبديل والتّصحيف، والتّقليب والتّعريف، شَحَذْت فيه خاطري، مع قلّة علمي وبصري، وفسّرت منه ما خفي على المتعلّمين والنّاشئين والمقلّين من العلم، ولم أجعله لمن علت درجته في العلم، وسبقت منزلته في الأدب والفهم.

وكلّ ما فسّرته فمن بطون الدّفاتر، وسؤال أهل البصائر، واحتججت على ذلك بأشعار العرب، من أهل الجاهليّة والمخضرمين والإسلاميّة (كذا) والمحدَثين. " المقدّمة ص 1– 2.

والنّاظر في الكتاب يلمس أنّ ابن وصّاف التزم بالمنهج الّذي ضبطه عن وعي في هذه المقدّمة.

وجّهوا لنا كتابا يتضمّن سير أوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب، من لدن وقع فيه مذهبنا إلى هلمّ جرّا، فإنّه قد عميت علينا أنباؤهم وغابت عنّا آثارهم من بعد الشّقّة، وعظم المشقّة، فشاور من بجربة يومئذ من العزّابة الفقهاء، ومن يشار بالبنان إليه من الحذّاق والنّبهاء، وقرّر طلبة إخوانهم إليهم، ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم فنظروا... فلم يروا لهذا التّصنيف غير أبي العبّاس " **الدّرجيني**" فعندها طلبه الحاج المذكور وهو السّائل الّذي وجبت طاعته "[39].

وقد جاء الشّرح أوسع ممّا تصوّر دالاّ على سعة ثقافة الرّجل وإلمامه بقضايا اللّغة والعقيدة والفقه.

– **أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ البسيوي:** (ق 4/ 10): من قرية بسيا من أعمال بهلا. من كبار علماء عمان. صفّنه السّيابي في الطّبقة الرّابعة. تتلمذ على الإمام محمّد ابن بركة (362/ 972).

وقد ترك أبو الحسن البسيوي عدّة مؤلّفات هي: **جامع البسيوي في الأديان والأحكام** –وهو الكتاب الّذي وصل إلى جربة– **والمختصر** أي **مختصر الجامع** ط **وسيرة أبي الحسن** ط. **وسبوغ النّعم. وسيرة الحجّة على من أبطل السّؤال عن الحدث الواقع بعمان.**

هذه المعلومات مقتبسة من هذه الكتب ومقدّماتها.

[39] البرّادي: الجواهر: 11.

ويصعب تحديد أسماء مشايخ عمان في هذه الفترة لأنّها غير محدّدة، خاصّة وأنّنا لا نعرف عن الحاج عيسى بن زكريّاء شيئا سوى أنّنا نستنتج من السّياق أنّه من جزيرة جربة، وأنّه ليس من العلماء، وإنّما من المشجّعين على نشر العلم، إذ تحمّل عبء هذه المسؤوليّة كاملا، والرّاجح أنّ الأمر كان زمن الشّيخين اللّذين ملآ القرن السّابع الهجري في جزيرة جربة، و هما صالح بن نجم المغراوي[40] ، و أبو محمد عبد الله الصّدغيّاني[41].

---

[40] **صالح بن نجم المغراوي** (النّصف الأوّل من القرن السّابع/ 13) من علماء جربة في هذه الفقرة. وتروي كتب السّير في شأنه أنّه كان أكبر المدرّسين بمدرسة جامع الجديد بحومة فاتو لمدّة أربعين سنة. ومن أشهر من تتلمذ عليه الشّيخ يعيش بن موسى الزّواغي الّذي كان منطلق الحركة العلميّة بمدرسة جامع ولحي بحومة جعبيرة. تلك الّتي سطع نجمها في القرنين الثّامن والتّاسع/ 14- 15 مع علماء أسرة البرّادي. الجّعبيري: نظام العزّابة ص 204.

[41] فرحات الجّعبيري: نظام: 203 و 295.

أبو محمّد عبد الله بن سعيد الصّدغياني (النّصف الأوّل من القرن السّابع/ 13) من أشهر علماء جزيرة جربة في زمانه يقول عنه الشمّاخي : " كان شيخا فاضلا وهو المقصود في زمانه بجربة وله **رسالة** أرسلها إلى أهل وارجلان فيها الرّد على المخالفين " سير 576 وقد حقّق هذه الرّسالة مبروك

وبعد استشارة هذين الشّيخين ومن معهما من أهل العلم بالجزيرة، وقع الاختيار على أبي العبّاس أحمد الدّرجيني، وهو من الّذين درسوا بالجزيرة، فلم يكن من الحاج عيسى المذكور إلاّ أن أوصل له ما توفّر لديه ممّا جاء به من عمان، وممّا جمع لهذا الغرض من جربة لإنجاز الكتاب.

وفعلا فقد كان وما يزال كتاب طبقات الدّرجيني جامعا لسير مشايخ الإباضيّة، ولا يستطيع أن يستغني عنه باحث في هذا المضمار، وقد جاء الكتاب في لغة أدبيّة راقية خلّصت ما عرفه كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة لأبي زكريّاء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (ق 6/ 12)[42] من رطانة في الأسلوب، وأضاف إليه إضافات حميدة.

المنصوري- باحث تونسيّ معاصر- مرقونة بمكتبته الخاصّة. الجّعبيري: نظام ص 203.

[42] **يحيى بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني (أبو زكريّاء)** (ت: 471 أوبعد 474/ 1078 أوبعد 1081) هو أبو زكريّاء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، ولد في وارجلان بالجزائر. هكذا عرف عند المهتمّين بالتّراث الإباضيّ إلاّ أنّ جمعيّة التّراث، بعد التّحقيق والتّدقيق وجدت الوسياني ينسب أخاه أبا يحيى زكريّاء بن أبي بكر إلى بني يهراسن، ويذكر جدّه بسعيد، فهو إذن: " يحيى بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني. "

وهو صاحب كتاب " **السّيرة وأخبار الأئمّة** "، عليه اعتمد كلّ أصحاب السّير و الطّبقات الإباضيّة، مثل : الوسياني ، و البغطوري ، و الدّرجيني، والشّماخي، و من جاء بعدهم... إلى يومنا هذا، وعن كتابه يقول الوسياني: "له فضل السّبق في هذا، لم يأل خيرا برأفته وهمّته وفراسته. "

تلقّى العلم في وادي أريغ عند الشّيخ أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتي.

روى عنه أبوعمرو عثمان بن خليفة السّوفي، وكانت له حلقة علم، ربّما كانت تعقد في المحضرة القديمة بآجلو بوادي أريغ.

قال عنه الدّرجيني وعن أخيه المذكور: " كانا من الأفاضل، المقتفين آثار الأوائل (...) بأدلّة ذات إقناع، وحجج تملأ القلوب والأسماع، تغني عن المحاضرة ما تغني المشربيّة عند القراع، فكانا مراد الفارّين، على تباعد الدّارين. "

يذكر له المؤرّخون **أجوبة وفتاوى في علم الكلام، ورسائل في الفقه** إلاّ أنّه اشتهر بكتابه: **السّيرة وأخبار الأئمّة** ترجم للفرنسيّة مرّتين أحسنهما ترجمة لترنو.

Le **Tourneau R.** « La chronique d'Abu Zakariyya al Wargalani, Revue Africaine t.C V (1960), 99-176. et 322-386, et t.CVI (1961), 117-176 et 323-374.

وحقّق مرّتين أحسنهما تحقيق عبد الرّحمان أيّوب نشر بدار النّشر بتونس.

وكتابه " السّيرة وأخبار الأئمّة " يهتمّ بسير المشائخ من أهل المغرب بخاصّة، وتاريخ الرّستميّين ومن تولّى مسؤوليّة الإباضيّة بعدهم، وأسلوب الكتاب غير محكم النّسج، ممّا يوحي بأنّه من جمع تلامذته- وهي طريقة في

وهذه صورة أخرى من صور التّعاون الثّقافي بين إباضيّة المغرب والمشرق، رغبة منهم في الحفاظ على سير السّلف لأنّ فيها عبرا لمن يريد أن يعتبر، وبذلك دوّنت أخبار جاءت معبّرة عن مسيرة أمّة.

وما أخال أنّه اللّقاء الوحيد بين الطّرفين طيلة القرن السّابع الهجري، ولكن ذاك ما جادت به النّصوص.

التّأليف شاعت آنذاك ــ، ممّا دفع أبا العبّاس أحمد الدّرجيني بعد ذلك إلى إعادة صياغته، فألّف الجزء الأوّل من كتابه: " طبقات المشائخ بالمغرب. " أعلام عدد 984.

خـــاتـــمـــة:

أربعمائة سنة من الزّمن ثبت خلالها تقلّص نسبة الأخبار عن العلاقة بين المشارقة والمغاربة بصفة جليّة، وذلك لقلّة استتباب الأمن هنا وهناك، وما عرفه المجتمعان من تحوّلات جذريّة، فمن إمامات عادلة إلى ملك جائر في بلاد المشرق ومن إمامة ظهور في المغرب إلى إقرار إمامة الكتمان للمحافظة على الكيان، مع تقلّص شاسع في حيّز المكان، حيث ثبت الإباضيّة في مواضع وانقرضوا من مواضع أخرى لينكمشوا تدريجيّا في وارجلان ووادي مزاب في بلاد المغرب الأوسط، وجزيرة جربة في المغرب الأدنى، ونفوسة وزوارة في البلاد اللّيبيّة، مع شتات متناثر هنا وهناك في أريغ، و سوف، وبعض نواحي قسطيليّة، وبعض نواحي جبال دمّر، يستغيث وما من مغيث ليترك المكان للسّيادة المالكيّة الزّاحفة.

لذلك توقّف الحديث عن العلاقات السّياسيّة والاقتصاديّة، ولم ترد الأخبار إلاّ عن العلاقات الاجتماعيّة وخاصّة منها الفكريّة الدّينيّة فابن الجمع يتسلّل في ثوب تاجر ويستقرّ بعيدا عن المحيط في سجلماسة فيورّث مكتبته الزّاخرة لابن زرقون

الّذي سعى إلى أن يثبت ما جاء فيها من علوم دينيّة ترسّخ أصول العقيدة وأسس الفقه العملي للحفاظ على الذّات، ويغرس في روع أبي يزيد روح الثّورة العارمة الّتي كادت تستأصل الدّولة الشّيعية من جذورها لكنّها تنتهي بالهزيمة النّكراء، وكان لهذه الثّورة صداها في ثورة أي خزر ذاك الّذي حاول أن يثأر لأبي القاسم الحامي الّذي أمر المعزّ لدين الله الفاطمي بقتله ولكن لم تتهيّأ الأسباب لنجاح ثورته.

بعد هذا استقرّ القرار على العلاقة الدّينيّة المذهبيّة حيث تتلمذ عدد من المغاربة على ابن بركة العماني، كما ثبتت وفرة ثلاثة وثلاثين ألف مجلّد من كتب المشارقة في ديوان نفوسة، كما ثبت التّحرّي والتّلاقح في شأن موقف جناحي المدرسة الإباضيّة من صفتي السّخط والرّضا أهما من صفات الذّات أم من صفات الفعل، إلى جانب قضيّة خلق القرآن وقدمه.

ويبلغ العطاء الفكري أوجه في القرن السّادس الهجريّ، الثّاني عشر الميلادي في بلاد المغرب مع عدد من الأعلام، أبرزهم أبو عمّار عبد الكافي وأبو يعقوب الوارجلاني، أمّا أوّلهما فكان له ضلع كبير خاصّة في علم الكلام، وأمّا ثانيهما فقد فسّر كتاب الله العزيز، ورتّب مسند الرّبيع بن حبيب العماني

على أبواب الفقه، وواصل الاضطلاع بأصول الدّين مع تأصيل الفقه في كتابه العدل والإنصاف، وفي كلّ مؤلّفاته تتناغم الآراء المشرقيّة والمغربيّة مع آراء بقيّة الفرق والمذاهب الإسلاميّة بعد أن تبنّى الإباضيّة المنهج المقارن إثر لومهم الشّديد ابن خلفون الّذي خرج عن القاعدة وتوجّه هذه الوجهة بوضوح، وأدركوا أنّ الخير في التّولّي شطر هذه الوجهة الّتي تبنّاها.

وتتوّج أخبار هذه الحقبة برغبة المغاربة في الحرص على التّعرّف على أخبار المشارقة وقد وصلتهم جلّها من لدن نشأة المذهب خلال ما كتبه أبو سفيان محبوب بن الرّحيل ذاك الّذي كان الإمام أفلح يوصي بقراءته وما وصلهم تدريجيّا من السّير العمانيّة الّتي تزدان بأخبارهم حلوها ومرّها.

وكذلك برغبة المشارقة في التّعرف على أخبار المغاربة، ذلك أنّهم وصلهم كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة لأبي زكريّاء الوارجلاني فتبيّن أنّه لا يفي بالغرض فحمّلوا إخوتهم المغاربة عبء تحمّل هذه الأمانة مع أحد الوافدين إليهم من جزيرة جربة و هو الحاج عيسى بن زكريّاء ، و مكّنوه من عدد وافر من المصادر على أن يستدرك علماء المغرب ما في كتاب السّيرة من خلل، وعلى أن يثبتوا سيرة الإباضيّة بالمغرب منذ وصول

المذهب إليها جيلا بعد جيل، فكان بفضل ذلك التّحريض كتاب طبقات الدّرجيني فملأ ذلك الفراغ وبقي من أهمّ المصادر في هذا الباب.

ثبت حينئذ خلال هذه القرون أنّ هذه العلاقة انحصرت في العطاء الفكريّ في نطاق المحافظة على دعائم أصول المذهب وفروعه ممّا يمكّن أتباعه من عدم الذّوبان.

فهل ستستمرّ الأمور على مثل هذه الحال في ما بقي من القرون إلى القرن الحادي عشر الهجريّ السّابع عشر الميلادي أو ستطرأ طوارئ أخرى، ذاك ما سنسعى إلى التّعرف عليه في الفصل الخامس والأخير من فصول هذا البحث.

الفصل الخامس

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان من القرن الثّـامن إلى القرن الحادي عشر الهجري / 14- 17 م

تـــمـــهـــيـــد

ثلاثة مباحث هي قوام هذا الفصل الخامس الّذي سيعتني بالعلاقة بين المشارقة والمغاربة طيلة أربعة قرون أيضا من القرن الثّامن الهجري، الرّابع عشر الميلادي إلى القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي.

أمّا **المبحث الأوّل** فسيعتني بما جاء من أخبار رحلة ابن بطوطة إلى عمان، وبإحصاء البرّادي تآليف أهل المشرق وأهل المغرب في القرن الثّامن الهجري، الرّابع عشر الميلادي.

وأمّا **المبحث الثّاني** فسيقف عند أخبار القرنين التّاسع والعاشر/ 15- 16 حيث عثرنا على القصيدة الّتي فصّل فيها محمّد بن عبد الله الأغبري العماني أخبار أهل المغرب، كما عثرنا على مخمّس عبد الله بن عمر العماني الّذي أرسل به إلى أهل المغرب، يمدح فيه المذهب ويحرّض على الثّبات عليه.

وأمّا **المبحث الثّالث** فسيشتمل على تهنئة المغاربة العمانيّين بنصب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي الّذي خلّص البلاد من جور النّباهنة وغيرهم، وأرجع للإمامة مجدها، كما يشتمل على التّعريف بالنّصيحة الّتي أسداها عمر بن سعيد الجربي للإمام بلعرب اليعربي يحثّه فيها على ضرورة الاعتناء بالتّعلم و التّعليم في أطراف عمان لتزداد ازدهارا على ازدهارها.

المبحث الأوّل

العلاقة في القرن الثّـامن الهجري / 14 م

1- رحلة ابن بطّوطة إلى عمان

و في بداية الثّلث الثّاني من القرن الثّامن و بالضّبط في 27 ذي القعدة 731/ 1 سبتمبر 1331 حلّ بعمان الرّحالة المغربي الشّهير ابن بطوطة[1] (779/ 1377) ليذكر غرائب ممّا لاحظه من أحداث، وقد أورد السّالمي[2] في تحفة الأعيان خبر الرّحلة مع

---

[1] **شمس الدّين أبوعبد الله محمّد بن إبراهيم (ابن بطوطة)** (779/ 1377): رحلة ابن بطوطة. دار صادر وبيروت للطّباعة والنّشر بيروت. 1383/ 1964.

[2] **عبد الله السّالمي:** (1286- 1332/ 1869- 1914) ولد بمدينة الرّستاق ببلد عمان وبها حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الإسلاميّة من أصول وفقه ولغة وظهر نبوغه من السّابعة عشرة من عمره وذلك لما آتاه الله من جودة الحفظ مع ذكاء نادر. ثمّ انتقل إلى بلدة المضيبي. ثمّ استقرّ ببلدة القابل

تعليقات، أبرزها تعبيره عن أسفه لوصول ابن بطّوطة إلى

وتفرّغ للتّدريس والتّأليف والفتوى. وقد حدّثنا (الجّعبيري) ابنه محمّد أثناء رحلتنا إلى عمان سنة 1984 عمّا اتّسمت به حركيّته من انضباط في الحلّ والتّرحال مع سعة الأفق والرّغبة في المقارنة بين أقوال الإباضيّة وأقوال غيرهم، وزائر المكتبة الّتي خلّفها يتبيّن تنوّع المصادر الإسلاميّة المعتمدة. وقد حرص أحفاده سليمان وأحمد وعبد الله مع أبيهم على تنظيمها تنظيما عصريّا ييسر الاستفادة منها. كما صوّر لنا متانة العلاقة بينه وبين إباضيّة المغرب وخاصّة من خلال مراسلاته المستمرّة مع امحمّد اطفيّش. (1332/ 1914)

إنّ مثل هذا النّشاط العلمي مألوف بالنّسبة إلى رجل ضرير إلاّ أنّ غير المألوف يتمثّل في الحركيّة العمليّة الّتي انتهت بإحياء الإمامة في عمان على يد الإمام سالم بن راشد.

وقد تخرّج على يديه عدد كبير من التّلاميذ نذكر منهم الإمامين محمّد ابن عبد الله الخليلي والإمام سالم بن راشد.

كما ترك ثمانية وعشرين مؤلّفا نذكر منها قصيدته " **أنوار العقول في الأصول** " وقد شرحها في كتاب سمّاه " **مشارق أنوار العقول** " وكتابه **"تحفة الأعيان في تاريخ أهل عمان"**.

وتوفّي سنة 1332/ 1914 وقبره ببلدة تنوف بسفح الجبل الأخضر. ر. عبد الله السّالمي: المشارق (ص: ث. ذ) وترجمة المؤلّف وضعها خالد بن مهنا البطّاشي. مع إضافات من رواياتنا.

ر. عبد الله السّالمي: " **كتاب جوهر النّظام** " مصوّرة عن ط 1 بتحقيق إبراهيم اطفيّش.

عمان في أيام بني نبهان[3] " فذكر عنهم غير الجميل، و ليته ذكرها ومكارم الأخلاق ومعالي الصّفات ومقامات الكمال وعواطف الإحسان والأفضال "[4].

ولا أراني مضطرّا بأن أحلّل ما ورد في الرّحلة لأنّه يبعد عن وجهة موضوعنا في الحديث عن الرّابطة الإباضيّة، وأكتفى بذكر المحاضرة الّتي ألقاها الأستاذ عبد الهادي التّازي بعمان سنة 1978 م بعنوان " الصّلات التّاريخيّة بين المغرب وعمان" (ويقصد المغرب الأقصى بالخصوص)، وإن كان لنا عليها بعض التّحفّظ لما جاء فيها من المبالغات في بعض الأحيان[5].

2- البرّادي يذكر عددا من مؤلّفات العمانيّين والمشارقة عامّة

وفي النّصف الثّاني من هذا القرن يهتمّ الشّيخ أبو القاسم البرّادي بإحصاء تآليف الإباضيّة، ويثبت بذلك ثراء المحيط

---

[3] سبقت الإشارة إليهم ص 183.

[4] السّالمي: التّحفة: 1/ 310 ونصّ الرّحلة: 1/ 309- 319.

[5] انظر حصاد ندوة الدّراسات العمانية : ط سلطنة عمان 1980 3/209ـ243.

المغربي بالكتب العمانيّة والمشرقيّة عامّة، وهذا بعض ما جاء ذكره من كتب في هذه الرّسالة بعنوان: " **ومن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة** [6]".

– كتاب صفة أحداث عثمان بن عفّان.

ويذكره في النّسخة المحقّقة كما يلي:

كتاب صفة أحداث عثمان بن عفّان. رأيته ولم أعرف مؤلّفه.

ويضيف في التّعليق نقلا عن النّسخة الملحقة بالجواهر:

" خـ وكتاب صفة أحداث عثمان ومعاوية. سفر "

ونفهم من إشارة للنّامي أنّه اطّلع عليه بعنوان مختصر صفة أحداث عثمان (قسم من مخطوطة عمانيّة: 161- 176).

– كتاب فيه أخبار صفّين، و أخبار أهل النّهر و قتلهم، أكثر آثاره عن عبد الله بن يزيد الفزاري[7]، رأيته ولم أعرف مؤلّفه.

---

[6] لقد ذكر البرّادي اثنين وثلاثين عنوانا يصعب في هذا البحث أن نقف عند جميعها، لأنّ ذلك يتجاوز حدود هذا العمل، وإنّما اخترنا بعضها لنثبت مدى شغف المغاربة بكتب المشارقة.

ملاحظة: إنّنا بصدد تحقيق هذه الرّسالة مع تعريف المؤلّفات والمؤلّفين بقدر الإمكان.

[7] **عبد الله بن يزيد الفزاري:** عاش بين القرن الأوّل والثّاني الهجري 7- 8. أحد رواة كتاب النّهروان من مصادر البرّادي في كتاب الجواهر، وقد جاء فيه: " حدّثني عبد الله بن يزيد الفزاري عن جابر بن زيد رضي الله عنه " (ص 129). كما يذكر الطّبري أنّه يروي أحداث صفّين عن جابر بن زيد حسب أبي مخنف.

(cf. L. Veccia Valigeri; Il conflitto… A.I.U.O.N.N.S. IV, 1952, S.15 Anm.2.)

واعتبره ابن النّديم أحد مشاهير الخوارج وعدد مؤلّفاته: **كتاب التّوحيد. كتاب الرّد على المعتزلة، كتاب الرّد على الرّافضة، وكتاب الاستطاعة** (الفهرست 258)

وقد ذكر المسعودي أنّه كان خرّزا– أي صانع أحذية– اختصاصيّا في صناعة الجلد، كما كان شريكا تجاريّا للهشام بن الحكم، وكان أتباعه يأتون إليه في محلّه في الكوفة ليتعلّموا منه. (مروج الذّهب 2/ 137) وهشام بن الحكم هذا متكلّم إمامي وقد عايش حلقات المتكلّمين بالكوفة قد بدأت تتسرّب إليها بعض أسس الفلسفة اليونانيّة، وفي إحدى رحلات النّظام إلى الكوفة التقى هشام بن الحكم وتعرّف على مؤلّفات عبد الله بن يزيد الفزاري.

(CF. Watt ; The formative Period of Islamic Thought U.P.E 1973 . 186 – 187 ; EI ; III ; 514 Hishàm b. al Hakam (Madelung)

وقد ذكره ابن حزم في الملل والنّحل بقوله: " وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السّنة أصحاب عبد الله بن يزيد الفزاري الكوفي " (الجّعبيري: البعد 109 تعليق 50).

وإزاء الكتب الّتي ذكرها ابن النّديم عثر النّامي على كتاب له اسمه "**كتاب الرّدود** " وعثر ابن دريسو على كتب أخرى هي: **كتاب القدر. الكتاب الثّاني في**

ويضيف المحقّق في التّعليق إشارة إلى ورود زيادة توضيح في مخطوطة " خـــ ": " خـــ: لم يذكر هذا الكتاب، و مؤلّفه من أصحاب الإمام الرّبيع بن حبيب، وخالف في بعض الفروع وهو من أهل القرن الثّاني ".

ويذكر ابن دريسو عن هذا الكتاب ما يلي:

" كتاب العمروس: أجاب به عمروس بن فتح الشّيخ عبد الخالق الفزاري[8] ".

" كتاب النّهروان: يقول عنه الشمّاخي: " ومن أراد بسطة [في واقعة الجمل ويوم الدّار] فعليه بحديث المسلمين فيه"[9]، القدر. حكم المسلمين في المنافقين وفي الإمامة، وكتاب في الرّد على ابن عمير و كتاب في العقيدة بدون عنوان.

الجّعبيري . البعد (109 تعليق 50 و 418 و ما بعدها) النّامي : دراسات (202 و304). كوبرلي: 34 تعليق 12 و13 وص 215. ابن دريسو: م س (241 و 255 – 261) . قيلفرد ماديلونغ . تقديم كتاب النّجاة للإمام أحمد النّاصر لدين الله [في الرّد على عبد الله بن يزيد] باللّغة الألمانيّة ص 1– 16.

[8] عمروس: الدّينونة الصّافية: 24. نسبه إليه محقّق الكتاب

[9] الشمّاخي: السّير: 44

وقال فيه السّابعي: " أغلب الظّن أنّ المؤلّف هو الفزاري نفسه... وما يورده الفزاري من أخبار إنّما هو من هذا الكتاب"[10] بينما نجد البرّادي يذكر الكتاب بعنوان: " كتاب فيه أخبار صفّين، وأخبار أهل النّهر، وقتلهم، أكثر آثاره عن عبد الله الفزاري، رأيته ولم أعرف مؤلّفه"[11]، فكأنّه يشكّ أنّه للفزاري، لكن عندما نعلم أنّ الشّماخي ذكر أسماء الصّحابة الّذين قتلوا في النّهروان، وأحال على كتاب النّهروان لمن أراد التّوسعة[12] وحينما نعلم كذلك أنّ البرّادي أورد هذه الأسماء نقلا عن الفزاري[13] نتيقّن أنّ كتاب النّهروان له.

ونحن أيضا نرجّح أنّه هو الكتاب الّذي ينقل عنه البرّادي في كتاب الجواهر.

– نموذج ممّا رجّحنا أنّه من كتاب أخبار صفّين والنّهروان.

[10] السّابعي: أحاديث الخوارج: 6، 8

[11] البرّادي: رسالة المؤلّفات: 117 ظ

[12] الشمّاخي: السّير: 49

[13] البرّادي: الجواهر المنتقاة: 118، 119

* وحدّثني عبد الله بن يزيد الفزاري أنّ عليّا لمّا بعث إلى أبي موسى [الأشعري] لإنفاذ الحكومة تراجع المسلمون بعضهم إلى بعض فاجتمعوا، فكان اجتماعهم يومئذ في منزل عبد الله بن وهب الرّاسبي. قال: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال..." ثمّ يورد خطبته[14].

– كتاب عبد الله بن إباض كتب به إلى عبد الملك بن مروان.

كان عبد الله بن إباض الوجه السّياسي البارز للحركة الإباضيّة، ويتجلّى ذلك في تحرّكه مع ابن الزّبير سنة 64/ 683 وفي اجتماع البصرة، وفي مراسلاته مع الأمويّين خاصّة منهم عبد الملك بن مروان (65- 86/ 685- 705) وقد وضّح فيها موقف المدرسة من الأحداث السّياسيّة بجرأة رغم ما فيها من طعن على سياسة بني أميّة وقد ميّز فيها بين إمامة الهدى وإمامة الضّلالة، وفي ذلك يقول: " فإنّ النّاس إنّما يتبعون في الدّنيا والآخرة إمامين إمام هدى وإمام ضلالة. فإمام الهدى الّذي يتبع كتاب الله ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله وهم الّذين قال الله تعالى فيهم: **(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)** (21 الأنبياء 73)،

[14] الجواهر ص 128. و الكتاب مفقود .

هؤلاء هم الأئمّة الّذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم. وأمّا أئمّة الضّلالة فهم الّذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويقسمون بغير قسمة الله ويتّبعون أهواءهم بغير سنّة من الله فهؤلاء الّذين قال الله تعالى فيهم: **(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ)** (28 القصص 41) و فيهم قال : **(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)** (25 الفرقان 52) وقال: **(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)** (18 الكهف 28).

وبرئ فيها من نافع بن الأزرق وصنيعه بقوله: " إنّا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه، لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنّه أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم. "

ذاك هو مسلك هذه المدرسة، بحث عن الإمامة العادلة الّتي تقوم على الشّورى معتبرة التّقوى، معرضة عن الجنس والعرق، كما قامت إمامة عبد الله بن وهب الرّاسبيّ (38/ 658) إمام الظّهور ومن جاء بعده أمثال أبي بلال مرداس (61/ 180).

كما عبّر عبد الله بن إباض بشكل موجز عن موقف الإباضيّة تجاه علاقتاهم ببقيّة الأمّة الإسلاميّة بقوله الشّهير: " لا

نقول فيمن خالفنا إنّه مشرك لأنّ معهم التّوحيد والإقرار بالكتاب والرّسول، وإنّما هم كفّار بالنّعم، ومواريثهم ومناكحتهم والإقامة معهم حلّ، ودعوة الإسلام تجمعهم ".

ـ كتاب سالم بن الحطيئة الهلالي[15] في العقائد والنّقض والاحتجاج.

وهذا نموذج منه:

ـ وفي كتاب سالم بن الحطيئة الهلالي رضي الله عنه قال: " ثمّ إنّ المسلمين بعد قتل عثمان بايعوا عليّا بن أبي طالب على كتاب الله وسنّة نبيّه، وأعطاهم على ذلك العهد والميثاق فسمعوا له وأطاعوه فبعث عمّاله إلى الأمصار فأثبت معاوية على الشّام وأقرّه. واستقام أمر النّاس[16]".

---

[15] **سالم بن الحطيئة الهلالي:** (أوائل ق 2/ 8): من علماء الإباضيّة في عصر النّشأة، إذ ألّف كتابا في **العقائد والنقض والاحتجاج** ولعلّه هو الرّسالة الّتي بعث بها إلى عبد الملك بن مروان (86/ 705) في تصويب أهل الدّعوة. أعلام عدد 364.

[16] البرّادي: الجواهر: 102. و الكتاب مفقود .

ـ كتاب شبيب بن عطيّة العماني[17] تكلّم فيه عن الشكّاك والمرجئة... كتب به إلى عبد السّلام[18].

---

[17] **شبيب بن عطيّة العماني:** عماني المولد والمنشأ والمدفن. أخذ عن الإمام أبى عبيدة في البصرة، وقد عايش إقامة إمامة طالب الحقّ باليمن (129/ 747) كما واكب إمامة الجلندى بن مسعود (تـ 134/ 751) بعمان وكان ضمن مجلس الشّورى زمن البيعة وبعدها بل كان من أجلّ مؤازري الإمام الجلندى.

ولمّا هزم الجلندى شيبان بن عبد العزيز اليشكري الخارجي (134/751) عند مهاجمته لعمان جاء العباسيّون يطاردون شيبان هذا فوجدوه مهزوما حوّلوا وجهتهم لمحاربة الجلندى و بعد مساومات للاستسلام و تسليم سيف شيبان وخاتمه لم يكن من مجلس الشّورى إلاّ أن يصمدوا أمام العباسيّين فكانت الحرب وكانت لصالح العباسيّين وقتل الجلندى وصارت عمان تابعة للعباسيّين حينا ولبعض الجبابرة من العمانيّين حينا آخر.

في هذا الظّرف الحرج كان شبيب يحمي بعض مناطق عمان و يجبيها فإذا غلبه العباسيّون تخلّى عن الجباية، ممّا أثار نقاشا عند فقهاء عمان بين توليه والبراءة منه لأنّ الجباية من حقّ إمام منصوب ولم يكن هو على هذه الحال ويختم السّالمي الحديث عن هذه القضيّة بما يوحي بأنّه إلى الولاية أقرب و ذلك برواية قول أبي الحواري (3/ 9) : " من برئ من شبيب برئنا منه ، و من برئ ممّن تولاّه برئنا منه ، و من تولّى من تولاّه فهوعلى ولايته إن كان له ولاية " تحفة: 1/ 106

و يسمّى أيضا بسيرة شبيب بن عطيّة إلى عبد السّلام [19]

وقد شهد له أهل زمانه بالصّلابة في الدّين وغزارة العلم، وسيرته إلى المسلمين جاءت معبّرة عن ذلك بوضوح. وهذه شهادة السّالمي في هذه السّيرة وقد اقتطف منها بعض الفقرات: " وله سيرة تنبئ عن تصلّبه في دينه وشدّته على بالبغاة " تحفة 2/ 104 .

جاء في سيرة ابن مداد: " وشبيب بن عطيّة العماني وقبره بالغريبة، ويقال إنّه بالغبيّ " (ضمن مخطوط السّيد 566) مع العلم أن الغريبة بالمنطقة الدّاخليّة حسب الرّاشدي: 255، والغبيّ بمنطقته الظّاهرة حسب الوهيبي 139 إلاّ أنّ البطّاشي يرجّح أنّه قبر بالغبيّ (إتحاف 1/ 138).

الشقصي: منهج الطّالبين: 1/ 620. ابن مداد: سيرة 566. ابن بركة: الموازنة. السّير والجوابات 2/ 384 الكندي: بيان الشّرع 2/ 188. السّالمي: تحفة: 1/ 104- 106 . البطّاشي: إتحاف الأعيان. الرّاشدي 1/ 184. الجهضمي: حياة عمان الفكريّة: 133. أبوعبيدة. 254- 255. الوهيبي: الفكر العقدي 137- 140.

[18] البرّادي: تواليف: 2/ 283. البرّادي: الجواهر: 219.

[19] هذه السّيرة مخطوطة جاءت في 6 صفحات من مخطوطة " سير علماء الإباضيّة " من 152- 154.

وقد ذكرها البرّادي في رسالة التّآليف: " وكتاب شبيب بن عطيّة تكلّم فيه عن الشكّاك، و المرجئة، و الذّي من آثار قومنا أنّ شبيبا صفري، لكنّ كلامه في الكتاب كلام موافق، كتب به إلى عبد السلام " الموجز 2 / 283 مع ملاحظة أنّ هذا الكتاب لم يذكر في النّص الذّي طبع آخر كتاب الجواهر. الوهيبي: الفكر العقدي 140.

هذه السّيرة تختلف عن السّيرة المعروفة بسيرة شبيب بن عطيّة[20]، فإن كانت تلك السّيرة قراءة في الفتنة فإنّ هذه في صلب القضايا العقديّة المنبثقة عن الفتنة.

وواضح من العنوان: " كتاب من شبيب بن عطيّة رحمه الله إلى عبد السلام[21] ردّا على الشكّاك والمرجئة ":أنّها تناقش تيّارين إسلاميّين وجدا في تلك المرحلة بل في أوّل انبثاقهما.

التيّار الأوّل: الشكّاك وقد استعمل هذا التّسمية في السّيرة المشهورة أيضا وعنى بهم الّذين قرأوا الأحداث المنبثقة عن الفتنة قراءة تثير الرّيب وتبعد عن الهدى.

---

[20] السّير والجوابات: 2/ 346 – 383.

[21] **عبد السّلام بن عبد القدّوس البصري:** من تلاميذ أبي عبيدة وكان ثقة وفيّا لشيخه الإمام وارتضاه مع الرّبيع أن يأتيه الفتيان الذّين تبرأ منهم الإمام (انظر ما سبق ص 87) فعادوا إليه تائبين، فيبلّغونه هوو الرّبيع توبتهم، ومعنى ذلك أن يشهد العدلان على توبتهم، فلما أتوهما وأخبرهما بتوبتهم أعادهم الإمام لأبوعبيدة إلى المجالس التّي يحضرها التّلاميذ (سير 86)

وكان ممّن روى عنه الرّبيع ونفى صاحب السّير أن يكون عبد السّلام ابن عبد القدّوس من المجاهيل (سير 111)

شمّاخي: 86 و111، الكندي: بيان الشرع 2/ 84. السّالمي: مقدّمة الجامع الصّحيح 1/ هـ. الرّاشدي: م. س: 227- 228. الوهيبي: م. س: 140 تعليق 3.

التّيار الثّاني: وهم المرجئة الّذين قام شعارهم على " لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة " والإيمان في القلب فقط ومن قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة[22].

– كتاب المسند وهو حديث الرّبيع[23].

– وجامع الشّيخ أبي الحسن وهو من جملة الكتب الّتي وصل بها الشّيخ أبو موسى عيسى بن زكريّاء اليراسني من عمان إلى الجزيرة[24]، يقصد جزيرة جربة.

– وكتاب الدّعائم الأصل[25]، ويعلّق عليه قائلا: ذكر لي بعض أصحابنا العمانيّين بمكّة شرّفها الله سنة خمس وسبعين

---

[22] الجعبيري: البعد: 102

[23] سبق تحليله في موضعه ص 77 و 185 – 187.

[24] انظر ما سبق قصّة تأليف الدّرجيني لكتاب الطّبقات ص 191.

[25] **أحمد بن سليمان بن النّضر السّمائلي العماني** (ق 5/ 11) تبحّر في العلم منذ صغره قتل وهو ابن 35 سنة. وجمع قصائده في العقيدة والفقه محمّد بن وصّاف العماني وسمّي **بالدّيوان: كتاب الدّعائم، وشرحه** وقد طبع هذا الشّرح في جزأين ط. وزارة التّراث بعمان 1983 بتحقيق عبد المنعم عامر (انظر ما

(775/ 1374) ممّا شاهد أنّ عدّة القصائد المثبتة عندهم في هذا الكتاب بعمان أ م، [41 بحساب الجمّل]، فيبقى حينئذ ما في أيدينا جيبي [25 بحساب الجمّل].

ـ كما يذكر كتابا آخر قائلا عنه:" ويذكرون من تآليف أهل العصر عندهم كتابا يعرف **بكشف الغمّة في اختلاف الأمّة**، لم ير لأهل الدّعوة مثله في فنّه، وكنت كلّفت بعض أصحابنا من مكّة على استنساخه فأتى به من قابل، فلم يصادف هناك من له اهتبال بشيء فطلب المحتمل أجرته فلم يجدها، فردّه من هناك، فلا قوّة إلاّ بالله..."[26].

واضح أنّ هذه الرّسالة من الأهميّة بمكان في تحديد العلاقة بين أهل المغرب وأهل عمان وأهل المشرق عامّة، ذاك أنّها

سبق ص 194) كما شرحه بعد ذلك البرّادي و وسمه " **شفاء الحائم على بعض الدّعائم** ". (ر. سالم العدالي: البرّادي حياته وآثاره ص 122– 151) وهي خ بالبارونيّة، ولسالم العدّالي نسخة مصوّرة منها. كما شرحه امحمّد اطفيّش. ط حجريّة البارونيّة 1325 هـ وكتاب الدّعائم طبع عدّة طبعات. اعتمدنا الطّبعة الّتي صحّحها وأشرف على طبعها محمّد عيران وقدم لها سالم ابن محمّد الرّواحي حيث عرف بالمؤلّف (ص 3– 7) ط. دمشق. المطبعة العموميّة 1286/ 1966.

[26] البرّادي: رسالة تواليف أصحابنا ص. 2/ 287.

تثبت أنّ المحاورة مستمرّة بين الطّرفين، والكلّ ينتمي إلى مدرسة واحدة، ويسعى إلى إثرائها بتوفير الكتاب أو تأليفه أو شرحه أو إتمامه إن لم يتمّه صاحبه.

وتتجلّى شفافيّة البرّادي المؤرّخ إذ حاول بقدر الإمكان التّعريف بكلّ ما وقع بين يديه من التآليف مميّزا تمييز تصنيف وترتيب بين تآليف أهل المشرق وأهل جبل نفوسة وأهل المغرب، وهذا وضوح منهجي في العرض يسهّل الأمر على القارئ، وفي كلّ ذلك يذكر بكلّ موضوعيّة ما عرف اسمه من هذه الكتب ولم يقف عليه، وما وقف عليه.

ونراه يأسف شديد الأسف لعدم وصول كتاب كشف الغمّة رغم تكليف العمانيّين بإرساله له في موسم الحجّ لسنة 776/ 1375 إذ حجّ هو سنة 775/ 1374.

ونحن نعلم من المخطوطة البارونيّة لهذا الكتاب أنّه وصل فيما بعد إلى جربة وقد خطّ في أوّله ما يلي:" ثمّ إنّ هذا الكتاب الّذي هو كشف الغمّة من تأليف المتأخّرين من أصحابنا أهل عمان بعثنا فيه إليهم من مكّة شرّفها الله سنة 775/ 1374 وقد تعلّقت به قلوبنا[27]. "

---

[27] فرحات الجعبيري: نظام العزّابة: 296.

ومن ذكر عنوان الكتاب نتبيّن أنّه غير كتاب سرحان بن سعيد الأزكوي[28] الموسوم بكتاب كشف الغمّة الجامعة لأخبار الأمّة (ق 12/ 18)، ويظهر أنّهما يتّفقان في الموضوع إذ جاء قسم كبير من كتاب الأزكوي مفصّلا الحديث عن اختلاف الأمّة،

---

[28] **الأزكوي (سرحان بن سعيد) (12/ 18):**

* تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة، حقّقه عبد المجيد حسيب القيسي ، تحقيق أوّلي بسيط ، عرض في التّقديم لجميع الأبواب، والقسم المطبوع وهو قسم من أبواب الكتاب 4- 33- 37- 38، مع إضافة فصل لمؤرّخ مجهول عن البوسعيديين ومنهم السّلطان قابوس. 164 ص، عمان، مطابع سجلّ العرب، د. م. ن 1980- نشر وزارة التّراث القومي بعمان وهذا القسم ترجم إلى الأنجليزيّة.

* E.G.Ross .Annal of Oman old days unitl 1728.J. G .

* أخبار عمان من أقدم العصور حتّى عام 1728 م. الجمعيّة الاسبيريّة بالبنغال 1974 م. وقد حققّته الباحثة الألمانيّة هيدوج كالاين سنة 1938.

* الفصل الرّابع من كتاب كشف الغمّة وجعلته رسالة للدّكتوراه. «ونسبته إلى الأزكوي فيها نظر ؟»

* الباب التّاسع والعشرون من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة. في اعتقاد الفرقة الوهبيّة الإباضيّة من ص 16 إلى 22 ملحق بأطروحة كوبرلي نجد محاولة تحقيق 24 × 14 صم بالهوامش. 28 ص.

ولا شكّ في أنّه استقى من الأوّل. ويبقى افتراضنا هذا محلّ نظر تقرّه الدّراسة المقارنة أو تنفيه[29].

والحقيقة الّتي لا ينبغي أن نغفل عنها هنا، هي ضرورة إقامة دراسة مقارنة دقيقة بين التآليف المشرقيّة والمغربيّة لتبيّن ما بينهما من تكامل، لأنّها كلّها تقوم على أسس واحدة.

[29] **كتاب كشف الغمّة** الّذي يذكره البرّادي ليس كتاب كشف الغمّة للأزكوي لأنّه متأخّر عن البرّادي كما أنّه ليس كتاب الكشف والبيان للقلهاتي (4/ 10) الّذي حققّته د. سيّدة إسماعيل كاشف، وطبع بمطابع سجلّ العرب القاهرة في جزأين. نشر وزارة التّراث بسلطنة عمان 1400/ 1980 وحقّقه الأستاذ محمّد بن عبد الجليل ونشر بمجلّة الحوليّات التّونسيّة عدد 18 سنة 1980 من ص 89- 214 وإنّما هو كما يروي لي سلطان الشّيباني في عمان أنّه مختصر لكتاب الكشف والبيان وقد اختصره القلهاتي نفسه في مجلّد واحد وقد عثر على نسخة مخطوطة منه تثبت ذلك وهي بحوزته بسلطنة عمان.

المبحث الثّـــاني

العلاقة في القرنين التّاسع والعاشر الهجري / 15 و 16 م

1- قصيدة محمّد بن عبد الله الأغبري العماني إلى أهل المغرب:

وهناك سكوت مطلق فيما نعلم عن العلاقات في القرن التّاسع للهجرة، لتطالعنا قصيدة مهمّة في القرن العاشر لمحمّد ابن عبد الله الأغبري العماني تضمّ أربعة وثمانين بيتا أرسلها تحيّة إلى أهل المغرب في جربة وجبل نفوسة ووارجلان ووادي ميزاب، يذكر فيها بعض المواطن وبعض العلماء، وهي تدلّ على اطّلاع دقيق على أحوال المغرب وقرى الإباضيّة بها، ونرجّح أنّ الرّجل على اطّلاع واسع على كتب السّير، أو أنّه تمكّن من زيارة هذه الرّبوع لأنّه يذكرها ذكر عارف خبير،

ولعلّ زيارته كانت لجبل نفوسة لأنّه أطنب فيها المقال بينما اختصر في البقيّة.

وعناصر المنظومة الّتي ضمّت 84 بيتا جاءت كالتّالي:

20 بيتا = 1- 20: مطلع تقليدي: تعبير عن تباريح الشّوق لأهل المغرب نورد منها البيت 14: [البسيط]

هامَ الفُؤادُ لِوصلِهم وقُـــربِـــهِـــم
يا ليتَ شِعرِي فهَلْ أُحظى بِقُربِهِم

9 أبيات = 21- 29: ذكر بعض علماء جربة وقراها نذكر منها بيتين 21 و28:

أنخ بجربة تُبري سُقمَ مــذهــبــك
المختار فهي شفاءُ الدّين من السّقمِ

وانهض إلى صَدغِيَانَ وانزلنْ بها
والْثَمْ فسيح ثَراهَا لَثْــم مُسْــتَــلــمِ

37 بيتا = 30- 66 : ذكر جلّ علماء نفوسة وقراها نذكر منها 31 و59 و60:

وانزلن بقريةِ مــرداسَ الإمامِ بها
ما شِئْتَ من خيْر فِيها ومِن نِــعَــمِ

واجْنحْ إلى القَلعةِ الشّمّاء تَلْقَ بهــا
دينا قَويمًا وعزّا غيرَ منــهَــدم

دار البَوَارين أهْل الجُود والكَــرم
والعلْم والحلْم والأديَان والحِكَم

10 أبيات = 67- 76: ذكر بعض علماء وارجلان ووادي ميزاب وقراهما. نورد منها 68:

وطبْ بِتِجْنِينَةَ نفسا فإنّ بِــهَــا
عيسى وأحمد تَخلَع حُلّة الــعَــدَم

8 أبيات =77- 84 تنويه بفضل علماء المغرب واعتزاز بانتسابهم إلى الإباضيّة نورد منها 78 و84:

المغربيّونَ أوطانًا إذا نُــسِــبُــوا
والرّاسِبيّون أديانا أُولِي الــقِــدم

يا عصبة أَخلصُوا في الله دِينهــم
لم تَنكسِف في سمَاهم شَمس دِينهــم

وتعتبر هذه المنظومة وثيقة تاريخيّة[30] هامة للتعرف على مدى اطّلاع أهل عمان على سير أهل المغرب، وحبّهم الجم لهم، ووددنا لو أن هذا الناظم عرّج على بعض شيوخ عمان في تلك الفترة، وعبّر عن شوقهم لأهل المغرب، وصلتهم بهم.

2- مخمّس عبد الله بن عمر العماني إلى أهل المغرب:

وفي نفس القرن سنة 973/ 1566 يكتب الشّيخ عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد البهلولي العماني بمخمّس[31] يضمّ اثنين وسبعين ومائتي بيت [272] لإخوانه من أهل المغرب.

---

[30] نسخ المنظومة الشّيخ سالم بن يعقوب من خطّ الشّيخ قاسم بن يحيى الويراني اللاّجيمي الجربي رحمه الله في جمادي الأولى 1354/ 1935 بمصر، انظر دفتر 1: 32- 34 بمكتبته، بغزين جربة، والمنظومة من البحر البسيط.

محمّد بن عبد الله الأغبري: لم نتمكّن من التّرجمة له، لكن من خلال منظومته هذه إلى أهل المغرب يبدو أنّه مطّلع اطّلاعا واسعا على محيط إباضيّة المغرب، وبصفة أدقّ قرى جبل نفوسة ومدنه، فالرّجل يبدومولعا بالسّير، ولا نستبعد أنّه رحل إلى بلاد المغرب وأقام أكثر في جبل نفوسة.

[31] يقع هذا المخمّس في 22 صفحة وقد صوّره لنا مشكورا الأستاذ سليمان البكّاي من قرية يسجن بوادي ميزاب، وهو بخطّ مغربي واضح جملة

وقد جاءت محاور هذا المخمّس كالتّالي:

1) مطلع تقليدي: النّسيب.

2) شكوى من تحوّل النّاس عن الدّين، وطعنهم في الإباضيّة.

3) فضل أيّام الرّسالة وأبي بكر وعمر وستّ من عثمان وإمامة عليّ قبل التّحكيم.

4) أهل النّهروان مع ذكر فضل الإباضيّة وعلمائهم الأول بالمشرق والمغرب مع التّنويه بخصالهم.

ونسخه لنفسه وبنفسه الحاج بن بحمان بن محمّد في نيف وعشرين من ذي القعدة 1180/ أفريل 1767. وفي المخطوطة كثير من الاضطراب لا يمكّن من تخريج المخمّس على الوجه المطلوب.

عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد البهلولي العماني من أهل القرن العاشر/ 16 .

مخمّسه الّذي أرسل به إلى أهل المغرب يثبت أنّه مطّلع على أقطاب المذهب الإباضيّ في مرحلة التّأسيس وما بعدها، وأنّه عارف لجميع مميّزاته الّتي ذكّر بها إخوانه أهل المغرب ليدعوهم إلى الثّبات على المذهب لصفاء أصوله وفروعه ولإخلاص علمائه وأئمّته.

5) ذكر لميزات المذهب الإباضي بالمقارنة مع المذاهب الأخرى مع تحديد بعض المسائل الخلافيّة في الأصول والفروع.

ونذكر من هذا المخمّس ما يلي: [الطّويل]

وهَذا الزّمَان يُعقِب الحلْو بالمُرّ يكدر صفوَ العيْش في كُلّ ما يَجـري
ويُبدي لَنا ما لَا نطيق مِن القَدر وما لَا يُطيق المَرء حمْلا على ظَـهر
عوقبَه في الخَلقِ بالخَير وَالشّرِ

وابن إِباضٍ للدّيانَة مقتَفـــــي إمَام البَرايَا وابن عوف الفَتى الوَافي
وَهل كابْن زيْد جَابر ذِي التّخوّف كذلك والزّحَاف يوْم التّـزحّـــف
وهلْ كَقريب أو علي أبي الحرّ

وَفِي الغربِ أشياخٌ لنا وأكَـابــر أئمّة دينِ الله فِيهم سَـرائِـــر
بجِربة الزّهْر [كذا] أزْهرتها المَفاخِر وأهل نَفوسَا أخلصُوا وتناصَروا
لنُصرة دِين الله مِن خير معشَر"

ومع أنّ المخمّس يبدو مهلهل اللّغة في بعض الأحيان إلاّ أنّه جاء معبّرا عن رغبة صاحبه في تثبيت أهل المغرب على المذهب، وذلك بالتّذكير بتاريخه المجيد، وبتعاون أئمّته على

إرساء أسسه الجوهريّة الأصوليّة والفقهيّة على قواعد قرآنيّة وسنيّة ثابتة لا يزعزعها الزّمن، وتبدو نفحة الرّجل مخلصة أشدّ الإخلاص في الوفاء للرّعيل الأوّل من أئمّة المذهب في المشرق والمغرب.

المبحث الثّـالث

العلاقة بين عمان والمغرب في القرن الحادي عشر الهجري/ 17 م

1- تهنئة أهل المغرب بنصب الإمام ناصر اليعربي:

ونصل إلى القرن الحادي عشر للهجرة حيث تنتهي دولة بني نبهان الثّانية لتقوم مقامها إمامة اليعاربة العادلة، فتهتزّ لها جنبات المغرب، ويسعفنا القدر بالعثور على نسخة من الرّسالة الّتي بعث بها أهل المغرب مهنّئين إخوتهم العمانيّين بنصب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (1024ـ1050/1616ـ1641)[32].

[32] الرّسالة المخطوطة نسخها الشّيخ سالم بن يعقوب بمصر، دفتر رقم 2 ص 84- 88 من الحجم الكبير.

الإمام ناصر بن مرشد بن أبي العرب اليعربي (1034- 1050/ 1624- 1640) بويع بالإمامة بعد فترة جور بإجماع علماء زمانه وعلى رأسهم زوج أمّه القاضي خميس سعيد الشّقصي صاحب كتاب

وقد أرسل هذه الرّسالة إلى عمان العالم المغربي إبراهيم بن عبد الله الشّمّاخي اليفرني الإباضي تلميذ الشّيخ أبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم.

وقد قامت الرّسالة على المحاور التّالية:

خطبة الرّسالة:

حمد الله على تمكين الإمامة العادلة من إزاحة دولة الجبابرة.

1- التّنويه بخصال الإمام ناصر بن مرشد (ناصر المظلومين وقاهر المشركين).

منهج الطّالبين، فأظهر العدل ودمّر الجهل، وقد فصّل صاحب كتاب كشف الغمّة أخباره وأثبت غزارة علمه وحنكته السّياسيّة الّتي مكّنته من توحيد بلاد عمان والقضاء على الفتن الدّاخليّة ودحر البرتغاليّين. وهو أصل الأسرة اليعربيّة الّتي دانت لها عمان قرابة قرن من الزّمن (ص 366- 347). كما توسّع السّالمي في ضبط أخباره وانتصاراته وكراماته وثناء العلماء عليه وعهوده إلى عمّاله. تحفة 2/ 2- 44.

إبراهيم بن عبد الله الشّماخي اليفرني (11/ 17): لم نتمكّن من التّرجمة له، لكن يبدو من رسالته أنّه تلميذ الشّيخ أبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم من أهل يفرن بجبل نفوسة.

– **أبو الرّبيع سليمان بن أبي القاسم:** لم تتعرّض له المصادر الّتي بين أيدينا.

2- الدّعاء للإمام بالنّصر والتّأييد (أدام الله علوّه).

3- استبشار المغاربة بقيام هذه الإمامة العادلة.

4- التّذكير بفضل الإمامة العادلة (حجج من الحديث الشّريف).

5- الدّعاء لأهل الحلّ والعقد الذّين نصّبوه ووافقوه.

6- تعبير أهل يفرن ومن معهم من أهل نفوسة وجربة عن اعتزازهم بهذه الإمامة.

أ- حمد الله تعالى الذّي أظهر هذه النّعمة.

ب- التّذكير بفضل المحبّة في الله، والاعتذار عن الحضور لأداء واجب التّهنئة لعدم توفّر أمن الطّريق (فحالت بيننا وبينكم السّباسب...)

ج- شكوى من انتشار الجهل وغلبة المخالفين في بلاد المغرب.

د- تنويه بفضل عالم العصر أبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم.

هـ- طلب الدّعاء من الإمام لإصلاح بلاد المغرب.

و- تعريف المرسل وهو إبراهيم بن عبد الله الشمّاخي تلميذ الشّيخ المذكور (لهجة كلّها تواضع).

ونقتطف من هذه الرّسالة شيئا من المحور المعبّر عن المحبّة والشّوق إذ يقول صاحبها في هذا الصّدد:

" فاهتزّت نحوكم أعطافنا، وتحرّكت بذكركم أطباعنا، وهامت لملاقاتكم أرواحنا، فكيف لا وقد قال الله سبحانه وتعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ** وُدًّا) (19 مريم 96). وقال ﷺ : (المُتَحَابُّون في اللهِ على منابر مسك في ظلِّ العرش يوم لا ظلَّ إلا ظلّهُ) [33]. وقال ﷺ : (من أحبَّ قوما فهو معهم يوم القيامة)[34]، وما سرّنا حديث مثل هذا الحديث. فلا جرم أن كانت أشواقنا إليكم تتبرّح بتعاقب الأيام، ومحبّتنا إليكم تتأكّد على مرّ الشّهور والأعوام، وتتجدّد مع الآناء والأحيان، بل لا يصفها لسان، ولا يفي بالتّعبير عنها إنسان، فحالت بيننا وبينكم السّباسب والعجم، والمياه والأجم، والبحار اللّجج، والرّعاع الهمج، فالتقت علينا مخاوف مانعة، وعوائق عارضة، وعلائق ماسكة، ولو وجدنا سبيلا إلى تهنئتكم بالولاية المبرورة، والنّعمة المشكورة، والمنحة المغبوطة لأسرعنا

---

[33] أحمد، أخبار عبادة بن الصّامت، 22403، مسند أبي سعيد الخدري، 11574.

[34] البخاري، باب البر والصّلة، 6026+. مسلم، باب برّ الوالدين، 6669+، أحمد، حديث أبي موسى الأشعري، 19158.

طائرين بلا أقدام، ولاستغنينا بمشاهدة الكرام، ونقول لعلّ الزّمان يكشف القناع عن وجه جميل، فنرفل في إكرامكم، ونشر ديننا بفضلكم وإنعامكم، وتتمتّع الأرواح حيث العزّ مضروب، وقائم منصوب "[35].

وإن جاء سجع هذه الرّسالة متكلّفا فإنّها تبقى معبّرة عن اعتزاز أهل المغرب بما يقع في عمان من أحداث.

2- نصيحة عمر بن سعيد الجربيّ للإمام بلعرب للاعتناء بالتّعليم:

وينتشر العدل في عمان مع اليعاربة ويتولّى الإمامة بلعرب ابن سلطان (1091- 1104/1681- 1693) وييسّر الله زيارة أحد المغاربة لهذه الرّبوع، ألا وهو الشّيخ عمر بن سعيد بن محمّد بن زكريّاء الجربي الإباضي، فيطرب لما رأى من ظهور العدل، وإحياء السّنن، وإماتة البدع، لكنّه لاحظ أنّ الاهتمام بمجالس العلم قليل، فلم يكن منه إلاّ إسداء النّصيحة، وتحريض الإمام على أن يولي موضوع العلم والتّعليم أكبر اهتمام.

---

[35] انظر الملحق الأوّل لهذا البحث.

وقد نقل السّالمي هذه النّصيحة في تحفة الأعيان[36]، وهي وثيقة تاريخيّة مهمّة بيّنت إعجاب هذا المغربي بأحوال الإباضيّة

---

[36] السّالمي: التحفة: 2/ 79- 82. انظر الملحق الثّاني لهذا البحث.

بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (1091- 1104/ 1681- 1693) " ثمّ عقد له بالإمامة، فلم تزل الرّعية له شاكرة و لفضله ذاكرة، و كان جوّادا كريما و عمّر جبرين و بنى بها حصنا و انتقل من نزوى إليها. و بهذه القلعة أشرف بنفسه على مدرسة علميّة إئتمارا بنصيحة عمر بن سعيد الجربي و قد تخرّج منها خلق كثير. وقعت فتنة بينه و بين أخيه سيف بن سلطان انتهت بغلبة سيف وتولّيه الإمامة. كشف ص 367 و السّالمي: تحفة 2/ 76- 96 و قد فصّل الكلام في ذكر وفود الشّيخ عمر بن سعيد الجّربي على عمان و أورد نصّ الرّسالة الّتي كتبها إليه ينصحه فيها بضرورة الاهتمام بالعلم و التّعليم إزاء ما تشهده عمان في عهده من ازدهار حضاري. 2/ 81- 84.

عمر بن سعيد بن محمّد بن زكريّاء الجّربي: أصيل جزيرة جربة. الرّسالة الّتي أرسل بها إلى الإمام بلعرب تثبت أنّه من أهل القرن الحادي عشر/ 17. وأنّه زار عمان واطّلع على أحوالها ولاحظ ما عرفته من ازدهار واستباب أمن مع إمامة اليعاربة.

لا نشكّ أنّ الرّجل من أهل العلم لأنّه كان على اطّلاع بأوضاع العلم والتّعلّم في جزيرة جربة، وضرب بها المثل للإمام بلعرب فكانت خير حافز لهذا الإمام على بعث حركة علميّة رصينة، كما نتبيّن أنّه ليس أعلم أهل زمانه إذ أثبت أنّ عالم العصر هو الشّيخ أبو زيد بن أحمد بن أبي ستّة الّذي كان

في عمان، وضبطت أنّ عالم العصر بجربة هو الشّيخ أبو زيد ابن أحمد بن أبي ستّة[37].

وهذه عناصر هذه الرّسالة:

مرجع الفتوى والعمدة في فصل النّوازل، إزاء اضطلاعه بتدريس الطّبقة العليا من المتعلّمين.

وتكفي نصيحته هذه للدّلالة على مدى رغبته في الإصلاح ويقينه أنّه لا يتمّ أيّ إصلاح إلاّ بنشر العلم وحسن رعاية أهله معلّمين ومتعلّمين

[37] **أبو زيد بن أحمد ابن أبي ستّة** (ت 1100/ 1688): نشأ في محيط أسرته وأخذ عن المحشّي ثمّ سافر إلى مصر ودرس بالمدرسة الإباضيّة هناك وبالأزهر، ثمّ رجع إلى جربة وساد بها وكان له درس خاصّ لمن دونه من علماء جربة... يلقون السّؤالات فيتحرّى الصّواب.

وقد وردت رسالة من وادي مزاب سنة 1100/ 1688 فوضعته على رأس علماء جربة (دفتر رقم1 مكتبة الشّيخ سالم بن يعقوب: ص 16) وفي آخر عمره ذهب إلى الحجّ وتوفّي في الطّريق راجعا. ر. البعد: ص: 157.

أبو الرّبيع سليمان بن أحمد بن محمّد بن أبي ستّة (ق 11/ 17) يذكر ابن تعاريت أنّه كان قويّ الحافظة ويذكر الحيلاتي أنّه غزير الفهم في جميع العلوم، كانت نشأته في محيط أسرته العلميّة وهو ابن عمّ المحشّي، له مجموعة من **الفتاوى الفقهيّة** و**رسالة في أسماء الله وصفاته** لم نعثر إلاّ على بدايتها (دفتر رقم 1 ص 63 مكتبة سالم بن يعقوب. غيزن، جربة).

توفّي بعد المحشّي وقبره شرقيّ زاويته بسدويكش.ر. البعد: ص157.

أوردنا ترجمته مع أخيه لأنّهما كانا متعاونين غاية التّعاون.

1- تنويه عمر بن سعيد الجربي بما رآه من ازدهار بعمان أثناء رحلته مستثنيا ظاهرة قلّة المدارس.

2- لمحة عن أحوال أهل المغرب.

أ- وفرة المدارس في جربة مع ذكر برامج التّدريس (رغم سوء الحال).

ب- مجلسا الأحد والثّلاثاء حول شيخ المشائخ لحلّ المشكلات وللإجابة على السّؤالات.

ج- التّأسّف على الماضي التّليد: سعة البلاد وانتشار العلم والفضل زمن الإمامة الرّستميّة (مسيرة ثلاثة أشهر وأزيد).

د- اندراج أغلب الإباضيّة في المذاهب الأخرى وبقاء قلّة متمسّكة (نفوسة، جربة، بنو مصعب).

3- نصيحة عمليّة للنّهوض بالعلم والتّعليم.

4- تحريض الإمام للاضطلاع بهذه المهمّة (حاشا لمثلك أن يتغافل ويتهاون...)

أ- العلم أصول الدّين وفروعه.

ب- ضرورة إتيان الأسباب المشروعة.

ج- تنويه بفضل الشّيخ خميس الرّستاقي الذّي جمع أهل الحلّ والعقد فبايعوا الإمام ناصر بن مرشد وبفضل هذا الإمام وبخليفته الإمام سلطان بن سيف (الإمامين الرّضيّين).

د- الدّعوة إلى وصل ما أمر الله به أن يوصل بينه وبين عباده وهو العلم إخلاصا لله تعالى.

ه- التّذكير بما أعدّه الله من ثواب لمن يكون سببا في نشر العلم.

خاتمة الرّسالة:

1- إخلاص نيّة صاحب النّصيحة.

2- شكوى من فقد الإمام العادل بجربة وإن كان أهلها قدوة في التّمسّك بالعلم والتّعليم.

الفقرة الأخيرة:

الشّيخ السّالمي يذكّر بمدى إخلاص النّاصح وثمرة النّصيحة بعمل الإمام بها بنفسه وفي بلاده.

وفعلا يذكر السّالمي أنّه كان لهذه النّصيحة عظيم الأثر، وكانت منطلقا لنهضة علميّة تولّى أمرها الإمام بنفسه في حصن جبرين، " فيقال إنّه تخرّج من هذه المدرسة... خمسون عالما

كلّهم أهل اجتهاد وأهل إفتاء بالرّأي "[38]، كما أمر بالتّعليم في جميع أطراف البلاد.

جاء في كتاب عمان في التّاريخ أثناء الحديث عن المدارس العلميّة بعمان: " وأشهر هذه المدارس مدرسة الدّولة اليعربيّة الّتي نشأت في حصن جبرين أيّام الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي في القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي، وتخرّج من هذه المدرسة أكثر علماء عصرهم يومئذ، وعلى رأسهم العلاّمة خلف بن سنان الغافري[39]، والعلاّمة محمّد بن عبد الله بن جمعة

---

[38] السّالمي: التحفة: 2/ 83.

[39] **خلف بن سنان بن عيثم الغافري** (توفيّ بعد 1123/ 1711): عالم، فقيه، مفت، عاصر الأئمّة اليعاربة ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف وبلعرب بن سلطان وسيف بن سلطان وقد امتدّت إمامتهم من 1034 إلى 1131/ 1624- 1718 وقد امتدحهم جميعا. وهذا يدلّ على أنّه عمّر طويلا. يقال إنّه عاش ثلاثين ومائة سنة (130).

لعلّه من وادي بني غافر. كان واليا وقاضيا للإمام سلطان بن سيف الأوّل (1050- 1090/ 1640- 1679).

من أقران الشّيخين صالح بن سعيد الزّاملي ومحمّد بن جمعة بن عبيدان.

ابن عبيدان[40]، والشّاعر الأديب الحبسي راشد بن خميس[41].

له **ديوان شعر** كبير موجود بوزارة التّراث بسلطنة عمان كما له قصائد مبثوثة في كتب أخرى. وأكثر شعره في المديح والفقه، وبعضه في الفلك والطبّ.

وله تقريظ على نسخة مخطوطة من كتاب قناطر الخيرات للجيطالي (750/ 1349) (نفوسي الأصل دفين جزيرة جربة) بمكتبة السيّد محمّد بن أحمد البوسعيدي برقم 811 بالسيّب بسلطنة عمان نذكر منه: (الطّويل)

لقد تمّ تنميقا كتابُ القناطرِ ... بعون مليك للبريّة فاطرِ
فَيا حبّذا السّفر الجليلُ وحبّذا ... علُوما حَواهَا كالنّجوم الزّواهرِ
تزيد ذَوي الألْباب نُورا وحِكمَة ... وشوقًا إلى دَار العُلى والذّخائرِ

ويذكر في شعره أنّه له مكتبة عامرة (طويل):

لنا كُتبٌ في كلّ فنّ كأنّها ... جنان بها من كلّ ما تشتَهِي النَّفْسُ

لكنّ الفتن أتت عليها ولم تبق منها إلاّ بعض الكتب المنسوخة للشّيخ هنا وهناك.

قبره بالمعمور بولاية نزوى. كان حيّا زمن الإمام سلطان بن سيف الثّاني (1123- 1131/ 1711- 1718).

سيف البطّاشي (1420/ 1999): إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. ترتيب سعيد بن محمّد الهاشمي. ط 3. 1422/ 2001 نشر مكتب المستشار الخاص لجلالة السّلطان للشّؤون الدّينيّة والتّاريخيّة. سلطنة عمان. 3/ 125- 130.

[40] **محمّد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان النّزوي** (1104/ 1692) عالم فقيه قاض. تصدّر للفتوى. كثير الفتوى في مسائل الفقه. أصيب بالعمى.

كان قاضيا للإمام سلطان بن سيف بن مالك (1050ـ1090/ 1640ـ1679) ولولده بلعرب بن سلطان بن سيف (1091ـ1104/ 1681ـ1693) وكان كثير الإجلال والاحترام للشّيخ.

الرّاجح أنّه **درس في مدرسة جبرين**. وإن روي أنّه درّس بها أيضا.

من أشياخه صالح بن سعيد الزّاملي. ومن تلاميذه عبد الله بن خلف المنذري.

من مؤلّفاته كتاب **جواهر الآثار**: في مجلّدين ط (توفيّ 21 محرّم 1104/ 2 أكتوبر 1692). ن. م: ج 3/461- 462.

[41] **راشد بن خميس الحبسي** (1089 - ؟/ 1678 - ؟): ولد بقرية بني صارخ فرمد وفقد بصره وهوابن ستّة أشهر وقد مات أبوه **فنزل بقرية جبرين** مسكن الإمام بلعرب بن سيف اليعربي فربّاه وأحسن تربيته وأحسن إليه غاية الإحسان وتعلّم في ظلّه القرآن واللّغة وغيرهما وخرج شاعرا مجيدا.

ولمّا مات هذا الإمام انتقل إلى أرض الحزم من ناحية الرّستاق مسكن أخيه الإمام سيف بن سلطان قيد الأرض فأقام بها معه في أجمل حال إلى أن مات الإمام.

ثمّ انتقل إلى نزوى واتّخذها وطنا.

للشّاعر **ديوان** في شتّى أغراض الشّعر لكن جلّه مدائح في أئمّة اليعاربة وقضاتهم وولاتهم. وله **مدائح نبويّة** على عدد حروف المعجم صدّر بها هذا الدّيوان.

محمّد بن راشد بن عبد العزيز الخصيبي: شقائق النّعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان. المطبعة الوطنيّة روي. نشر وزارة التّراث سلطنة عمان: 1/ 100 – 106.

وإذا قلنا إنّ عصر هذه المدرسة في دولة اليعاربة يعدّ الجوهرة النّفيسة في تاج هذه الدّولة بعد الإمام ناصر بن مرشد فلا نكون مبالغين، وخاصّة أنّ آثار هذه المدرسة لا تزال قائمة حتّى الآن، وكانت تضمّ العشرات من الطّلبة آنذاك لما كان عليه النّاس من إقبال على العلم والتّعليم. "[42]

[42] عمان في التّاريخ ص: 240.

خـــاتـــمـــة

إن ثبت في الفصل الرّابع ثقل العلاقة الفكريّة بين المشارقة والمغاربة إلى جانب شذرات عن العلاقة السّياسيّة، فإنّ هذا الفصل لم تتوفّر في شأنه إلاّ نصوص قليلة لا تفي بالغرض لضبط جميع أواصر العلاقة بين جناحي المدرسة الإباضيّة.

فهذه رحلة ابن بطوطة جاءت في ظرف حرج طغى فيه الجبابرة على البلاد ولقد تمنّى السّالمي لو كانت زيارة هذا الرّحالة في ظرف أحسن لأنّ عمان كغيرها من البلاد عرفت فترات عدل وفترات جور.

وهذا البرّادي يكتفي بمجرّد إحصاء الكتب المشرقيّة مع شوقه إلى الاستزادة منها و تمثّل ذلك في رغبته في الحصول على كتاب كشف الغمّة والتّعبير عن مدى إعجابه به.

وبعد ذلك ترِدُ قصيدتان من المشرق تعبّران عن أواصر المودّة بين المشارقة والمغاربة في سعي حثيث إلى الحرص على تثبيت أهل الدّعوة حيثما كانوا، وذلك بالتّنويه بفضائل المذهب ومتانة سنده وصفاء أصوله وفروعه.

وتختم هذه الوثائق الواصلة بوثيقتين **إحداهما** ذات نفس سياسيّ تمثّل في ابتهاج المغاربة بعودة الإمامة في عمان إلى نصابها والدّعاء لإمامها الّذي هو إمام الجميع بالتّوفيق والسّداد، **والثّانية** ذات نفس تذكيري نصحي تمثّل في نصيحة عمر بن سعيد الجربي للإمام بلعرب اليعربي العماني إثر زيارته عمان وإعجابه بما تشهده من ازدهار سوى بعض الغفلة عن التّعليم، فكانت النّصيحة سببا في انبعاث حركة علميّة رعاها الإمام بنفسه عرفت عطاء زاخرا للمدرسة الإباضيّة قاطبة.

تلك هي سمات العلاقة بين المشارقة والمغاربة في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل البحث كما وعدنا بذلك من بدايته، وذلك بالتّوقّف عندما وصلنا من أخبار القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي عسى أن نضطلع بما بقي من أخبار القرون اللاّحقة في بحثين مستقلّين إن شاء الله تعالى.

الخـــاتـــمـــة

اختار الإباضيّة عند نشأتهم تسمية معبّرة عن الرّوح التّي انطلقوا منها، وهي " **أهل الدّعوة** "، ومعلوم أنّ صاحب كلّ دعوة لا يمكن أن يقرّ له قرار حتّى يبذل كلّ ما في وسعه لنشر دعوته في كلّ مكان.

ولذلك يقول أبو المؤثر الصّلت بن خميس: " فإن استطاعوا أن يتعدّوا مصرهم إلى غيرهم وجب ذلك عليهم كلّما قدروا عليه، فليدعوا النّاس إلى الدّخول في دين الله والتّسليم للعدل..."[1].

وممّا زادهم حركيّة في نشر دعوتهم تبنّيهم مبدأ الشّراء الّذي دفعهم إلى رفض الظّلم حيثما كانوا، والبحث عن المواطن الّتي يتمكّنون فيها من نشر مبادئهم. لذلك انتشروا شرقا وغربا كما فعل غيرهم من المناوئين لسلطان بني أميّة وبني العبّاس.

---

[1] السّير والجوابات: 14 **أبو المؤثر الصّلت بن خميس البهلولي** (نهاية ق 3/ 9): من علماء الأزد الخروصيّين. من أجلّ فقهاء عمان في عصره. شارك في الأحداث السّياسيّة في عمان عند عزل الإمام الصّلت بن مالك. السّير والجوابات 2/ 269.

ولذلك نجد أنهم يتولّون بعضهم بعضا وفي ذلك يقول أبو سفيان محبوب بن الرّحيل: " وكانت المحكّمة واحدا لو حكم رجل من المغرب تولاّه من كان منهم بالمشرق، ولو حكم بالمشرق تولاّه من كان بالمغرب..." [2].

ولقد تجلّت هذه المعاني بوضوح في ما عرضنا من أحوال العلاقات بين إباضيّة المشرق وإباضيّة المغرب، هذه العلاقات التّي انطلقت من منطلق عقدي واحد ازداد تعمقّا عبر الزّمن.

ويجدر أن نلاحظ هنا نجاح مركز الدّعوة الإباضيّة ومنطلقها في **البصرة** في رهانه من أجل بعث **مقرّين** أساسيّين لهذه الدّعوة استطاعا أن يقوما مقام المركز الأمّ عندما انقرض هذا المركز، وأن يحقّقا ما كانت تصبو إليه الدّعوة هناك من الانتشار والقدرة على مصارعة الزّوابع عبر الزّمن:

المقرّ الأوّل بلاد عمان: منطلق الدّعوة الأساس ومرجعها لأنّ إمام الإباضيّة عماني المنبت وقد ختم حياته منفيّا هناك من قبل الحجّاج ونعم المنفى هو. وقبره معروف هناك باتّفاق إلى اليوم.

---

[2] ن. م: 13.

لقد حاولت كلّ القوى المناوئة عبر الزّمان أن تجتثّ الإباضيّة من بلاد عمان، صفريّة وأمويّة وعبّاسيّة وفارسيّة وغيرها... لكنّ هذا المبدأ الإباضي استطاع أن يدافع عن كيانه، ويستمرّ على قيد الحياة نابضا بروحه الإيمانيّة الفيّاضة، وفهمه الدّقيق لكتاب الله وسنّة رسوله : ، والحرص الشّديد على العمل بما جاء فيهما بقدر الإمكان، عقديّا وفكريّا وسياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا... بفضل ما دوّنه علماؤه من دفاتر، عبّروا فيها عن واقعيّة صادقة، ورغبة في التّعايش السّلمي مع بقيّة المدارس الإسلاميّة المتعايشة في المحيط، والأمر ما يزال على هذه الحال إلى يوم النّاس.

المقرّ الثّاني بلاد المغرب: لقد كان رهانا أصعب لبعد الدّيار، لكن قد ثابر **شيوخ البصرة وأئمّتها** واحدا بعد واحد على بعثه على الوجه المطلوب عن طريق حملة العلم خاصّة.

وقد استطاع الإباضيّة مع الأمازيغ أن يقيموا لهم كيانا كاملا واضح المعالم من الثّلث الأوّل للقرن الثّاني/ 8 مع الإمام أبي الخطّاب، لكنّ القوّة العبّاسيّة النّاشئة ما فتئت أن دحرته بكلّ ما أوتيت من قوّة.

وكان من حكمة الإباضيّة بتشاور مع أئمّة البصرة أن يوغلوا في البعد إلى أطراف **المغرب الأوسط بتاهرت** حيث أقاموا إمامتهم مرّة ثانية، هذه الإمامة التّي لم يعصف بها إلاّ المدّ الشّيعي بعد أن عمرت جلّ بلاد المغرب طيلة أكثر من قرن وثلث قرن، ذلك المدّ الذّي صال وجال في بلاد المغرب ليزحف بعد ذلك إلى بلاد المشرق.

زالت الإمامة وحاول أنصارها الثّأر لأنفسهم مرّتين لكن بدون جدوى، فتحوّلوا إلى ما يسمّونه بمسلك الكتمان للحفاظ على الكيان، وأقاموا من جديد نظام الحلقة كما كان عليه الأمر في البصرة، وظلّ عددهم يتقلّص أمام المدّ المالكي الذّي ساد البلاد والعباد، ولم يبق لهم المجال إلاّ في مواطن معدودة هي: نفوسة، وزوارة، وجربة، ووارجلان، ومزاب.

وهنالك ظلّوا يصارعون الزّمان بكلّ عزيمة وثبات، بفضل نظام اجتماعي محكم، وحركة علميّة دؤوب، مكّنا هذه المواطن من أن تتداول على الرّيادة، تقوى هذه في مرحلة ثمّ تشيخ بعد حين فتحلّ محلّها الأخرى.

وقد ظلّ هؤلاء يتعايشون بكلّ حكمة وشجاعة مع محيطهم المالكي العام ودوله الحاكمة في البلاد يدافعون عن كيانهم كلّما

طعن فيهم طاعن، لا يهدأ لهم بال حتّى تعود الأمور إلى نصابها عند تجلّي الحقيقة.

وقد ظلّت مشاركتهم فعّالة في كلّ الأحداث وصولا إلى حرب التّحرير وحرب البناء بعد الاستقلال.

والملاحظ أنّه وإن نجح رهان أئمّة البصرة في هذا الرّهان مع عمان وبلاد المغرب، فإنّ رهانهم مثلا في بلاد اليمن نجح نجاحا مؤقّتا رغم قوّة دفعته الأولى مع طالب الحقّ، لأنّ إباضيّة اليمن لم يتمكّنوا من الصّمود إلاّ إلى القرن الثّامن/ 14 على أقصى تقدير.

أمّا بقيّة البلدان التّي راهنوا عليها كخراسان وخوارزم ومصر وغيرها فلم تر إلاّ مجموعات تلاشت بسرعة مع وفاة الدّعاة سوى مصر فقد بقيت فيها مجموعات إباضيّة تكتسب قوتها وتحافظ على كيانها إلى يومنا هذا.

وقد سعينا في هذا البحث إلى أن نبيّن ما أمكن تبيينه عن العلاقات بين بلاد المغرب والمركز الأمّ بالبصرة، ثمّ بعد ذلك مع عمان ذلك الشّقيق المنبثق من نفس الرّحم فثبت لدينا ما يلي:

1- العلاقـــة السّياســيّـــة:

لم يتمكّن إباضيّة المغرب وإباضيّة المشرق أن يقيموا علاقة سياسيّة بالمفهوم الحقيقي للكلمة وذلك لبعد الدّيار، الأمر الذّي دفعهم إلى أن يضيفوا إلى نظريّتهم السياسيّة أنّ لكلّ إمام حوزته إذا فصلت بين حوزة الإمامتين حوزة أخرى تابعة لكيان آخر.

وبهذا نلمس أنّ الحديث عن العلاقة السّياسيّة يبقى من باب التّجوّز، ذلك أنّ نظرة الطّرفين للإمامة واحدة، شورى تحقّق الإمامة فيمن توفّرت فيه شروطها مهما كان نسبه ولونه.

أمّا في بقيّة الوجوه فيبقى الأمر عند الإيعاز والمؤازرة والنّصيحة.

معلوم أنّ إمامة أبي الخطّاب كانت بإيعاز من الإمام أبي عبيدة، أمّا الإمام عبد الرّحمان وإن كان قد عرف هذا الإيعاز فإنّه اعتمد على الذّات اعتمادا كليّا، وعلى من التفّ حوله بعد أن خرج متخوّفا من القيروان، ويمّم نحو جبال المغرب الأوسط ليحطّ الرّحال بتاهرت حيث أعلن الإمامة بعد عشرين عاما من العمل الدّؤوب.

وهنالك جاءت المؤازرة من البصرة وكذلك النّصيحة مع الاحتساب، ولم نعثر البتّة على معاهدات أو تبادل سفراء، وما إلى ذلك من وجوه العلاقات السّياسيّة المعروفة.

وكذلك الأمر عندما اشتدّ عود هذه الإمامة مع الإمامين عبد الوهّاب وأفلح، وكذلك عندما تداعت إلى السّقوط وحاول بعض أتباعها أن يحيوها من جديد إمامة ظهور في قسطيليّة.

إنّنا لم نعثر على أيّة إشارة من نوع المدّ العسكري والتّخطيط السّياسي حتّى في الأحوال الحرجة، وهذا في رأينا طبيعي، وذلك لبعد المسافة بين الموقعين، فلا يمكن أن تكون العلاقة السّياسيّة إلاّ على هذا الوجه الذّي ذكرنا والذّي لا يتعدّى إسداء النّصيحة عند المشورة وإرسال الرّسل والرّسائل لهذا الغرض.

فلا سبيل إلى الحديث حينئذ عن علاقة سياسيّة بحقّ، وإنّما هو تشاور وتناصح للحفاظ على أسس الإمامة بمفهومها الإباضي.

2- العلاقة الاقتصاديّة:

إن لم تتوفّر العلاقة السّياسيّة بمفهومها الحقيقي فإنّه يصعب أن تتوفّر علاقة اقتصاديّة حقيقيّة أيضا بين البصرة وعمان من جهة وبلاد المغرب من جهة أخرى لأنّ مثل هذه العلاقة تتطلّب تواصلا مستمرّا في مستوى جميع أركان الاقتصاد وهذا أمر مستحيل لبعد المسافة الفاصلة بين هذين الطّرفين.

لذلك يبدو حديثنا عن العلاقة الاقتصاديّة أيضا من باب التّجوّز إذ يقف الأمر عند بعض المساعدات الماليّة في الاتّجاهين، وعند تحرك بعض التّجار تحرّكات ذاتيّة من أجل الكسب الخاصّ، ذاك ما أمدّتنا به الوثائق والنّصوص التّي بين أيدينا، ولا أريد أن أعود إليها فقد جاءت واضحة داخل البحث.

3- العلاقة الفكريّة:

إن كانت العلاقة السّياسيّة والاقتصاديّة يحدّها المكان وقد يحدّها الزّمان فإنّ العلاقة الفكريّة تتجاوز حدود المكان والزّمان، وهذا ما أثبته البحث بالنّسبة إلى العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان من اللّحظة الأولى إلى يومنا

هذا وإن وقف بحثنا عند القرن الحادي عشر الهجري، السّابع عشر الميلادي.

فعلا قد وضّحت الدّارسة أنّ العلاقة العقديّة الفكريّة لم تنقطع عبر الزّمان رغم بعد المسافة بين الطّرفين، وقد بدت قويّة في مرحلة النّشأة حيث ظلّ أهل المشرق يرعون أهل المغرب رعاية تامّة، ويرجع أهل المغرب بالمشورة إلى أهل المشرق في الكبيرة والصّغيرة، ولا يطمئنّ لهم بال حتّى ترد الرّسل أو الأجوبة من هناك.

ثمّ تعود هذه العلاقة إلى قوّتها من أواخر القرن الثّالث عشر/ 20 لتيسّر سبل المراسلات نسبيّا، ولتوفّر أقطاب في العلم يطمئنّ بعضهم إلى بعض في تحليل الفتاوى المتعلّقة بمستجدّات الحضارة.[3]

وفي ما بينهما نلاحظ أنّ العلاقة تقوى في فترات استقرار الأوضاع، وتفتر عندما يسيطر الجور هنا وهنالك، ذلك أنّ الكلّ يسلك مسلك التّكتّم والسّريّة استعدادا للمرحلة اللاّحقة التّي تعقب الظّلم خاصّة في عمان حيث ظلّت الإمامات العادلة تثأر من الظّلم والظّالمين عبر الزّمان، وقد علمنا مدى استبشار المغاربة

---

[3] انظر ما سبق تقسيمنا لمراحل هذه العلاقة ص 9 .

بمثل هذه الإمامة حالما يبلغهم خبر قيامها، فيتقدّمون مهنّئين عن طريق المراسلة، أو عن طريق الرّحلة والاتّصال المباشر.

ولا ينبغي أن نغفل عن ذكر الثّغرات العديدة التّي لم تسمح بأن نزداد تعرّفا على عديد من خفايا هذه العلاقات.

ثمّ إلى جانب **اللّقاءات** كانت **المراسلات** تلعب دورا هامّا في توثيق الصّلة بين المشرق والمغرب، وهذه المراسلات التّي حفظ لنا منها التّاريخ القليل جاءت متعلّقة إمّا بقضايا هامّة أبرزها قضيّة الإمامة العادلة والتّوق إلى تحقيقها والحفاظ عليها عندما تقوم، وإمّا بقضايا شائكة كالفتن التّي تحدث هنا وهناك ولا يطمئنّ عادة كلّ طرف إلاّ بما يأتي من تحليلات من الطّرف الآخر، وإمّا بأحداث سارّة يطرب لها الكلّ فينطلقون مهنّئين وحامدين ربّ العالمين.

كانت هذه المراسلات تتمّ عن طريق **اللّقاء في موسم الحجّ** فهي في الحقيقة سنويّة، وإن لم يبق منها إلاّ القليل القليل، وموسم الحجّ أحسن فرصة للّقاء من أجل التّشاور، إذ لكلّ من الطّرفين مضارب يلتقون فيها في ما بينهم ومع غيرهم من حجّاج العالم الإسلامي، ولم يسجّل التّاريخ إلاّ أبرز اللّقاءات بين أعلام الطّرفين وما يدور فيها من محاورات عمليّة بنّاءة.

بقي أن نشير إلى ما عرفته هذه الاتّصالات من حرص كبير على **نشر الكتب** المؤلّفة هنا وهنالك، وقد لاحظنا أنّ المكتبات الإباضيّة مزدانة بالمخطوطات المشرقيّة والمغربيّة، وقد وصلت أحمال الكتب من وقت مبكّر من المشرق إلى المغرب، وقد رحلت كتب المغاربة إلى المشرق أيضا.

وللحفاظ على هذا التّراث تتكوّن من حين لآخر **بعثات طلاّبيّة** يكرع أفرادها من منابع العلم هنا وهناك في فترات ازدهاره في موطن دون الآخر.

تلك هي ملامح الصّلات بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان، **أخوّة صادقة ولقاءات** مباشرة في عمان أو في المغرب أو في الحج، و**مراسلات** مستمرّة تحمل في طيّاتها آمال الأمّة وآلامها، و**كتب** متبادلة على مرّ الزّمان تحمل عصارة أفكار فقهاء الأمّة، و**مدارس علميّة** يتعانق فيها هذا مع ذلك، وعمل دؤوب على السعي إلى نشر العدل والأمن والسّلام.

بقي الحديث عن **التّركيبة الاجتماعيّة** هنا وهناك فإنّه يتجاوز هدا البحث المتواضع وعسى أن يعالج في مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى.

الفهـــارس:

- فهرس الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن
- فهرس القبائل والأمم والطّوائف
- فهرس المصادر والمراجع
- الخرائط
- الملحق الأوّل
- الملحق الثّاني

الفهرس العام

فهرس الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة

الآيات القرآنيّة

(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)	(3 آل عمران 150).	64
(وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)	(18 الكهف 28).	217
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا)	(19 مريم 96)	237
(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)	(21 الأنبياء 73)	216

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ)	(28 القصص 41)	237
(فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)	(الفرقان 52)	237

الأحاديث النّبويّة

(إذا رأيتم أميرين فاضربوا عنق أحدهما)	117
(المُتَحَابُّون في اللهِ على منابر مسك في ظلِّ العرش يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ)	237
(من أحبَّ قوما فهو معهم يوم القيامة)	237

فهرس الأعلام (المذكورين في المتن)

إبراهيم المصري: 43
ابن إباض عبد الله : **33**،232
ابن أبي ستة أبو زيد: **240**
ابن أبي ستة أبو الرّبيع: **240**
ابن أبي مسور فصيل: **170**
ابن الأزرق: 217
ابن اليسع: 43
ابن الجمع: 159، **165**- 167، 200
ابن بركة: 159، 167، **168**، 201
ابن بطوطة: 207، 209، 210، 247
ابن حماد: 21
ابن حوقل: 27
ابن خلدون: 13
ابن خلفون: 160، 181، **182**، 188، 202
ابن دريسو: 214
ابن رستم أبو اليقظان: **150**
ابن رستم أفلح: 19، **101**، 102، 104، 107، 109، 140، 145، 146، 148، 149، 154، 155، 187، 202، 255
ابن رستم عبد الرّحمان : 47، 80، 82، 84، 85
ابن رستم عبد الوهّاب: 19، 80، 84، 85، 87- 90، 92، 93، 95، 97، 98، 101، 116، 126، 134، 138، 140- 142، 144- 146، 187، 255.

ابن الزبير عبد اللّه: 216
ابن زيد جابر: 19، 28، 34، 35، 37، 40، 46، 73، 102، 107، 126، 186، 187، 232.
ابن سجميمان: **177**
ابن عبّاد المصري: **88**،
ابن عبّاس: 186
أبن عبد القدّوس: **221**
ابن عبيدان: **244**
ابن عذاري: 21، 22.
ابن فندين: **86**، 97
ابن مغطير محمّد: 40، 43، 44، 46، 47، 73
ابن النّضر أحمد: **222**
ابن وصّاف: 193، **194**
ابن اليسع: **43**
أبو إسحاق إبراهيم المصري: 43
أبو بلال مرداس: 93، 132، 217
أبو الحرّ عليّ بن الحصين: **40**، 41
أبو الحسن البسيوي: **195**، 222
أبو حماد النفوسي: 146، 147
أبو خزر يغلا: 161، **162**، 163، 201
أبو الخطّاب عبد الأعلى: **51**، 93
أبو داود القبلّي: **50**
أبو الرّبيع بن أبي القاسم: **235**
أبو الرّبيع سليمان بن زرقون: 159، **166**، 200
أبو سعيد الخدري: 186
أبو سفيان قنبر: 41
أبو عبد الله محمّد بن بكر: **171**
أبو العباس أحمد بن بكر: **173**
أبو عبيدة مسلم: 19، 38، **39**، 43، 46، 54، 58، 59، 62، 63، 67، 68، 74، 77، 82، 91، 110، 116، 120، 186، 254

أبو حاتم الملزوزي: **79**
أبو عمّار عبد الكافي: **180**، 201
أبو غانم الخراساني: **90**، 187
أبو المؤثر الصلت: **249**
أبو مرداس مهاصر: **94**، 95
أبو مروان: 21
أبو المعروف شعيب: **87**
أبو منصور إلياس: 126
أبو نوح سعيد بن زنغيل: **163**
بحّاز إبراهيم: **17**، 154
البرّادي: 151، **192**، 207، 211، 215، 224، 247
جعفر بن السّمّاك: **41**
الجعبيري: 16
أبو هريرة: 186
أبو يزيد الخوارزمي: 84
أبو يزيد مخلّد: **161**، 167
الإدريسي: 12
الأزكوي سرحان: 225
إسماعيل بن درار الغدامسي: 51
إسماعيل بن زياد النّفوسي: 66
الاصطخري: 26
اطفيّش إبراهيم: 167، 168
إلياس بن حبيب: 54
أنس بن مالك: 186
بلعرب اليعربي: 208، 238، **239**، 243، 248
البهلولي عبد الله: **231**
الجلندى بن مسعود: **66**، 124

الحارث بن تليد الحضرمي: 55
الحتات بن كاتب: 40، **42**
الحبّاب بن كليب: 40، **42**
الحجّاج: 37، 40، 250
خلف بن السّمح: 140، 141
الخليل بن شاذان: **176**
الدّرجيني: 160، 188، **189**، 191، 192، 195، 167، 203
الرّاسبي عبد اللّه: 132، 216، 217،
الرّاشدي مبارك: 70
راشد بن النّضر اليحمدي: 149
راشد بن سعيد (الإمام): **176**
الرّبيع بن حبيب: **77**، 83، 86-89، 95، 110، 160، 165، 184، 185، 187، 201، 214، 222،
الرّستاقي خميس: **242**
الرّسول :: 33، 45، 117، 118، 121، 131، 135،
زياد الأعصم: 132
السابعي: 215
سالم بن الحطيئة: **218**
سالم بن ذكوان: 41
السّالمي: 6، 187، **209**، 239، 242، 247،
سدرات: 147
سعدون: 174،
سعيد بن عبد اللّه: 163،
سلام بن عمرو: 146
سلطان بن سيف: 242

السّلطان قابوس: 9
سلمة بن سعد: 40، **44**، 46، 47، 53، 73.
شبيب بن عطيّة: **219**، 221.
شعيب الكرماني: 133
سليمان بن أبي القاسم: 235
السمح بن عبد الأعلى: 93، 144
سيدة إسماعيل كاشف: **17**
الشمّاخي: 152، 178، 190، 214، 215
الشمّاخي إبراهيم: **235**
الصّدغياني عبد الله: **196**
الصّلت بن خميس: 249
الصّلت بن مالك: 103، **105**، 114، 128، 155، 156،
طالب الحقّ: 56، **57**، 125، 253،
عائشة: 186
عاصم السّدراتي: **50**، 80
عبادة بن الصامت: 186
عبد اللّه بن مسعود التجيبي الإباضي: **54**،
عبد الله بن طريف: 133
عبد الله الفزاري: **213**، 215
عبد الله الرحيلي: 163
عبد الله بن وهب الراسبي: 132، 216
عبد الجبّار المرادي: **56**
عبد الرّحمان بن حبيب: 54، 58، 66،
عبد الملك بن حميد: **104**،
عبد الملك بن مروان: 216
عثمان بن عفّان: 212، 218، 231

عزّان بن تميم: 149، 152
عليّ بن أبي طالب: 218
عمر بن الخطّاب: 117،
عمر بن سعيد الجربي: 208، 238، 241، 248
عمر بن عبد العزيز: 40
عمر بن مرزوق: **5**
عمروس: **91**، 102، 112، 113، 126، 127، 155، 214،
عيسى بن زكريّاء: 193، 196، 202، 222،
عيسى بن علقمة المصري: **43**
الغافري خلف: **243**
غسّان بن عبد اللّه: 96، **97**
لواب بن سلام: **14**، 15، 110، 111، 146- 148، 155،
محبوب بن الرّحيل: 102، 103، **109**، 113، 119، 147، 187، 202، 250،
محمّد بن أبي عفّان: 95، **96**
محمّد بن زكريّاء: 238
محمّد بن عبد الله الأغبري: 207، 227، **230**
محمّد بن عبد الله بن جمعة: 243
محمّد بن عبد الملك: 147
محمّد بن محبوب: 102، 112- 114، 121، 123، 126، 163
معاوية بن أبي سفيان: 212، 218،
المعزّ لدين اللّه الفاطمي: 163، 201
المغراوي صالح: **196**
مقرين البغطوري: **93**
المهنّا بن جيفر: **105**،

ناجية بن ناجيــة: 160، 188، **190**،	النّامي: **16**،
ناصــر بــن مرشــد: 208، **234**، 235، 242، 246،	نصر بن سجيمان: 176، 177
ناصر المرموري:114، **167**،	نفاث (فرج بن نصــر): **107**، 126،
الهيضم: 133،	
وائل بن أيوب: **142**	الوارجلاني أبو يعقــوب: 160، **181**، 184، 187، 197، 201، 202.
الوارث بن كعب: **96**	
الورجلاني أبو زكريــاء: **197**، 202	
ياقوت الحموي: 13	يخلف التميجاري **188**

أجدابية: 147،	إفريقيا: 17، 21،
أحقاف: 24،	إفريقيّة: 22، 47، 50،
أريغ: 200،	أوراس: 50،
الاسكندريّة: 21، 22، 23،	
البحرين: 24، 27، 152،	بغداد: 120، 151،
بدية: **6**.	بلاد الجريد: 22،
البصــرة: 9، 15، 16، 19، 20، 22، 28، 35، 36، 39، 40، 43، 46، 51، 59، 67، 69، 73، 77، 84، 90، 91، 98، 120، 152، 216، 250، 253، 255، 256.	بينونة: 24،
تافيلالت: 148	تمزدا: **88**
تاهرت: **11**، 13، 22، 74، 81، 89، 91– 93، 98، 155، 252، 254.	توزر: 166،
	تونس: 184،

الجبل الأخضر: 24
جبل نفوسة: 6، **11**- 13، 16، 22، 23، 40، 47، 68، 88، 147، 153، 175، 224، 227، 228،
جربة: 6، **11**- 13، 16، 23، 37، 153، 192، 195- 197، 200، 202، 222، 224، 227، 228، 232، 236، 240- 242، 252،
حضرموت: 15، 24، 36، 120،
خراسان: 15، 36، 68، 73، 142، 152، 253،
الدمام: 114،
دمر: 200،
جربيب: 25،
الجزائر: 23، 126، 153،
الجزيرة العربيّة: 23،
جيتوليا: 21.
الخليج: 10، 33،
خليج عمان: 24
دمشق: 73، 120،

الربع الخالي: 23، 24.
الزاب: 22،
زوارة: 23، 153، 200، 252،
سدراته: 50،
سلا: 22،
سمائل: 24،
الشّام: 218،
شروس: 13
صحار: 26، 27، 114
صفّين: 212، 215
طرابلس: 22، 51، 53، 54، 58، 68، 74، 120،
طنجة: 22.
العراق: 178
149، 152- 154، 160،
العطف: 126.
163، 176- 178، 183،
عُمَان: 6- 10، 12، 16- 18، 20، 21، 23- 28،
185، 193، 196، 205،
208- 211، 222- 224،
35، 36، 39، 46، 66،
230، 234، 235، 238،
67، 75، 95، 99، 102،
241، 243، 247، 248،
103، 111، 113، 116،
253، 256، 257، 259.
117، 120، 124، 147،
غدامس: 51،

فارس: 27

قسطيليّة: **11**، 200، 255

قطر: 24،

الكوفة: 15، 152،

مانو: 126، 152، 155

مدرار: 148

مسقط: 24

مسندم: 23

مصـــــر: 22، 43، 118، 121، 146- 148، 163، 253،

المغرب الأدنى: 53، 200

المغرب الأقصى: 211،

نزوى: 156

نفزاوة: 50

هرمز: 23

الفسطاط: 23، 146، 147،

القيروان: 13، 40، 46، 50، 54، 73، 254،

المغرب الأوسط: 22، 53، 74، 82، 252، 254

مكّـــة المكرّمـــة: 86، 111- 113، 152، 177، 178، 222- 224.

منى: 111، 147

مهرة: 27

موريطانيا: 21.

ميري: 147

النّهـــروان: 132، 214، 215، 231

النيل: 21

واحة البريمي: 25

وادي مـــــزاب: **11**، 126، 200

الـــيمن: 15، 46، 51، 56، 68، 73، 74، 120، 125، 253،

وارجـــلان: **11** ، 23 ، 153 ، 160 ، 180 ، 191 ، 200 ، 227 ، 229

فهرس القبائل والأمم والطّوائف

إباضية: مذكورة في كلّ الصّفحات تقريبا. أهل الاستقامة: 33، 38، 131، 132.	أمازيغ: بربر: 13، 14، 53، 251 الأمويّون: 125، 216
الثّعلبيّة: 132	
الجهميّة: 132	
الخوارج: 11، 13.	
أهل الدّعوة: 28، 33، 109، 130، 134، 136، 223، 247، 249	
الرّستاقيّة: 155	
الرّستميّة: 17- 19، 22، 74، 92، 97، 102، 141، 149، 154، 155، 187 241	
سدراته: 50	
الشّراة: **11**، 12، 58 الشّعبيّة: 133	الشّيعة: 155
الصّفريّة: 127، 132، 251	

الطّرفيّة: 133	
العبّاسيّون: 67، 68، 79، 108، 124، 151، 156، 251	العبيديّون: 149، 161، 162
الفرس: 47، 53، 251	
المجبرة: 133 المحكّمة: 132، 250 المرجئة: 127، 133، 219، 221، 222	بنو مصعب: 241 المعتزلة: 127، 133
النباهنة: **183**، 208 النزوانيّة: 155 نفوسة: 6، 11- 13، 16، 22، 23، 47، 68، 88، 89، 93، 95، 102، 112، 144، 147، 153، 155، 174، 200، 201، 224، 227، 228، 232، 236، 241، 252	النكّار: **12**، 85- 87، 124، 134، 138،
الوهبيّة: **12**، 134، 178	
اليعاربة: 234، 234، 246،	
يفرن: 236	

المصـــادر و المراجـــع

1- المدوّنـــة:

- رسالة الإمام أبي عبيدة إلى أهل المغرب في قضيّة الولاية والبراءة والوقوف من القتيلين:

نسخها الشّيخ سالم بن يعقوب (1408/ 1988) أثناء إقامته في البلاد المصريّة في دفتر رقم 2 دون أن يحيل على مصدره، وقد خرّج الأستاذ مبارك الرّاشدي (عماني معاصر) هذه الرّسالة في الملحق الأوّل من أطروحته: الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة و فقهه (45- 145/ 665- 762) . دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكلّيّة الشّريعة و أصول الدّين بتونس . مطبعة الوفاء المنصورة ط 1 1413/ 1993 (698 صفحة). ص 579-584.

- استفتاء الإمام أبي عبيدة في شأن الزّكاة:

خرّجها الرّاشدي في أطروحته سالفة الذّكر: من ص 513 إلى 531.

- سيرة محمّد بن محبوب بن الرحيل (3 محرم 260/ 29 أكتوبر 873) لأهل المغرب:

وهي مخطوطة تقع في ستّ وعشرين صفحة من الحجم المتوسّط مسطرتها 19.5/ 10.5 وبالصّفحة خمسة وعشرون سطرا بخطّ مشرقي واضح من ص 118 إلى ص 144 بنسخة الإمام غالب بالدّمام، وقد صوّرتها عن نسخة الشّيخ ناصر المرموري القراري.

- سيرة أهل المغرب إلى الإمام الصّلت بن مالك (237- 273/ 852- 887)

وجّهها بعض فقهاء المسلمين إلى الإمام الصّلت بن مالك و نرجّح مع واضع فهرست السّير العمانيّة ، أنّها من أهل المغرب : السّير و الجوابات لعلماء و أئمّة عمان . تحقيق سيّدة إسماعيل كاشف. نشر وزارة التّراث بسلطنة عمان. ط 2 دار جريدة عمان للصّحافة والنّشر. 1410/ 1989. 1/ 181 - 228 (47 صفحة). ولم تقم المحقّقة بتحليل الرّسالة بل اكتفت بنقل النصّ. وقد اعتمدنا أيضا النّسخة المخطوطة من السّير العمانيّة وتقع السّيرة من ص 380 إلى 403.

- **رسالة أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني وجماعة المسلمين إلى أهل المغرب:**

ضمن كتاب ابن سلاّم: بدء الإسلام: ص 135- 141.

- **قصيدة محمّد بن عبد الله الأغبري العماني إلى أهل المغرب: في 84 بيتا.**

نسخ المنظومة الشّيخ سالم بن يعقوب من خطّ الشّيخ قاسم بن يحيى الويراني اللاّجيمي الجربي رحمه الله في جمادى الأولى 1354 / 1935 بمصر ، دفتر 1: 32- 34 بمكتبته، بغزين جربة و في النّسخة بعض الاضطراب لم يمكن تخريج المنظومة على الوجه المطلوب .

- **مخمّس عبد الله بن عمر العماني إلى أهل المغرب: في 272 بيتا**

يقع هذا المخمّس في 22 صفحة وقد صوّره لنا مشكورا الأستاذ سليمان البكّاي من قرية يسجن بوادي ميزاب، وهو بخطّ مغربي واضح جملة ونسخه لنفسه وبنفسه الحاج بن بحمان بن محمّد في نيف وعشرين من ذي القعدة 1180/ أفريل 1767.

وفي المخطوطة كثير من الاضطراب لا يمكّن من تخريج المخمّس على الوجه المطلوب.

- **تهنئة أهل المغرب بنصب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (1024 ـ1050/1616 ـ1641)**

الرّسالة المخطوطة نسخها الشّيخ سالم بن يعقوب بمصر، دفتر رقم 2 ص 84- 88 من الحجم الكبير. انظر الملحق الأوّل من هذا البحث .

- **نصيحة عمر بن سعيد الجربيّ للإمام بلعرب بن سلطان (1091- 1104/1681- 1693) للاعتناء بالتّعليم:**

وقد نقل السّالمي هذه النّصيحة في تحفة الأعيان، 2/ 79- 82. انظر الملحق الثّاني لهذا البحث .

2- السّير والطّبقات الإباضيّة

ـ ابن سلاّم الإباضي (لوّاب) (273- 887) :

* بدء الإسلام وشرائع الدّين. تحقيق قيرز شفارتس والشّيخ سالم بن يعقوب. ط. دار صادر ببيروت 1406/ 1986. 200 ص.

ـ ابن الصّغير المالكي (3/ 9):

* تاريخ الدّولة الرّستميّة بتاهرت. إعادة الطّبعة الّتي ظهرت ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرّابع عشر المنعقد بالجزائر 1905. منشورات الجامعة التّونسيّة. كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بتونس 1976. ص 50 .

كما اعتمدنا الطّبعة الّتي حقّقها د. محمّد ناصر و د. إبراهيم بحّاز. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1986/1406 . 160 ص . و إن كان ابن الصّغير على الأرجح شيعيّا فقد حشرنا كتابه مع المصادر الإباضيّة لما له من أهميّة بالنّسبة إلى أخبار الدّولة الرّستميّة .

ـ الوارجلاني (أبو زكريّاء) (ق 5 و6/ 11 و12) .

* كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة. تحقيق عبد الرّحمان أيّوب. الدّار التّونسيّة للنّشر- تونس 1985 .

ـ الوسياني (أبو الرّبيع سليمان) (ق 6/ 12) :

* سير الوسياني. خ، مصوّرة بالبارنيّة. نسخت في1067/ 1656 بها 141 ص بكلّ منها 35 سطرا , 17,5/ 12,5 صم .

ـ الدّرجيني (أحمد بن سعيد) (1271/670) :

* طبقات المشائخ بالمغرب. حقّقه وقام بطبعه إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث. قسنطينة، الجزائر. ج 1 : 208 ص، ج 2 : 544 ص .

ـ البرّادي (أبو القاسم) (9/ 15) :

* رسالة تآليف أصحابنا. ملحق بكتاب الموجز لأبي عمّار عبد الكافي. تحقيق عمّار الطّالبي. الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع. الجزائر 1398/ 1978.

* كتاب الجواهر المنقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات (الدّرجيني). ط. حجريّة : القاهرة 1302/ 1885.

ـ **الشّمّاخي** (أبو العبّاس أحمد) (928/ 1522) :

* كتاب السّير. ط 1 حجريّة. القاهرة 1301. ط 2 عمان، نشر وزارة التّراث العماني جزآن. بدون تحقيق. ط 3 تحقيق محمّد حسن. قسم علماء المغرب نشر كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة تونس .

ـ **علماء وأئمّة عُمان :**

* السّير والجوابات لعلماء وأئمّة عمان. تحقيق وشرح سيدة إسماعيل كاشف. مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة نشر وزارة التّراث القومي والثّقافة عُمان. ج 429/1 ص. ج 512/2 ص.

ـ **القلهاتي** (محمّد بن سعيد الأزدي) (11/ 17) :

* الكشف والبيان، تحقيق وشرح الأستاذة الدّكتورة سيّدة إسماعيل كاشف 1400/ 1980، سلطنة عمان، ط بمطابع سجل

العرب، القاهرة، ج 2 : 556 ص (انظر حوليّات الجامعة التّونسيّة) .

ـ **مصنّف مجهول :**

* كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة تحقيق ودراسة وتعليق أحمد عبديلي. رسالة ماجستير في الدّراسات الإسلاميّة نوقشت بالمعهد العالي للدّراسات الإسلاميّة التّابع لجمعيّة المقاصد الخيريّة في بيروت في 11 محرّم 1405/ 6 تشرين الثّاني 1984 دلمون للنّشر نيقوسيا. قبرص 1045/ 1985. 447 صفحة. ص 263 و293 ضمن (سلسلة الجزيرة العربيّة 1). الرّاجح أنّ الكتاب ألّف قبل القرن 8/ 14.

ـ **السّالمي** (نور الدّين عبد اللّه بن حميد) (1332/ 1914) :

* تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. نسخة مصوّرة عن الطّبعة الأولى الّتي حقّقها أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش. نشر مكتبة الاستقامة د. ت مجلّد في جزأين. 1/ 404. ج 2/ 1. 324/ 162.

3- أهمّ المراجع

ـ **ابن جميع** (أبو حفص عمر) (8/ 14) :

* مقدّمة التّوحيد وشروحها لأحمد الشّمّاخي وداود التّلاتي، صحّحها وعلّق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش. ط 1 القاهرة 1353 هـ، 120 ص. إعادة طبعه 2 خليفة الشّيباني بطرح تحقيق إبراهيم اطفيّش، ط 2. دار الفتح لبنان 1392/ 1973. وإحالاتنا جاءت غالبا على ط 2.

ـ **ابن خلدون** (عبد الرّحمان) (808/ 1406) .

*المقدّمة وكتاب العبر، ط. بيروت 1967 .

ـ **ابن خلفون** (أبو يعقوب يوسف) (6/ 12) :

* أجوبة ابن خلفون. تحقيق وتعليق عمرو خليفة النّامي. دار الفتح بيروت 1394/ 1974. 128 ص .

ـ **ابن رزيق** (حميد بن محمّد) (1274/ 1857)

* الفتح المبين في سيرة السّادة البوسعيديين. تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمّد موسى عبد اللّه. مطابع سجلّ العرب القاهرة. نشر وزارة التّراث العماني 1379/ 1977 (614 ص) .

ـ **ابن يعقوب** (سالم) (1903- 1991) :

* كرّاسات عديدة في أخبار الإباضيّة وعقيدتهم. خ بمكتبته. غيزن. جربة. مع محاورات عديدة للتحرّي في أصول الإباضيّة.

ـ **ابن يوسف** (سليمان بن داود) **(معاصر)** :

* الخوارج هم أنصار الإمام عليّ كرّم اللّه وجهه. الطّبعة الأولى 1403/ 983. دار البعث للطّباعة والنّشر، قسنطينة، الجزائر. 234 ص.

* ثورة أبي يزيد، جهاد لإعلاء كلمة اللّه. دار البعث للطّباعة والنّشر قسنطينة، الجزائر ط 1. 1981/1402. 105ص .

ـ **أبو عمّار عبد الكافي (قبل 570/ 1174) :**

* شرح كتاب الجهالات. خ بالبارونيّة جربة. 178 ص بكلّ صفحة 25 سطرا (16،5/ 12،5 صم) نسخ يحي القنّاص اليفرني : (1123/ 1808) . حقّقه عامر ونيس دكتوراه مرحلة ثالثة بالكليّة الزّيتونيّة. 1980. مرقون .

* كتاب الموجز في الكلام، حقّقه. د عمّار الطّالبي بعنوان: " آراء الخوارج الكلاميّة " (انظر عمّار الطّالبي). يبدأ من ص 255 بالجزء الأوّل، وينتهي في آخر الجزء الثّاني ص 308.

ـ أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السّوفي (6/ 12):

* كتاب السّؤالات. خطّ مغربي واضح : العناوين الهامّة باللّون الأحمر 277 ص. 17/ 10،5 صم. عدد السّطور بالصّفحة : 24، تمّ على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء اللّه بعده : عبد اللّه بن سليمان بن يحيى بن عيسى النّفوسي، وقع الفراغ منه يوم السّابع من شوّال سنة 1184/ 1770 وهو بمجلّد مع رسائل وكتب أخرى، مصوّر عندي من مكتبة الهادي بوشذّاخ. فاتو. جربة .

* رسالة مختصرة في فرق الإباضيّة ط. في الجزائر ضمن مجموع د. ت ص 53- 70 .

ـ أبو القاسم (عمرو مسعود) (معاصر) :

* الرّبيع بن حبيب محدّثا. رسالة ماجستير قدّمت بجامعة الفتح بكلّيّة التّربية قسم اللّغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة سنة 1983. المطبعة العربيّة بغرداية. نشر جمعيّة التّراث .

ـ أبو اليقظان (محمّد بن أفلح الرّستمي) (281/ 849) :

* رسالة في خلق القرآن، ط. حجريّة ضمن كتاب البرّادي: الجواهر المنتقاة. من ص 182- 202 .

ـ الأزكوي (سرحان بن سعيد) (12/ 18) :

* تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة، حقّقه عبد المجيد حسيب القيسي، تحقيق أوّلي بسيط، عرض في التّقديم لجميع الأبواب، والقسم المطبوع وهو قسم من أبواب الكتاب 4- 33- 37- 38، مع إضافة فصل لمؤرّخ مجهول عن البوسعيديين ومنها السّلطان قابوس. 164ص، عمان، مطابع سجلّ العرب، د. م. ن 1980- نشر وزارة التّراث القومي بعمان وهذا القسم ترجم إلى الأنجليزيّة .

* E. G. Ross. Annal of Oman old days until 1728 . J. G.

* أخبار عمان من أقدم العصور حتّى عام 1728 م. الجمعيّة الاسبيريّة بالبنغال 1974 م. وقد حققّته الباحثة الألمانيّة هيدوج كالاين سنة 1938.

* الفصل الرّابع من كتاب كشف الغمّة وجعله رسالة للدّكتوراه. «ونسبته إلى الأزكوى فيها نظر» ؟

* الباب التّاسع والعشرون من كتاب كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة. في اعتقاد الفرقة الوهبيّة الإباضيّة من ص 16 إلى 22 ملحق بأطروحة كوبرلي نجد محاولة تحقيق 24 × 14 صم بالهوامش. 28 ص.

ـ باجيّـــة (صالح) (معاصر) :

* الإباضيّة بالجريد في العصور الإسلاميّة الأولى، شهادة كفاءة في البحث العلمي بالكلّيّة الزيتونيّة للشّريعة وأصول الدّين ط 1. دار بوسلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس 1396/ 1976، 283 ص .

ـ الباروني (سليمان بن عبد اللّه) (1395/ 1940) :

* كتاب الأزهار الرّياضيّة في أئمّة الملوك الإباضيّة. البارونيّة. القاهرة د. ت. ج 2 : 311 ص ولم يطبع ج 1. **الباروني** (أبو الرّبيع سليمان) (معاصر) :

* مختصر تاريخ الإباضيّة، طبع بالمطابع العالميّة سلطنة عمان، الطّبعة الثّالثة، 79، ص. د. ت.

ـ الباروني (عبد اللّه بن يحيى النّفوسي) (1331/ 1913)

* رسالة سلّم العامّة والمبتدئين إلى معرفة أئمّة الدّين ألّفها 1290/ 1873 محلاّة ببعض كلمات كالحاشية ولا تخلو من

فائدة. حرّرها ابن المؤلّف رحمه اللّه سليمان باشا الباروني د. ت. 56 ص .

ـ الباروني (محمّد بن زكريّاء) (997/ 1589) :

* نسبة الدّين. ط. حجريّة 1301 هـ ملحق بسير الشّمّاخي. ص 578.

ـ بحّاز (إبراهيم باكير) (معاصر) :

* الدّولة الرّستميّة (160- 196/ 777- 909). دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة. ط 1 مطبعة لافوميك الجزائر 1985 .

ـ الجّعبيري (فرحات) :

* نظام العزّابة عند الإباضيّة الوهبيّة في جربة. نشر المعهد القومي للآثار بتونس. ط. العصريّة 1975. 387 ص

* البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة. نشر جامعة السّلطان قابوس مطبعة الألوان الحديثة. عمان 1408/ 1987. 924 ص

* عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة وتسمياتها وألقابها من خلال كتاب الملل والنّحل للشّهرستاني. الجويني للنّشر. تونس 2000.

ـ **حسن حسني عبد الوهّاب** (1968) :

* خلاصة تاريخ تونس. الدّار التّونسيّة للنّشر، المطبعة الرّسميّة التّونسيّة 1968. 246 ص .

ـ **د. خليفات** (عوض) (معاصر) :

* نشأة الحركة الإباضيّة. نشر بتعضيد من اتّحاد المؤرّخين العرب 1978. مطابع دار الشّعب. عثمان. الأردن. 226 ص.

ـ **الرّاشدي** (مبارك) (معاصر) :

* الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه (45- 145/ 665- 762). دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكلّيّة الشّريعة وأصول الدّين بتونس. مطبعة الوفاء المنصورة ط 1 1413/ 1993 (698 صفحة).

* نشأة التّدوين للفقه واستمراره عبر العصور. محاضرة ألقيت بندوة الفقه الإسلامي بجامعة السّلطان قابوس 22- 26 شعبان 1408/ 9- 13 أبريل 1988 ص 101- 254

ـ **الرّبيع بن حبيب** (حوالي 170/ 786) :

* الجامع الصّحيح مسند الإمام الرّبيع بن حبيب، حقّقه أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش على ترتيب الشّيخ أبي يعقوب يوسف بن

إبراهيم الوارجلاني. ط 2 القاهرة 1349 هـ. المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، مجلّد واحد يحتوي على 4 أجزاء ج 1 : 80 ص، ج 2 : 78، ج 3 : 34 ص، ج 4 : 40 ص .

ـ **السّيابي** (سالم بن حمّود) (1326 ـ 1415 / 1908 ـ 1999)

* أصدق المناهج في تمييز الإباضيّة من الخوارج. تحقيق وشرح الأستاذة د. سيّدة إسماعيل كاشف أستاذة التّاريخ الإسلاميّ. كلّيّة البنات جامعة عين شمس القاهرة. مطابع سجلّ العرب 1979 وهو القسم الأوّل 1- 64 من كتاب يضمّ قسمين آخرين القسم الثّاني : كتاب وهب السّما في أحكام الدّما 65- 106. منظومة. القسم الثّالث : 107- 120. قصيدة ميميّة في القسامة .

* إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشّعثاء. نفس المحقّقة السّابقة. ن. الطّبعة 1979. 124 صفحة .

* طلقات المعهد الرّياضي في حلقات المذهب الإباضي مطابع سجلّ العرب 1400/ 1980. نثر 160 صفحة قسم 1 تراجم : قسم 2 : عقيدة .

* الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضيّة باليمن والحجاز ط. سجلّ العرب 1400/ 1980. 154 صفحة نثر .

* عمان عبر التّاريخ 4 أجزاء. مطابع سجلّ العرب 1406/ 1986. تتبع فيه كامل تاريخ عمان من الجاهليّة إلى اليوم وله مؤلّفات أخرى لم نطّلع عليها مثل " أصفة الحياض في مذهب ابن إباض ".

ـ **الشهرستاني** (548/ 1154) :

* الملل والنّحل : تحقيق أمير عليّ مهنّا وعليّ حسن فاغور. دار المعرفة بيروت 1415/ 1995.

ـ **الطّالبي** (عمّار) (معاصر) :

* آراء الخوارج الكلاميّة، تحقيق كتاب الموجز لأبي عمّار عبد الكافي. نشر الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع. الجزائر. 1398/ 1978. مطابع الشّروق. بيروت. القاهرة. ج 1 : 436 ص ج 2: 308 ص .

ـ **عبد النّاظر** (محسن) (معاصر) :

* مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلاميّة. دار العربيّة للكتاب. 1983. 578 ص .

ـ **عدّون جهلان** (معاصر) :

* الفكر السّياسي عند الإباضيّة من خلال الشيّخ امحمّد بن يوسف اطفيّش 1236- 1332/ 1818- 1914. جمعيّة التّراث. القرارة الجزائر.

ـ **غبّاش** (حسين عبيد) (معاصر) :

* عمان الدّيمقراطيّة الإسلاميّة. تقاليد الإمامة والتّاريخ السّياسي الحديث (1500- 1970) ط. دار الجديد 1977 . 414 ص .

ـ **فوزي** (فاروق عمر) (معاصر) :

* الإمامة الإباضيّة في عمان : دراسة تاريخيّة لأحوال عُمان في ظلّ الأئمّة الإباضيّة في الحقبة من منتصف القرن الثّاني هجري/ الثّامن الميلادي، حتّى منتصف القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر ميلادي. المفرق الأردن، نشر جامعة آل البيت 1417/ 1997 .

* طبيعة الإمامة لدى الخوارج الإباضيّة في عمان. آفاق عربيّة السّنة الرّابعة كانون الأوّل 1978. ص 1- 7.

Ennami A. K.

Studies in Ibadism. Accompanied by a critical Edition of :

1) Section II, part 1 of K. Qawa'id al-Islam of Ismail b. Musa al-Jitali.

2) K. Usul al-Din of Tabghurin b. Dawud. al-Malshuti.

3) Ajwibat Ibn Khalfun by Abu ya'qub yusuf b Khalfun. A thesis submitted to the University of Cambridge for the degree of Doctor of Philosophy. F. William College, Cambridge May, 1971, 430 p.

Gouja Mohamed

Kitab As-Syar d'Abur-Rabi' Sulayman al wisyani. (6/12). Etude, et traduction, fragmentaire. Dr. 3e cycle Université de Paris. I. Panthéon Sorbonne 1984. (Juillet) 285 p + sup : rasaîl. AL Wsiyani 51 p. Polycopié.

Grossman C.

Aperçu sur l'histoire religieuse de Mzab en Algérie (Sirat al-halqa d'Abu Abd Allah Muhammad ibn Bakr al-Nufusi dans la version d'al- Barredi) thèse, 3e Cycle Paris, 1976, 81 p. polycopié.

Laoust H.

Les Schismes dans l'Islam, Paris, Payot, 1965.

3- المراجع الأجنبيّة

Brunschvig R.

- La Berbérie Orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XVes. Librairie d'Amérique et d'Orient Maisonneuve, 1947. Publications de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger.

Cuperley Pierre

- Aperçus sur l'histoire de l'Ibadisme du Mzab (al-Risala al- Safiya Fi ba'd Tawarikh ahl Wadi Mzab de M'hammad Atfayyas) Dactylo 1973. 154 pages.

- Professions de foi ibadites : contribution à l'étude de l'ibadisme et de sa théologie. Doctorat d'Etat. Université de Paris – IV – Sorbonne. Lettres et Civilisation. Paris 1982 tome II 655 p Tome III 208 p + 74 p. textes arabes.

Dachraroui Farhat.

Le Califat Fatimide du Maghreb 296 – 362/ 909 – 973. Histoire politique et institutions. Thèse de Doctorat d'Etat présente à la Sorbonne le 25 Mai 1970. S. T. D. Tunis 1981. 579 pages.

Dangel G.

L'Imamat Ibadite de Tahert (761–909), contribution à l'histoire de l'Afrique du Nord durant le haut Moyen Age, Thèse 3e cycle Strasbourg 1977.

Pellat ch.
Le milieu basrien et la formation de Gahiz, Paris Maisonneuve, 1953. Ch.IV le milieu politico-religieux. Le Harigisme à Basra, p. 206 – 216.

Stablot R.
Les Djerbiens, Une Communauté arabo-berbère dans une île de l'Afrique française S. D. 164 p.

Talbi M.
L'Emirat Aghlabide, Paris, Adrien Maisonneuve, 1966.

Tlatli S. E.
Djerba et les Djerbiens. imp. Juin 1942, 213 pages.

Yahyaten Sassi.
Les Ibadites au Sud Tunisien du 3^{e}s/ 9 au 6^{e}s/ 12, mémoire dirigé par Jean Devisse. Université de Paris I Panthéon-Sorbonne 1982. 1983 Polycopié, 48 pages.

- النّشريات الأجنبيّة

Békri (Cheikh)
Le Kahrijisme berbère, quelque aspects du royaume Rustumide, dans A. I. E. O. 15, (1957), 55-108/

Ennami A. K.
A description of new Ibadi manuscripts from North Africa, Journal of Semitic Studies, 1970, I, 63-87.

Lewiski T.
- Une chronique ibadite, "Kitab as-Siyar » d'Abu Abbas Ahmad ash Shammakhi dans R. E. I., 8, (1934), 59-78.
- La répartition géographique des groupements ibadites de l'Afrique du Nord au Moyen Age, R. O., 21 (1957) 301-343.
-- Les Ibadites dans l'Arabie du Sud au Moyen Age. F. O. Krakow 1959. Fascicule I : 1-17.
- Les historiens, biographes et traditionnistes ibadites wahbites de l'Afrique du Nord du 8 au 16s. Extrait des folio orientalia, Vol. 3, 1961, Krakow, 1962, 134 p.
- The Ibadites in Arabia and Africa, Journal of World History, 13, (1971 51- 130)
- Les subdivisions de l'ibadiyya, dans S. I., 9 (1958), 71-82.

Motylinski.
Bibliographie du Mzab. Dans Bulletin de correspondance Africaine, Alger, (1885), 15-72.
L'Aqida des Abadhites, dans « Recueil de mémoires et de Textes » publié en l'honneur du 114e Congrès des Orientalistes, Alger, 1905, 504- 545.

Schacht J.
Bibliothèques et manuscrits abadites, dans Revue Africaine, Alger, 100, (1956) 375-398.

Le Tourneau R.
« La chronique d'Abu Zakariyya al Wargalani », dans Revue Africaine t C V (1960), 99-176. et 322-386, et t. C VI (1961), 117-176 et 323-374.

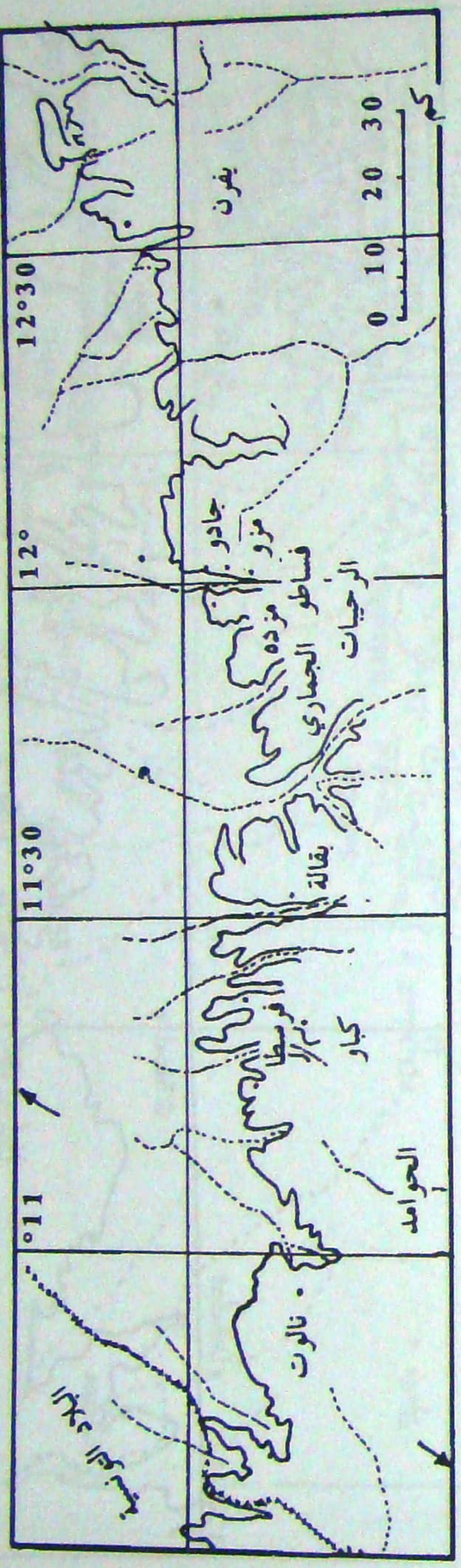

خريطة جبل نفوسة

تحديد موقع جبل المدن والقرى التي ذكرت في البحث. مأخوذة عن جاز ديبوا : جبل نفوسة . اللوحات عدد 18 و19 و20.
انظر اخر الكتاب . (وهو دراسة بالفرنسية طبعت سنة 1935).

Cf. Despois. J.; Le Djebel Nefousa. Larose - Editeurs
1935
Planches 18, 19, 20 à la fin du livre.

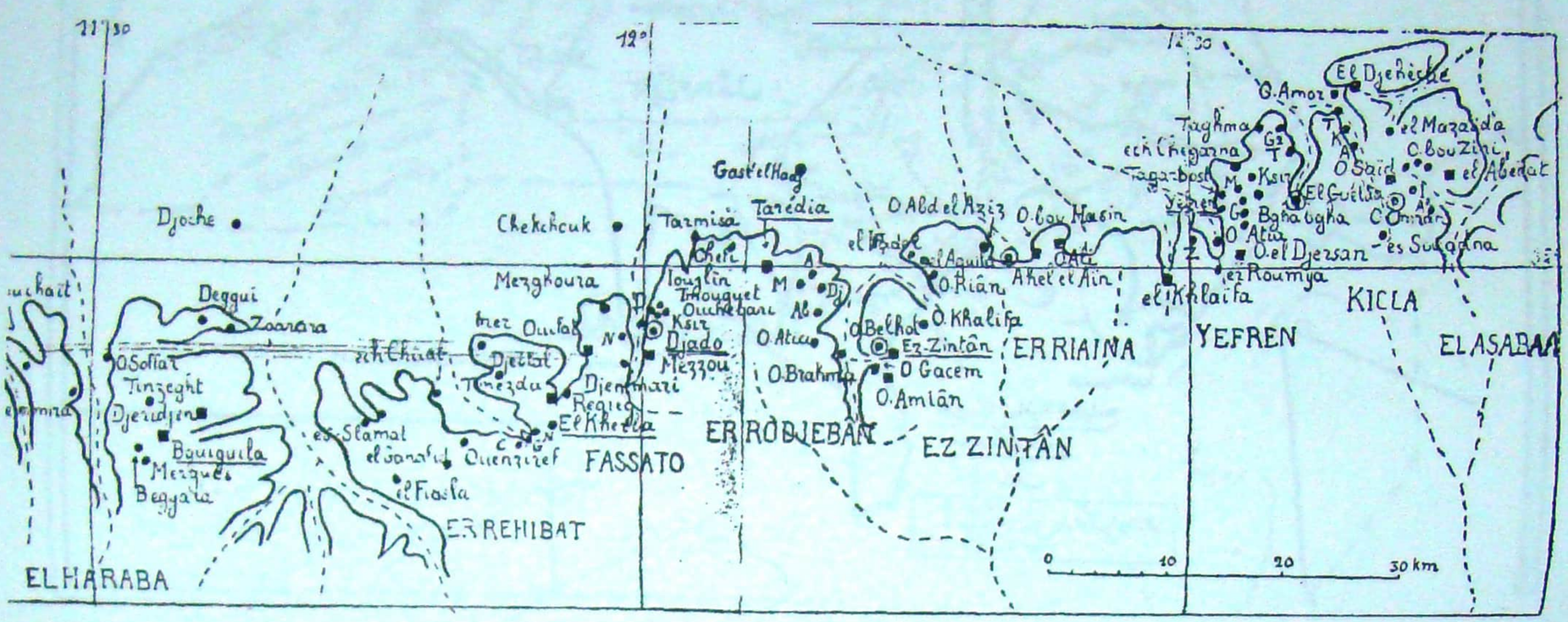
11°30
12°
12°30
Djoche
Chekchouk
Tarmisa
Tarédia
Gast el Haag
Deggui
Zoarara
Mezghoura
Ouifat
Djettal
Tinezdu
Djemmari
Regieg
El Kherba
Djado
Mezzou
Ksir
Tinzeght
Djeridjen
Bguiguila
Merques
Beggara
es Slamat
el Ganafid
Ouenziref
el Fiasla
ER REHIBAT
FASSATO
ER RODJEBAN
EZ ZINTÂN
ER RIAINA
YEFREN
KICLA
EL ASABAA
O. Amor
El Djehèche
Taghma
ech Chegarna
Tagarbost
Ksir
El Guetta
Bghabgha
O. Atia
O. el Djersan
ez Roumya
el Khlaifa
el Mazasda
O. bou Zini
O. Saïd
el Abedat
es Souadna
O. Abd el Aziz
O. bou Masin
el Aguila
O. Riân
Ahel el Aïn
O. Khalifa
O. Belhot
Ez-Zintân
O. Gacem
O. Amtân
O. Atica
O. Brahma
Tarmouquet
Ouchebari
Ioujlin
el Hadel
ech Chiat
O. Soffar
EL HARABA
0
10
20
30 km

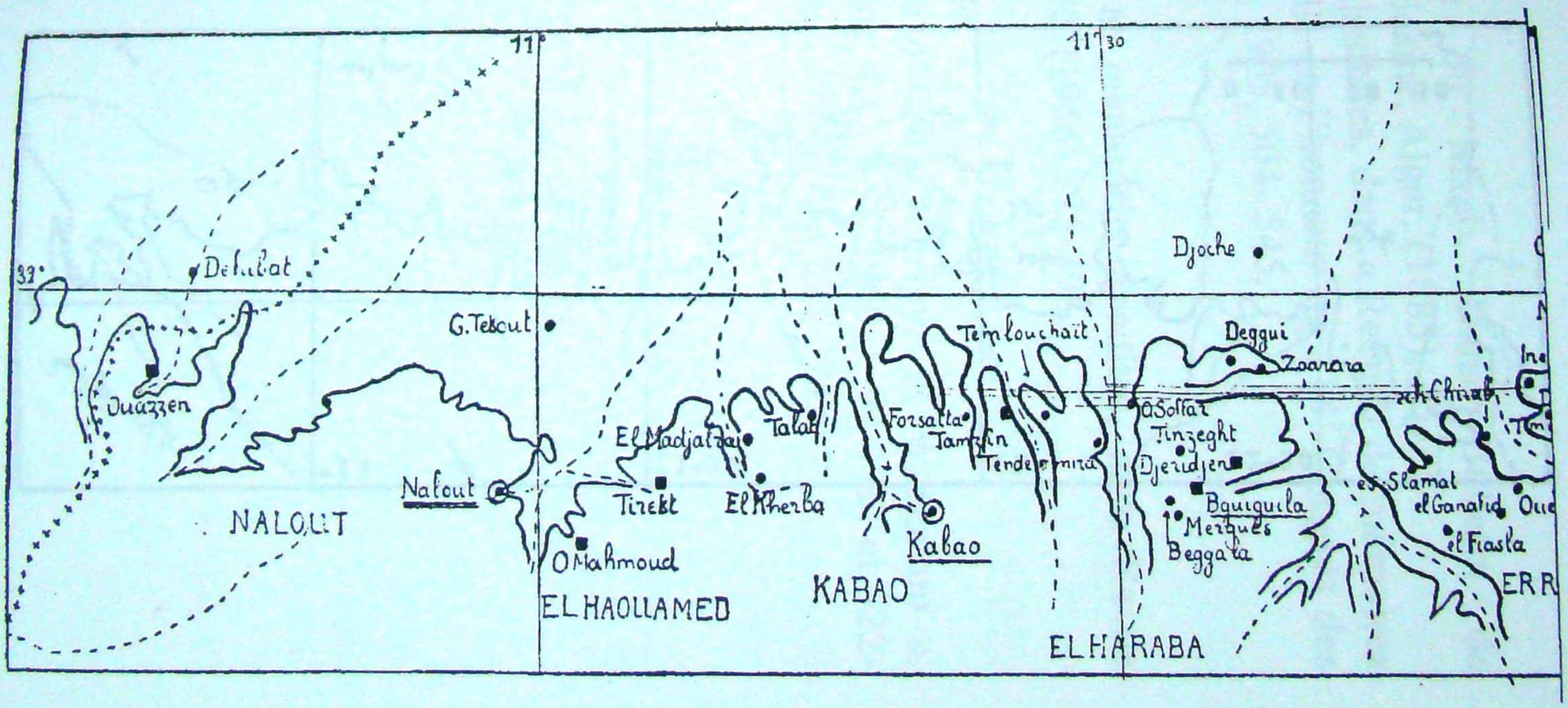
11°
11°30
32°
Djoche
Deggui
Zoarara
ech Chiat
O. Soffar
Tinzeght
Djeridjen
Bguiguila
Merques
Beggara
es Slamat
el Ganafid
el Fiasla
ER R
Temlouchaït
Forsatta
Tamzin
Tendemmira
Kabao
KABAO
El Madjalraï
Talab
El Kherba
Tirekt
O. Mahmoud
EL HAOUAMED
Nalout
NALOUT
Ouazzen
G. Tekout
EL HARABA

الدولة المستقلة بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري ومنها تتضح حدود الدولة الرستمية

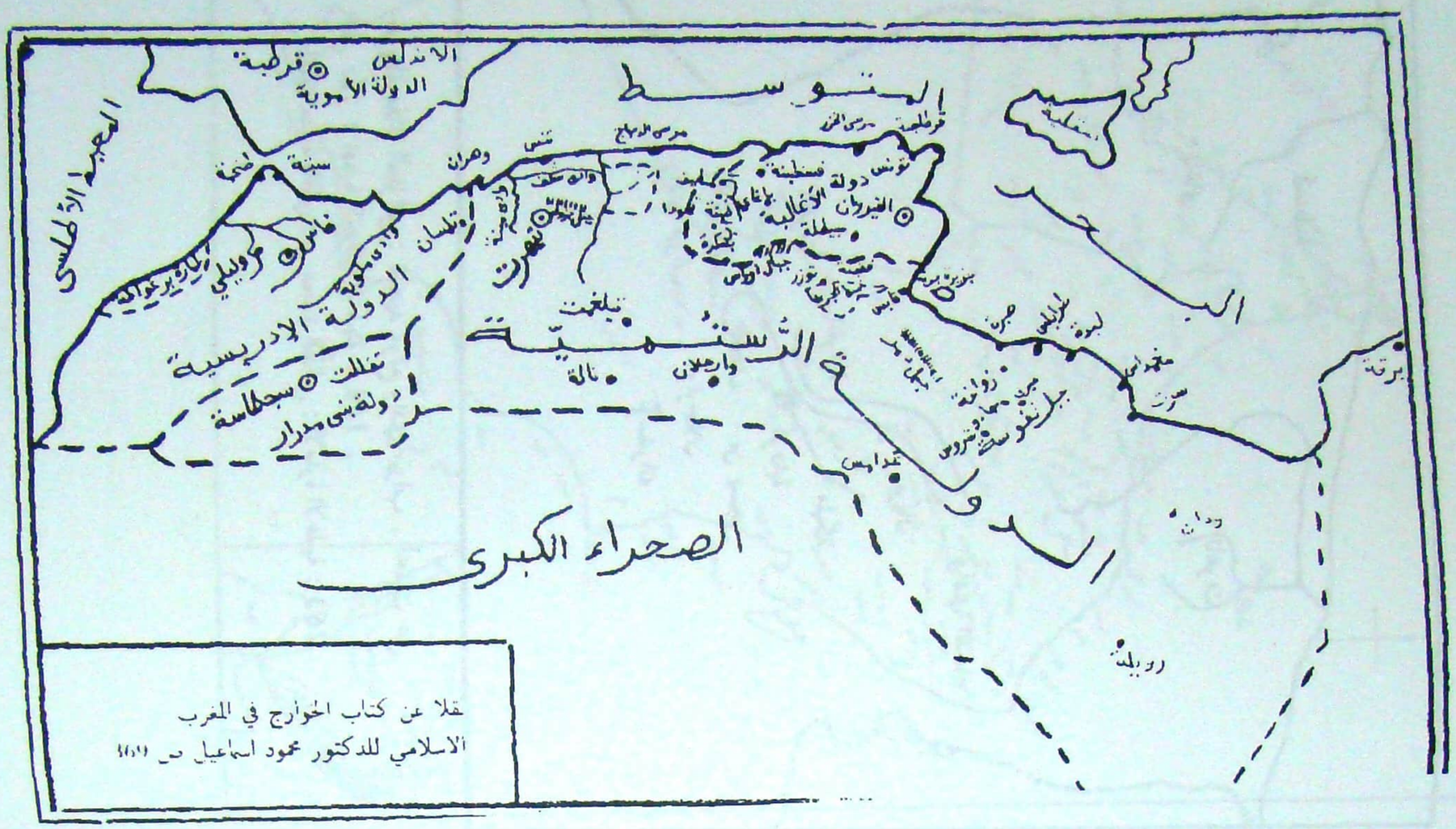

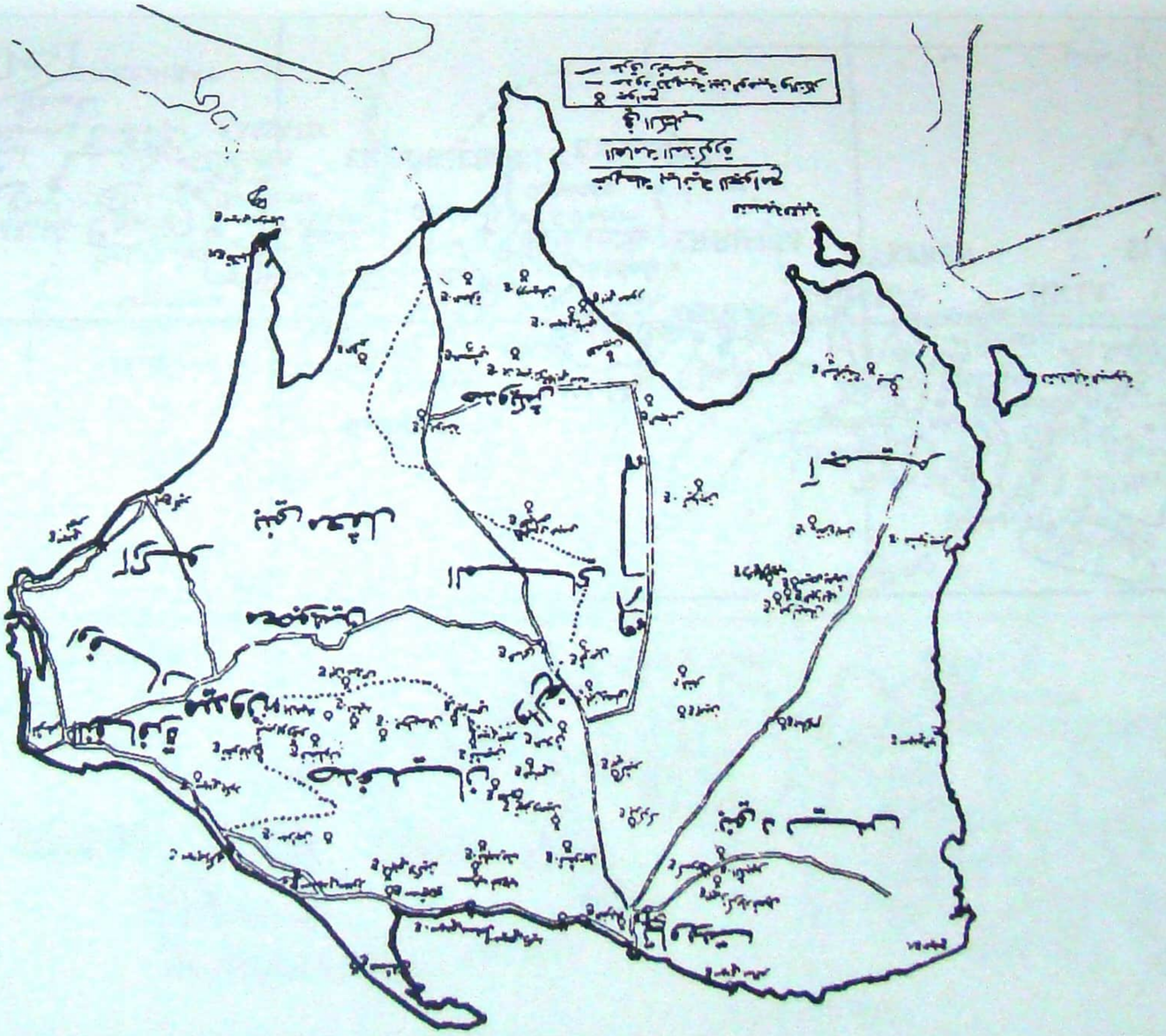

خريطة بلاد الجزائر : تحديد موقع وادي ميزاب . أخذت عن
علي دبّوز : نهضة الجزائر الحديثة : 148 .
أضفنا مدينة باغاي . ر. محمد الطّالبي : الامارة الاغلبية : 263

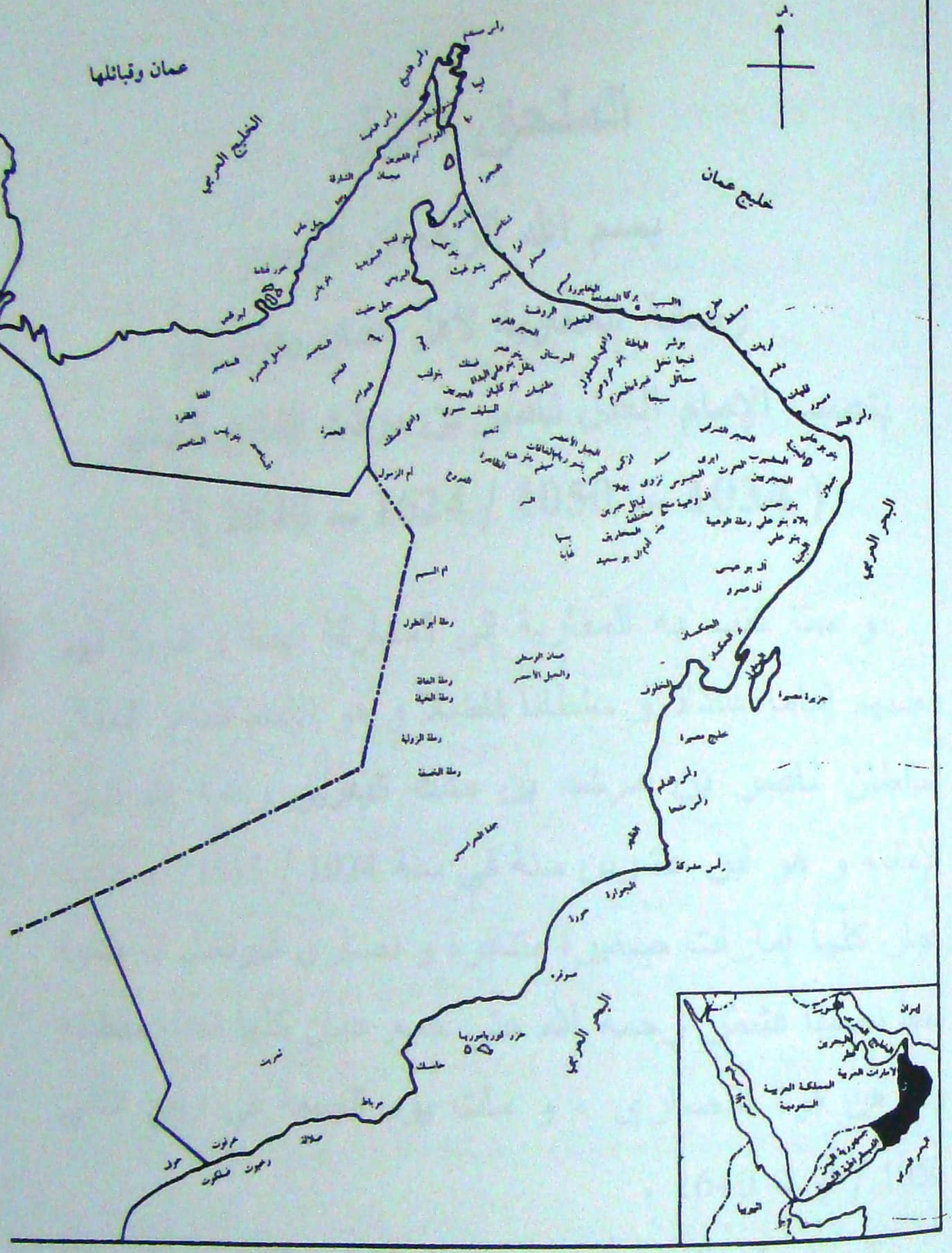

الملحق الأوّل

بسم الله الرّحمان الرّحيم

رسالة المغاربة لأهل عمان يهنّئونهم

بنصب الإمام العدل ناصر بن مرشد الفاتح العظيم

(1034 – 1050 / 1624 – 1640)[1]

و ممّا كتب به المغاربة إلى المشارقة تهنئة و تبريكا لهم بنصبهم إماما عادلا و سلطانا فاضلا و هو الإمام الماهر العادل السّلطان **ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي** رحمه الله تولّى الإمامة و هو ابن عشرين سنة في سنة 1024 / 1615 . و كانت عمان كلّها إمارات صغيرة متنافرة و نصارى البرتغال قد ملكوا منها نصيبا فشمّر رحمه الله حتّى جمع عمان كلّها تحت سلطانه و أوهن قوّة النّصارى ، و مات يوم الجمعة في ربيع الثّاني 1050 / أوت 1640 .

الحمد لله الذّي أوضح سبيلا لخيار خلقه و أهل حبّه و وداده ، و شرّفهم بخدمته و بالتزام وظائف طاعته ، و أطلع

---

[1] الإمام ناصر بن مرشد . انظر ص 234 تعليق 1 من البحث .

لهم ثمر الإمارة فدام عزّهم إلى يوم لقائه ، و أضحك ثغور البقاع الهامدات بولاية الأبرار من خلفائه ، و جعلهم سيوفا قواطع للأشرار و الظّلمة و أعوان الشّيطان ، و أنوارا سواطع يقتدى بهم بالحجج لجج البواهر كذا في كتابه ، و أفاض عليهم من سجاليل الطّاقة و سوابغ إنعامه ، و أزاح بهم غياهب الجور و حنادس الكبرياء و ضرب بصوارمهم رقاب الجبابرة و كلّ كنود ناكر لنعامئه ، و بدّد بهم أشياعهم و أحوالهم و صيّرهم مقهورين في هذه و في دار عقبائه ، و جعل الولاة خلفاءه في أرضه فأظهر أحكام الشّريعة بعد أنبيائه ، فسبحان من نوّر أسرار الأبرار بأنوار أثار علمه و هدايته ، و زيّن وجه سماء قلوب العارفين بنجوم هيبته و وحدانيته ، و أظهر أفكار الأخيار من ظلمات الشّك و غيوباته ، و قوّم للصدّقين منهجا و جعل للمتّقين مخرجا من صعاب شدّاته ، فقال " **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** "[2] ، فتبّا لمن اعتمد بعد هذا على أحد من أغياره .

و نشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة نفوز بها يوم تشخص الأبصار من سطواته ، " **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ**

---

[2] 65 الطّلاق : 2 .

عَمَّا أَرْضَعَتْ "[3] من شدّة أهواله ، و أشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده و رسوله و خليله و خاتم أنبيائه ، و أهدي له صلاة تدوم و تقوم ما اشتكى المحبّ غليلا من تباريح جوائه ، و حلّت ريح صبابا نسيمها لوعة أشواقه .

و بعد فهذا سلام كريم برّ عميم " **سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**"[4] ، تضوع صفحاته نشرا ، و تتأرج فوحاته عطرا ، يأوي إلى المقام العالي ، و النّور الباهي المتلألي ، المؤيّد المبارك ، و السّلطان نجل الأمراء ، و مقرّ الوزراء ، جناب السّلطان الأجلّ ، و القلم الأمجد ، و الجلال الأسعد ، و العالم الورع الزّاهد ، الخاضع الخاشع الرّاشد ، المرشد الغطريف الأورع و الكوثر المورّع ، الأكمل الأبرّ ، زين الزّمان ، ملاذ الأصفياء، الشّريف المكرّم ، و الهمام المعمّم ، و الأفق المعظّم ، أعلا الأمراء منصبا ، و أفخرهم نسبا ، و أشرفهم حسبا ، الذّي اشتاقت تيجان السّلطنة إلى هامته ، و باهت حلل الإمارة على قامته ، فكأنّه قبس أشرق في غسق الظّلام ، أو بدر تمّ لاح بين الأجرام ، فرقّ عين الجمال (كذا) و جوهرة تاج الكمال ،

---

[3] 22 الحجّ : 2 .

[4] 36 يس : 58 .

جلّت القدرة الرّبانيّة المبدعة له ، و عزّت الإرادة السّبحانيّة المنشئة له ، المخصوص باللّطائف الإلهيّة ، و المراتب السّماويّة ، مولانا الوليّ ، و الخلف الحفيّ ، و الأمين الوفيّ ، أمير المؤمنين ، و خليفة ربّ العالمين ، نظام دعوة المسلمين ، و مفرّق جمع الجبابرة المتكبّرين ، **ناصر** المظلومين ، و قاهر المشركين ، ناظم مناظم العدل و الإحسان ، و عاقد معاقد الأمن و الأمان ، **النّاصر المنصور** ، المجاهد الصّبور ، و العبد الشّكور ، ذو المفاخر المجيدة ، و المناقب الحميدة ، صاحب الخصال السنيّة ، و الأوصاف البهيّة ، و الشنشنة العليّة .

أميرنا السّلطان ناصر بن مولانا المرحوم مرشد بن السّلطان مالك اليعربي الوهبي الإباضي ، أدام الله علوّه و أرقاه، و نمت بالنّصر العزيز و الفتح المبين دولته و أيّامه ، و أجرى شرقا و غربا و برّا و بحرا سلطانه و أحكامه ، و تقبّل جهاده و جعل في ذاته سعيه و اجتهاده ، و رفع سعده و جدّه ، و سرمد مجده و فخره ، و قرن بالتّأييد و العزّ المتداول أسرته و حفوده ، و أيّد بالظّهور و الظّفر ألويته و جنوده ، مازالت الأقدار تجري على آماله ، و الأيّام تنطوي باتّصال سعده و إقباله ، و مازال جنبه رفيعا ، و سلطانه منيعا .

و ليعلم **مولانا** أنّ بلادنا قد أومضت بولايتكم السّعيدة ، و اخضرّت من آثار عدلكم المنيفة الّتي ابتهجت بها تلك الآفاق ، و سطعت عليها كواكب السّعود نيّرات الإشراق ، و أصابنا من النّصرة بتوليتكم إيّاها ما لا تفي به الأوراق ، فهنيئا لكم بما منح الله الآلاء الجسام ، و الكمالات الوسام .

فالحمد لله الذّي جعلكم للفضل منارا ، و للعدل قرارا ، و للإحسان قطبا و مدارا ، قال :: " السّلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلّ ملهوف و مظلوم "[5]. و قال : " إنّ أحبّ النّاس إلى الله يوم القيامة و أقربهم إليه منزلة إمام عادل "[6] و قال : " و الذّي نفسي بيده إنّ الوالي العادل يرفع له كلّ يوم عمل رعيّته ، و صلاته تعدل سبعين ألفا. "[7] و قال : " سبعة يظلّهم الله في ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه أحدهم إمام عادل و الثّاني شاب نشأ في عبادة ربّه . "[8] الحديث . " **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ**

---

[5] لم نجد هذا الحديث في القرص المدمج .

[6] التّرمذي : حديث عدد 1250 .

[7] لم نجد هذا الحديث في القرص المدمج .

[8] البخاري : حديث عدد 620 .

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ".[9] **" هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ "**[10] .

فلا برحت رقاب الأمم خاضعة لأوامركم ، و أعناق الخلائق ممتدّة نحو مراسمكم ، و الآمال منوطة نحوكم ، و أيّام المطيعين زاهرة ببقاء دولتكم ، و قلوب العاصين خائفة من هيبتكم ، و قواعد مملكتكم مشيّدة الأركان ، و معاقد سلطنتكم ممهّدة البنيان ، و النّاس في ظلّ عدلكم سالمين ، و من نور أفضالكم غانمين ، ما بقي شهر من الشّهور و السّنين .

و اغفر اللهّم لمن أعلن بالتّأمين ، و والى القادة العلماء و الأئمّة الكرماء ، و الجحاجحة الفخماء ، أزهار دعوتنا ، و مصابيح مذهبنا ، و مسرّة أرواحنا ، كافة الإخوان ، القاطنين **بأرض عمان** ، بوّأهم الله غرف الجنان ، و حماهم من خطوب مكائد الزّمان ، و مازالوا في حفظ و أمان ، و ريح و ريحان ، بجاه رسول ربّنا الكريم المنّان ، المبجّلين ما عظّم الله من حرمتكم ، المتبرّكين بمراسلتكم ، المخلصين في محبّتكم

---

[9] 62 الجمعة : 4 .

[10] 35 فاطر : 39 .

و نصيحتكم : **جماعة إخوانكم بني يفرن**[11] الفقراء إلى الله ــ إلى من بلغه و انتهى إليه كتابنا هذا من الإخوان ــ سلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته ، اعلموا إخواننا رحمكم الله أنّنا نشكر الله الذّي تفضّل علينا من مآثركم ما أطبقت الآفاق ، و شاع لدينا من مفاخركم ما تعطّرت به الطّرق (كذا) . فالحمد لله الذّي أظهركم على الأضداد ، و أباد بكم كبرياء أهل العناد ، و أرغم بكم أنوف الجبابرة في أقطار البلاد ، من باد و حاضر من جميع ذوي الفساد ، حتّى اشتهرت بكم بركة الدّين مشرقا و مغربا ، و بلغت مبغضا و محبّا ، و غويّا و رشيدا . **" أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "**[12] .

فاهتزّت نحوكم أعطافنا ، و تحرّكت بذكركم أطباعنا ، و هامت لملاقاتكم أرواحنا ، فكيف لا و قد قال الله سبحانه و تعالى : **" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ**

---

[11] انظر الخريطة .

[12] 10 يونس : 64 .

الرَّحْمَانُ وُدًّا "[13] و قال عليه السّلام : " المتحابّون في الله على منابر مسك في ظلّ عرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه "[14] . و قال: " من أحبّ قوما فهو معهم يوم القيامة ."[15] و ما سرّنا حديث مثل هذا الحديث ، فلا جرم إن كانت أشداقنا إليكم تتبرّح بتعاقب الأيّام ، و محبّتنا إليكم تتأكّد على مرّ الشّهور و الأعوام ، و تتجدّد مع الآناء و الأحيان ، لا يصفها لسان ، و لا يفي بالتّعبير عنها إنسان، فحالت بيننا و بينكم السّباسب و العجم ، و المياه و الأجم، و البحار اللّجج ، و الرّعاع الهمج ، فالتفّت علينا مخاوف مانعة، و عوائق عارضة ، و علائق ماسكة ، و لو وجدنا سبيلا إلى تهنئتكم مشافهة بهذه الولاية المبرورة ، و النّعمة المشكورة ، و المنحة المغبوطة ، لأسرعنا طائرين بلا أقدام ، و لاستغنينا بمشاهدة أنواركم عن تسطير الأقلام ، إلاّ أنّ الأقدار قد منعتنا من الالتئام ، و حالت بيننا و بين مشاهدة الكرام ، و نقول لعلّ الزّمان يكشف القناع عن وجه جميل فنرفل في إكرامكم ،

---

[13] 19 مريم : 96 .

[14] أحمد، أخبار عبادة بن الصّامت، 22403، مسند أبي سعيد الخدري، 11574.

[15] البخاري، باب البر والصلة، 6026+. مسلم، باب برّ الوالدين، 6669+، أحمد، حديث أبي موسى الأشعري، 19158.

و نشهر ديننا بفضلكم و إنعامكم ، و نمتّع الأرواح حيث العزّ مضروب شاهين (كذا) منصوب .

هذا و لسنا نشكو إلاّ إلى الله ما ابتلينا به من تشتّت الحالات ، و بجرم الأهوال و كثرة الآفات ، و توزّع البال من نزول الملمّات ، مع تكاثر الأحزان و المحن ، و تلاطم أمواج الوقائع و الفتن ، و ألوية معالم العلم قد أشرفت على الانتكاس و آثار مغانيه قد ذبلت بالاندراس ، و الجهل و رايات دولته نيّرات الاقتباس ، و آية خضرته واضحة من غير التباس . فأضحى الدّين غريبا مفقودا منبوذا ، و عادت أهله غرباء مفقودين منبوذين منفيّين ، و لم يبق من طلله إلاّ رسمه ، و لا من سماته إلاّ اسمه ، فاستحوذ الشّيطان على العباد ، الحاضر منهم و البادي ، و اشتهرت بدعة الأغبياء ، و جار البلاء على الأتقياء ، و نبذوا و نبذ الكتاب ، فصاروا غريبين طريدين منفيّين ، فيا نعم الغرباء الطّريدون السّاميون (كذا) المستغنون عمّن حاد عنهم .

و غلبة الأعداء أظلم و أفظع و أشنع و أشأم إذ ليس يخفى عليكم أن ليس ببلادنا أمير قائم ، و لا حجّة ظاهرة ، و لا عزيمة ماضية ، إلاّ التّمسك باسم **الإباضيّة** المرضي عنهم من

بين الفرق الإسلاميّة ، فإلى الله المشتكى من عدّة بوائق اتّفقت ، و رواتق علينا انفتقت ، حتّى عدمنا الأسفار و الآثار ، و انطمست من حوزتنا رسوم المذهب المختار، و اتّخذت الجبابرة عباد الله خولا و دينه دغلا و ماله دولا .

لكن من ألطاف الله الخفيّة و أياديه الضّافية الحفيّة ، أن جعل في كلّ زمان و مكان أقواما يذبّون عن دينه ، عاملين بمقتضى كتابه و سنّة نبيّه ، فمهما تنكّرت معالم الشّريعة ، و تستّرت معارف الطّريقة ، أمدّها بفرد من أفراد الدّهر ، و وحيد من آحاد العصر ، ذي صدر رحيب ، و قريحة ثاقبة و رأي مصيب ، فيجمع شملها و يكرم أهلها و يرفع منارها ، بمثل **الإمام الأوحد و السّلطان الأمجد مولانا ناصر بن مرشد** حرس الله مهجته **بعمان** ، و بمثل النّجم الثّاقب الطّالع في فلك المناقب ، الشّامخ في المجد و السّيادة ، الرّاسخ في العلم و الرّواية ، السّامي علاه في رتبة كلّ منصب ، الدّاهي بسهم فتياه في عرض كلّ مذهب ، الموصّل الأفهام برهان ما شرد من العقول بأقرب إشارة ، و المحصّل في النّفوس تبيان ما ورد من المنقول بأقرب عبارة ، **إمام المشارق و المغارب** ، و همام المنابر و المحارب ، **الشّيخ الإمام العالم العلاّمة أبي الرّبيع**

سليمان بن أبي القاسم ، أيّده الله بتوفيقه وإسعاده ، وعصمه من دواعي طرده و إبعاده ، ــ **بنفوسة و يفرن و جربة**[16] ــ فهؤلاء و أمثالهم كما قال فيهم الصّادق المصدّق : " إنّ للّه عبادا رسخ جلال الله في قلوبهم و ركدت شفقة هيبته في صدورهم ، و تمكّن الحبّ في ضمائرهم ، و وطنت الفكرة أفئدتهم " إلخ . و الله جلّ و علا يجعلنا في ذاته إخوانا ، و على طاعته أعوانا .

و نرغب من جلالكم الدّعاء لنا ، و التّضرع لنصرة مولانا ، فإنّا و إن أطلنا عليك بهذا الوطن الضّيق الحرج محتاجون لدعاء منكم فلا تهملونا ، و الاستمداد من بركاتكم فلا تتركونا ، عند مظان إجابة الدّعوات ، ما سار سار في الفلوات ، بأن يصلح الله تعالى أهل هذا الوطن ، و يجريهم على الحقّ ، و على ما ترضاه شريعة المبعوث بالصّدق ، و مثلكم من أهل الدّين و العلم و الفضل لا يذكّر إلاّ " **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** "[17] ، و الله يحيينا بدعواتكم الصّالحة ، و يغيث بلادنا بآثار عدلكم الواضح ، و ينوّر قلوبنا بأنواركم اللائحة ، لا مصروف لنا عن الاقتداء بكم ، و لا محيد لنا عن التماس النّفع

---

[16] انظر الخريطة . و عن أبي الرّبيع انظر ص 235 .

[17] 51 الذّاريات : 55 .

من ابتهالكم بظاهركم و باطنكم ، ففي دعائكم الحماية من جميع النّوائب ، و في استيفاء مخاطبتكم الشّفاية من جميع المصائب .

إنّ متحمّل هذه المخاطبة إليكم ، بل المتكلّف بالرفد بها إليكم ، مَن بضاعته مزجاة ، و راحلته بين الرّواحل ملغاة ، لكن سعة العذر عن التقصير و بسطه مرجوّ منكم ، مع أنّ الصّفح عن عثرات الضّعفاء من شيم الأشراف ، المسلّم على سيادتكم العليا ، معظّم قدرها ، و ملتزم إكبارها و برّها، المتبرّك لجانبها أضعف تلامذة الشّيخ الجليل ذي الحسب الأصيل و الفضائل ، **أبي الرّبيع سليمان بن أبي القاسم** ، عبيد الله أفقر عبيده ، و أحوجهم إلى توفيقه و تسديده ، **إبراهيم بن عبد الله الشّماخي اليفرني الإباضي**[18] .

و الغرض منكم الدّعاء له و لشيخه المعظّم المذكور ، عاملين في ذلك على مقتضى فضلكم المشهور وقولكم المشكور، و أثركم المأثور ، أبقاكم الله للهداية علما منيرا ، و يديم علوّ قدركم أوّلا و أخيرا ، و يجعلنا في جنّات عدن بمنّه و فضله و طوله .

---

[18] إبراهيم بن عبد الله الشمّاخي اليفرني: انظر ما سبق ص 235 .

والسّلام الكريم العميم عائد على سيادتكم العليّة ، ودولتكم القاهرة الحقيّة[19] .

---

[19] النّسخة المخطوطة المعتمدة نسخها الشّيخ سالم بن يعقوب عندما كان بمصر . دون ذكر المصدر . انظر دفتر رقم 2 ص 84 ــ 88 بمكتبته بحومة غيزن جزيرة جربة . مسطرتها 28 / 14 . 34 سطرا .

بسم الله الرّحمان الرّحيم

الملحق الثّاني

الشّيخ عمر بن سعيد الجربي المغربي ينصح الإمام بلعرب سلطان اليعربي العماني .

و في زمانه[1] رضي الله عنه قدم من المغرب إلى عمان رجل من أهل جربة يقال له **الشّيخ عمر بن سعيد بن محمّد بن زكريّاء الجربي الإباضي المغربي**[2] فسرّ بما رأى من أحوال عمان وظهور العدل فيها وإحياء السّنن وإماتة البدع، ولكنّه رأى مجالس العلم فيها قليلة فكتب للإمام نصيحة يحثّه فيها أن يحثّ الرّعيّة على طلب العلم و تقويم المجالس و عمارة المدارس ، قال فيها :

---

[1] **الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي** (1091ـ 1104/1681ـ 1693).
انظر ص 239 تعليق 1 من البحث .

[2] ن . م .

" **مولانا** أصلح الله أحوالك ، و سدّد أقوالك ، و تقبّل منك أفعالك ، و جعل إلى السّعادة مرجعك و مآلك ، فأقول و أنا العبد الفقير إنّي لمّا منّ الله تعالى عليّ بالوصول إلى هذه البقعة المباركة رأيت بحمد الله في **مسكد** و في **سمائل** و **في نزوى**[3] و في هذا المقام الشّريف من الأحكام الشّرعيّة ، و **السّير الإباضيّة** ، و السنّن المحمّديّة ، ما انشرح به الصّدر و امتلأ بمشاهدته سرورا ، و لله الحمد على توفيقه . فتأمّلت أحوال **عمان** فوجدتها عجيبة الشّأن ، حسنة الشّكل كاملة الأوصاف ، سوى أنّ مجالس الذّكر و مدارس العلم فيها قليلة ، و العلم سيّدي كما لا يخفى عليك يزداد بالاستعمال ، و ينقص بالإهمال ، و نقصان العلم ضرر في الدّين عظيم ، و ما كان على النقصان يوشك زواله .

و أخبرك **يا نعم السّيد** ببعض أحوال **أهل جربة من أهل هذه الدّعوة** في زماننا هذا مع ضعفهم و قلّتهم و سوء حالهم و معهم من مدارس العلم ما يزيد على العشرين ، كلّ يعلّم على قدر علمه ، **منهم** من اقتصر على النّحو و اللّغة و علم الدّيانات ، و **منهم** من تبحّر في النّحو و اللّغة و الصّرف

---

[3] انظر الخريطة . مسكد تسمّى أيضا بمسقط .

و المعاني و البيان و المنطق و التّوحيد و أصول الدّين و الفقه و الحساب و الفروض الشّرعيّة و العروض الشّعريّة أعني الأوزان و ما يتعلّق بها من الزّحاف و غيره .

و **هم** من عادتهم يجتمعون في كلّ يوم أحد و يوم الثّلاثاء على شيخ المشايخ و هو **أبو زيد بن أحمد بن أبي ستّة**[4] فيقرأون عليه ، و يلقون في المجلس المشكلات و السّؤالات ، فيتحرّى فيها الصّواب ، و يزيل عنها الالتباس .

و **هم** في هذه الحالة يتأسّفون غاية التّأسّف على اندراس العلم و نقصانه لعلمهم أنّ المذهب الحقيقي الحنيفي **الرّستمي** يزداد بازدياد العلم ، و ينقص بنقصانه ، و يذهب بذهابه . و قد كان هذا المذهب بأرض المغرب في زمان **الأئمّة الرّستميّة** رحمهم الله مسيرة ثلاثة أشهر و أزيد ، كلّها عمارة محشوّة بالزّهاد و العبّاد و العلماء لا يحصى عددهم و لا يطاق عتادهم ، فلمّا زالت عنهم الإمامة لأمر أراد الله إبرامه ذهبت الأخيار ، و بقيت الأشرار ، و تهاونوا في العلم و التّعليم ، و مالوا إلى الدّنيا ، فركبهم الجهل فطبع على قلوبهم بسبب ذنوبهم و أتتهم العلماء المخالفون بالحجج الباطلة فتخيّلوا السّراب ماء لطموس

---

[4] انظر ص 240 تعليق 1 من البحث .

البصيرة ، و تمكّنت من أزمة قلوبهم ، فسلكوا بهم طريقهم الضّالة كما سلك الذّود بين قائد و سائق ، فارتدّوا على أدبارهم و العياذ بالله في أزمنة متقاربة حتّى لم يبق منهم إلاّ من ساقه التّوفيق، و اعتصم بالله و استتر بالعلم ، و هم أهل البقاع الثّلاثة: **بعض أهل نفوسة و بعض أهل جربة و بنو مصعب**[5] ليس إلاّ " **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** "[6] سلكوا بها و تمسّكوا .

فإذا كان الأمر هكذا فينبغي لإمام المسلمين أيّده الله بالتّوفيق ، و أنار له معالم التّحقيق ، أن يجعل في كلّ حصن من حصون مملكته المجلّل عدله ، المزيد فضله ، معلّما يعلم النّاس أمر دينهم ، و يزهّدهم في الدّنيا الفانية الخسيسة ، و يرّغبهم في الآخرة الباقية النّفيسة . و يتيسّر هذا إن شاء الله تعالى بالنّظر في أحوال من له نظر و معرفة و لو أدنى معرفة و ذوق في العلم إن ظهرت منه أسباب الخير بالنّصيحة لنفسه أوّلا و لعباد الله و الشّفقة عليهم و الرّغبة في الدّين ، فحينئذ يتوجّه الأمر المطاع من إمام المسلمين بأن يتصدّى للتّعليم بالغداة و العشيّ

---

[5] انظر الخريطة .

[6] 48 الفتح : 23 .

و لا يحقر ما معه من العلم و إن قلّ ، و إن كانت نيّته خالصة بأن ينمو و يزيد و يفيد و يستفيد ببركة العلم و فضله حيث كان خالصا لله عزّ و جلّ ، لعلّ غافلا ينتبه أو نائما يتيقظّ ، أو ناسيا يتذكّر ، أو جاهلا يتبصّر، و تكون سنّة حسنة في الإسلام و لمن سنّها أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، و هو إمام المسلمين و أعوانه في الدّين لا يغيّر و لا ينقص من أجور المتعلّمين شيئا .

الله الله ثمّ الله الله ! و حاشا لمثلك أن يتغافل و يتهاون في مثل هذا و أنت بتوفيق الله و فضله خليفته في أرضه . **و العلم أصول دين الله و فروعه و لوازم العدل المأمور به المفروض أمثاله و شروعه (كذا)** ، و لكن لكلّ شيء سبب ، و لكلّ أجل كتاب ، و إذا أراد الله إظهار أمر يرضيه في الدّين أجراه على يد أحد من خلقه ممن يختصّه لمزيد فضله " **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** "[7] كظهور العدل ، و علوّ كلمة الحقّ ، و ذهاب ذوي الشّقاق ، و انطماس معالم الشّرك و النّفاق ، على يد المرحوم **الشّيخ خميس بن سعيد الشّقصي**

---

[7] 62 الجمعة : 4 .

الرّستاقي[8] و الإمامين[9] الرّضيّين رحمة الله عليهم أجمعين ، و أنت الرّضيّ الثّالث[10] بحمد الله ، و قد ترى ما ابتلي النّاس به من الميل إلى الدّنيا، و الزّهد في الآخرة، مع شدّة افتقارهم إليها.

سيّدي و مولاي انظر بعين البصيرة و العقل الرّاجح الثّاقب في وصل ما أمر الله به أن يوصل بينه و بين عباده الذّين

---

[8] **خميس بن سعيد الشقصي الرّستاقي** (10 – 11 / 16 – 17) المعلومات عنه ضنينة كما يشير سالم الحارثي محقّق كتابه منهج الطّالبين .

أصله من نزوى و استوطن الرّستاق ، يذكر السّالمي أنّه كان على رأس علماء الحلّ و العقد الذّين أنهوا حكم الجبابرة بعمان و بايعوا مؤسّس الدّولة اليعربيّة الإمام **ناصر بن رشد** سنة 1034 / 1640 . مع العلم أنّه هو الذّي دلّهم عليه لما توسّم فيه من خير لأنّه ربيبه . و قد أفلح هؤلاء العلماء و عددهم أربعون في هذا الاختيار لأنّ الإمام ناصر أحيى ما اندرس و أعاد للإمامة مجدها .

من مؤلّفاته : كتاب **منهج الطّالبين و بلاغ الرّغبين** 20 مجلّدا من الحجم المتوسّط في العقيدة و الفقه و السّير . حقّقه سالم بن حمد الحارثي ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1979 نشر سلطنة عمان . و له كتاب في **الإمامة العظمى** خ .

[9] يشير إلى الإمام ناصر بن مرشد مؤسّس الدّولة اليعربيّة (1034 / 1640) و إلى الإمام اليعربي الثّاني سلطان بن سيف بن مالك 1050 – 1091 / 1640 – 1680 .

[10] يعني الإمام بلعرب .

استخلفك عليهم رأفة و رحمة بهم و رجاء لرضوان الله تعالى و لا تخلو أرض الله تعالى من قائم فيها بحقّ و علم في خلقه في كلّ وقت من الأوقات ، و هو الحجّة على خلقه كما قال الله " **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** "[11] .

يا نعم السّيد و يا جهد (كذا) المكارم إذا نظرت و تأمّلت في هذا الأمر عجيب الشّأن ، و اطمأنت نفسك إليه ، و هممت ببذل المجهود في تجديد معاهده ، و تشّييد قواعده ، حبّا لله و رجاء لثوابه ، فثوابه أجلّ و أعظم للمسبّب و المتسبّب فيه من ثواب المجاهدين و المرابطين و المصلّين و الصّائمين و الحاجّين و المعتمرين ما خلا الفرائض من ذلك كلّه ، و كان كلّ ذلك فضلا و نفلا ، فأراني منك علامة تسرّني كقول إمام المسلمين : **نعم ابتغيت رضوان الله تعالى** ، فإنّ إحياء هذه الطّريقة أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشّمس و غربت ، و أحبّ إلى الله و رسوله و إلى من ناصح نفسه من المسلمين ، إذ جميع حطام الدّنيا الفانية لا يعتبر في جانب السّعادة الأبديّة و لا تزن ذرّة منه .

---

[11] 13 الرّعد : 7 .

و كتبته بيدي و الله على ما أظهر أو أضمر شهيد ، و هذا سرّ من العبد الغريب إلى المولى الحبيب . و السّلام عليك و رحمة الله و بركاته و رضوانه يتسلسل تسلسل أنفاس أهل الجنّة .

و أمّا **أهل جربة** و إن كانوا متمسّكين بالعلم جهدهم فتدبيرهم مختلّ ، و عقدهم منحل ، و أمرهم مشكل ، لفقدهم الإمام العدل و قرناءه أهل الفضل .

انتهى كلام عمر الجربي و هو كلام ناصح ماهر ، و قد قيل إنّ النّصيحة إذا خرجت من الجنان وقعت في الجنان ، و إن خرجت من اللّسان لم تجاوز الآذان ، فأثّرت نصيحته الأثر الجميل ، و تلقّاها الإمام بالقبول و التّبجيل ، فقام و شمّر و حثّ الرّعيّة على طلب العلم ، و أمر بالتّعليم في ممالكه ، و جمع جملة من المتعلّمين في الحصن الذّي جدّد بناءه و هو " **جبرين** " [12]. فقيل إنّه كان يخدمهم هنالك بنفسه ، و كان يعطّرهم بنفسه ، و كان يتحرّى لهم الأطعمة المقويّة للأفهام

[12] انظر الخريطة .

و الذّكاء ، فيقال إنّه خرج من هذه المدرسة التّي في حصن جبرين خمسون عالما كلّهم أهل اجتهاد و أهل إفتاء بالرّأي .[13]

[13] أورد هذا النّص : عبد الله السّالمي (1332 / 1914) في كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان . مكتبة الاستقامة د . ت ج 2 / 81 – 85 .

فهرس الموضوعات

مقدّمة:.....5

توطئة في التّعريف ببلاد المغرب و عمان وحدّهما : 21

بلاد المغرب:.....21

بلاد عمان:.....23

الفصل الأوّل: نشأة العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان إلى حدود النّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجري/ 8 م

تمـــــهيد:.....33

المبحث الأوّل: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان زمن الإمام جابر بن زيد:.....35

المبحث الثّاني: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان زمن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.....39

1 ــ رحلة محمّد بن مغطير النّفوسي من جبل نفوسة إلى البصرة:.....40

2 ــ رحلة سلمة بن سعد إلى القيروان وإرسال حملة العلم إلى البصرة:..... 46
2- 1- إمامة عبد الله بن مسعود التّجيبي:..... 53
2- 2- إمامة الحارث وعبد الجبّار وقتلهما:..... 55
* رسالة الإمام أبي عبيدة إلى أهل المغرب في قضيّة الولاية والبراءة والوقوف من القتيلين:..... 58
2- 3- التّخطيط الإباضي للتّنسيق بين المغرب والمشرق وقيام دولة أبي الخطّاب (140/ 757):..... 56
* استفتاء الإمام أبي عبيدة في شأن الزّكاة :..... 68
خـــاتـــمـــة:..... 73

الفصل الثّانـي: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان في النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجري/ 8م
تـــمـــهـــيـــد:..... 77
المبحث الأوّل العلاقة زمن الإمام عبد الرّحمان بن رستم :..... 82
ــ استبشار المشارقة بهذه الإمامة ومؤازرتهم لها:..... 82

المبحث الثّاني العلاقة زمن الإمام عبد الوهّاب:..... 85
1-مراسلة المشارقة في شأن فتنة النّكار:..... 85
2- الإمام عبد الوهّاب يستشير علماء المشرق في شأن إمكانيّة أدائه لفريضة الحجّ:..... 87
3- الصّلات والهدايا وتوفير الكتب:..... 89
4- رحلة أبي غانم الخراساني إلى المغرب ونسخ مدوّنته في الفقه:..... 90
5- تكاثر الوافدين من المشرق على عاصمة الإمامة الرّستميّة:..... 92
خـــاتـــمـــة:..... 97

الفصل الثّالث: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان في القرن الثّالث الهجري/ 9م
تـــمـــهـــيـــد:..... 101
المبحث الأوّل العلاقة زمن الإمام أفلح:..... 104
1- نفاث وقصّة استجلاب ديوان الإمام جابر:..... 107
2- الإمام أفلح ينصح بقراءة كتاب أبي سفيان محبوب ابن الرّحيل العماني في سير الإباضيّة:..... 109

3- العلاقة زمن محمّد بن محبوب:.....112
3- 1- تنويه المصادر باللّقاء العلمي بين محمّد بن
محبوب وعمروس بن فتح في الحجّ :.....112
3- 2- سيرة محمّد بن محبوب لأهل المغرب:.....113
3- 3- عمروس بن فتح وكتابه الدّينونة الصّافية:..126
3- 4- سيرة أهل المغرب إلى الإمام الصّلت:.....128
4- رسالة أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني
و جماعة المسلمين إلى أهل المغرب:.....140
5- أخبار عن ابن سلاّم وأبيه تتصل بمصر ومنى:...146
المبحث الثاني: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة
وعمان بعد وفاة الإمام أفلح:.....149
خـــاتمـــة:.....153

الفصل الرّابع: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان
من القرن الرّابع إلى القرن السّابع الهجري/ 10- 13م
تـــمـــهـــيد:.....159
المبحث الأوّل: العلاقة في القرن الرّابع الهجري/ 10م
1- اضطراب الأوضاع مغربا ومشرقا:.....161

2- وفود ابن الجمع من المشرق:.....165
3- تتلمذ عدد من المغاربة على ابن بركة العماني:..167

المبحث الثّاني: العلاقة في القرن الخامس الهجري/ 11 م
1- وفرة الكتاب الإباضي المشرقي بالمغرب :.....170
2- لقاء نصر بن سجميمان بأئمّة عمان في الحجّ :..176
المبحث الثّالث: العلاقة في القرن السّادس الهجري/ 12 م
1- قلّة الأخبار رغم ازدهار وارجلان:.....180
2- أبو يعقوب الوارجلاني يرتّب مسند الرّبيع:.....184
2- 1- محتوى مسند الرّبيع كما رتّبه الوارجلاني:..185
3- رحلة ابن خلفون إلى الحجّ واللّقاء بناجية بن ناجية
العماني:.....188
المبحث الرّابع: العلاقة في القرن السّابع الهجري/ 13 م
ـ قصّة تأليف كتاب طبقات الدّرجيني:.....191
خـــاتـــمـــة:.....200

الفصل الخامس: العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان من القرن الثّامن إلى القرن الحادي عشر الهجري / 14-17 م

تـــمـــهـــيـــد:..... 207

المبحث الأوّل: العلاقة في القرن الثامن الهجري/ 14م

1- رحلة ابن بطوطة إلى عمان:..... 109

2-البرّادي يذكر عددا من مؤلّفات العمانيّين والمشارقة عامّة:..... 211

المبحث الثاني: العلاقة في القرنين التّاسع والعاشر/ 15- 16م

1- قصيدة محمّد بن عبد الله الأغبري العماني إلى أهل المغرب:..... 227

2- مخمّس عبد الله العماني إلى أهل المغرب:..... 230

المبحث الثالث: العلاقة بين عمان والمغرب في القرن الحادي عشر الهجري / 17 م

1- تهنئة أهل المغرب بنصب الإمام ناصر اليعربي: 234

2- نصيحة عمر بن سعيد الجربي للإمام بلعرب للاعتناء بالتّعليم:..... 238

خـــاتـــمـــة:.....247

الـخـاتـمـة:..... 249

1- العلاقـة السّياسـيّـة:.....254

2- العلاقة الاقتـصاديّـة:.....256

3-العـلاقـة الفـكـريّـة:.....256

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.....262
- فهرس الأعلام:.....264
- فهرس الأماكن:.....271
- فهرس القبائل والأمم والطّوائف:.....276
- فهرس المصادر والمراجع:.....278
- الخرائط : 301
- الملحق الأوّل :.....309
- الملحق الثّاني :.....323

فهرس الموضوعات :.....333

تمّ طبع هذا الكتاب بالمطابع الموحّدة
مجموعة سراس
10، شارع عبد الرّحمان عزّام
1002 تونس
جوان 2005

فرحات بن علي الجعبيري

العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعُمان

من القرن الأوّل إلى القرن الحادي عشر الهجري / 8 - 17 م

إن كانت العلاقة السّياسيّة والإقتصاديّة يحدّها المكان وقد يحدّها الزّمان فإنّ العلاقة الفكريّة تتجاوز حدود المكان والزّمان، وهذا ما أثبته البحث بالنّسبة إلى العلاقة بين إباضيّة المغرب وإباضيّة البصرة وعمان من اللّحظة الأولى إلى يومنا هذا.

فعلا قد وضّحت الدّراسة أنّ العلاقة العقديّة الفكريّة لم تنقطع عبر الزّمان رغم بعد المسافة بين الطّرفين، وقد بدت قويّة في مرحلة النّشأة حيث ظلّ أهل المشرق يرعون أهل المغرب رعاية تامّة، ويرجع أهل المغرب بالمشورة إلى أهل المشرق في الكبيرة والصّغيرة، ولا يطمئنّ لهم بال حتّى ترد الرّسل أو الأجوبة من هناك.

تلك هي ملامح الصّلات بين إباضيّة المغرب وإباضيّة عمان، **أخوّة صادقة ولقاءات** مباشرة في عمان أو في المغرب أو في الحجّ، و**مراسلات مستمرّة** تحمل في طيّاتها آمال الأمّة وآلامها، و**كتب** متبادلة على مرّ الزّمان تحمل عصارة أفكار فقهاء الأمّة، و**مدارس علميّة** يتعانق فيها هذا مع ذلك، وعمل دؤوب على السعي إلى نشر العدل والأمن والسّلام.

رقم النّاشر : 01 0804

ISBN 9973-19-657-0

الثّمن : 12،000 د.ت